

وثائق ونصوص

2

الدولة الإسلامية في ظل  
الخلافة العباسية

عصر الخلفاء الكبار

132 هـ - 232 هـ / 750 - 847 هـ

نصوص تاريخية مختارة جمعها ورتبها وبيها  
ووضحها بشرح أحد النصوص النموذجية

محمد زبير

أستاذ التاريخ بكلية الآداب بالرباط

1985



## وتائف ونصوص

– 2 –

جميع الحقوق محفوظة

طبع وتوزيع دار النشر المغربية

13/5 زقة الجندي روش - الهاتف : 24.51.47/48

الدار البيضاء

رقم الايداع النانوي 1984/205

وثائق ونصوص

2

الدولة الإسلامية في ظل

الخلافة العباسية

عصر الخلفاء الكبار

132 هـ - 232 هـ / 750 - 847 هـ

نصوص تاريخية مختارة جمعها ورتبها وبونها  
ووضحها بشرح أحد النصوص النموذجية

محمد زنيبر

أستاذ التاريخ بكلية الآداب بالرباط



# تقديم

يسرنا أن نقدم هذا الجزء الثاني من النصوص التاريخية الذي اجبرتنا ظروف القاهرة على تأخير صدوره، ولطالما سألنا عنه العديد من الزملاء والقراء والطلبة الذين سبق لهم أن استعملوا الجزء الأول، وهو قبل كل شيء متجه إلى الباحثين في التاريخ والطلبة من مختلف المستويات، ولست في حاجة إلى الالاح مرة أخرى، على ما في تحليل النصوص التاريخية من فائدة وأهمية علمية، فدورها في التعليم بجامعتنا كاف للتدليل على ذلك، بل ان برنامج الدراسات الجديد الذي بدأ تطبيقه انطلاقاً من سنة 1982 - 83 خصص لها مكاناً واسعاً وجعل لها حصصاً موازية لكل الدروس المهمة، وبذلك استدرک النقص البين الذي كان يعانيه البرنامج السابق من هاته الناحية، واستجاب للرغبة التي طالما عبر عنها الأساتذة المعنيون.

يتناول هذا الجزء العصر الأول من تاريخ العباسيين وهو عصر التأسيس والقوة بالنسبة لهاته الدولة التي تمثك استمراراً وفي نفس الوقت، تجديدا للخلافة الاسلامية أي ذلك النظام السياسي الذي تمخض عنه المجتمع الاسلامي منذ أول يوم فكانت له أصلته وطرافته ولوه التقى مع أنظمة أخرى من بعض الوجوه. لكن الدولة العباسية ليست حدثاً بارزاً في التاريخ الاسلامي وحده، بل إن ظهورها كانت له انعكاسات قوية ومتعددة على التاريخ العالمي، كما بينت ذلك الدراسات الحديثة.

فاذا نظرنا الى تطور العالم الاسلامي من الداخل، نجد أن هاته الدولة هي التي أوجدت له مقوماته النهائية ووجهته في الاتجاهات التي لن يحيد عنها فيما بعد. فكان هذا العالم ظل تائها يبحث عن نفسه أثناء القرن الأول وطرفاً من القرن الثاني ووجدتها في الاخير بصورة يقينية عند قيامها أو، بالأحرى، بسبب قيامها. وهذا هو معنى كون تاسيسها ثورة في عين المؤرخين المعاصرين لامجرد تغيير في الاسرة الحاكمة أوجوها الى نوع من الشرعية كما كانت تراها بعض الفئات المتشعبة، لقد كانت بالفعل. ثورة بكل ما شحنت به هاته الكلمة في عصرنا من معان تتصل بالبنيات السياسية والاجتماعية. والثقافية والدينية والاقتصادية. فهي على سبيل المثال. حولت الخلافة من صيغتها

العربية البحتة كما كانت في عهد الأمويين الى صيغة أكثر التقاء وتجانساً مع المجتمع الاسلامي كما أصبح في أواسط القرن الثاني الهجري إذ أقبلت شعوب كثيرة غير عربية على الاسلام وامنت به واصبحت يحكم المنطق الاسلامي نفسه نظمح إلى تحقيق المساواة الاسلامية، فكان لابد من التدرج من صيغة الدولة العربية الي صيغة الدولة الاسلامية، وكان لابد من تحقيق مفهوم الأمة الذي نادى به القرآن والذي يلغي النزاعات العنصرية والنعرات القومية والعصبيات القبلية ليرتكز على مقياس اللقاء في العقيدة والتفوق. وهكذا أصبح الاتجاه واضحاً إلى إيجاد مواطن من نوع جديد في عهد الخلافة العباسية الا وهو المواطن المسلم، الذي يعتبر دار الاسلام كلها وطناً له يستطيع أن يتحرك فيها من اقصى شرقها إلى غربها ويستقر حيث طاب له المقام، فشاهدنا بعض الفارسيين يأتون إلى المغرب ويؤسسون به دولة بمباركة أهل البلاد من الدبرر ومساندتهم، وشاهدنا بعض اللاحثين السياسييين مثل ادريس بن عبد الله الحسيني يتخذ من المغرب الناقصى وطناً له ويبدايعه أبناء المنطقة اميرا عليهم .

هاته الصورة المشرقة لاتعني أن كل شيء أصبح على أحسن ما يرام بعد قيام الدولة العباسية، لقد استطاعت أن تحقق بعض الأهداف التي رمت إليها الثورة التي أصدعتها الى الحكم ، فوضعت نهاية لمشكلة المواللي التي تفاقمت في عهد الأمويين وأعدت الامل لكل الشعوب التي استظلت بالاسلام، ومكنت لهذا الدين الجديد من التغلغل في أصقاع عديدة ومتباعدة، لكن سرعان ما فترت همة الحكام العباسيين في تحقيق نواياهم الطيبة التي عبروا عنها وهم تائرون. أو في بداية عهدهم بتقلد السلطة. وسرعان ما حجبت عنهم لذة السطوة وفخخة الملك وغش الحاشية ما كان يجد من مشاكل خطيرة داخل المجتمع مما جعلهم يعزلون شيئاً فشيئاً عن واقع الأمة. فلا بدع ، والحالة هذه أن تظهر أشكال اخرى من الحيف الاجتماعي وأن تقوم معارضات وتنشب ثورات وتظهر نزعات انفصالية في عدد من الأقاليم، ولكن لايبص أن نتشاءم كثيراً من هذا التطور الذي لم يمس في الغالب الا بالبنيات السياسية، في حين أن المجتمع الاسلامي ظل موحداً، بل لم تزد روابطه مع الايام الا منانة. وهكذا نستطيع أن نقول إن الكثير من تلك المشاكل كان ، تارة، يعبر عن أزمة نمو، وطورا عن خلافات داخل الاسرة الاسلامية، فهو في الواقع ، دليل على حيوية المجتمع ويقظته في تتبع سياسة الحكام وأفعالهم.

هنالك، اذن، ايجابيات وهنالك سلبيات، ولكن الشيء المهم الذي يجب أن لا يغيب عن بالنا هو أن الاسلام طبع وجوده في التاريخ بطابع قوي في عهد الدولة العباسية فتجلى ذلك في عدة ظواهر نذكر منها، على وجه الخصوص :



1 - النظام السياسي: العباسيون هم الذين سيضعون الصورة النهائية للخلافة . ولئن كانت خلافتهم تمثل استمرارا للخلافة الأموية من بعض الوجوه، فإنها تختلف عنها من عدة وجوه أخرى. وعلى أي، فالخلافة العباسية بمؤسساتها وتقاليدها واداراتها، سيرسخ نظامها بفضل طول عمرها وستظل إلى عهد قريب هي القدوة بالنسبة لك ملك يقوم في بلاد الاسلام، وإذا كانت هنالك اختلافات فإنها لاتمس إلا بالجزئيات .

2 - الحضارة: ففي هذا العهد بدأت تظهر لنا معالم الحضارة الاسلامية الناشئة في مظهرها الكبرى المادية والبشرية والفكرية منك تخطيط المدن وبناء القلاع وتنمية الصناعات وتوسيع التجارة وايجاد الملاحة في الأنهار والبحار والتأنق في بناء المساجد والقصور والأضرحة والفنادق كما نمت الحياة الثقافية ووقع الاقبال الكبير على العلوم والاداب والفنون وازدهر التأليف وانتشرت المدارس والأندية العلمية هنالك، اذن، ارتباط متين بين قيام الدولة العباسية وظهور الحضارة الاسلامية في شكلها الناضج التام وما أخذت به من اتجاهات أساسية انعكست على كل العصور التالية وما زالت لها أصدائها الى يومنا هذا.

3 - المشاكل: لم تعش الدولة الاسلامية في أي عصر من عصورها بدون مشاكل، وهاته المشاكل لم يكن لها بالضرورة علاقة بقوة الدولة أو ضعفها، ولا أدل على ذلك من مثال الدولة العباسية في هذا العصر الذي عنيينا به في هذا الجزء والذي يمتلك عهد قوتها وازدهارها، والواقع أن المشاكل على أنواع، فهنالك ما يدل منها على تازم أو تدهور داخل جهاز الحكم، وهنالك ما هو ظرفي، وهنالك، بالعكس، ما يدل على حيوية المجتمع ويقتطع الضمائر، ففي هذا العصر، مثلا، ظهرت معارضة سياسية واختلافات مذهبية وقامت ثورات في الأقاليم وبرزت نزعة انفصالية في البعض منها كالاندلس والمغرب. ولم يفت ذلك في عهد الخلافة العباسية ولم يعف المجتمع الاسلامي عن التقدم وتحقيق المكاسب، فهاته المشاكل تكتسي اليوم في أعيننا مظهرا ايجابيا لأنها بدل ان تدل على نكوص أو انهيار، تبرهن على طموح وعلى نشبت بالحرية وعلى ارادة في البحث عن الحقيقة والسبيل القويم.

تلك بعض الظواهر المهمة التي حاولنا أن نعرض لها في النصوص التي اخترناها لهذا الجزء. وكان من الممكن ان نتوسع في ذلك الاختيار، ولكن أردنا أن نحافظ للكتاب على حجمه المعقول إذ ليس المطلوب هو الاستقصاء في جمع النصوص بقدر ما هو الاشعار بوجود قضايا تاريخية جديرة بالبحث، وحينئذ فإن كل واحد من نصوصنا الحالية يقود

بصورة طبيعية الى التعرف على كل النصوص الأخرى التي تكشف عن غوامضه وتفصل مجملاته وتتم ما نقص منه أو تصح ما تسرب إليه من الخطأ، إن هاته النصوص منطلقات بالنسبة للباحث نحو ميدان التاريخ فيجوس في حقوله المختلفة ويتوقف عند النقط التي تدفع للتأمل والتساؤل.

ولا بد لي من الاعتراف بأن هنالك فصولا من التاريخ لم أجد لها من النصوص ما يعرف بها على وجه الكفاية والتدقيق فنحن عياك على مصادرنا الحالية. وهي مصادر قد أفاضت في أبواب وشحت في أخرى، ومن المعلوم أن مؤرخينا كانوا يهتمون بالتاريخ السياسي في المقام الأول، ولا يعيرون للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي الا التفاتات قصيرة، فلأيد، اذن من الخروج عن المصادر التاريخية المتخصصة والبحث في مصادر من نوع آخر مثل كتب الأدب والفقه وغيرها لتصيد بعض المعلومات النادرة والمفيدة، وهذا ما لجأت اليه وسمح لي بأن أعقد أبوابا خاصة بالحياة الاقتصادية والاجتماعية.

اني، وأنا أقدم هذا الجزء للجمهور، اود ان أوضح أنني فكرت قبل كل شيء في طلبتنا المقبلين على دراسة التاريخ. فلربما كان الكثير منهم يأتون الى الجامعة ولهم صورة عن التاريخ لا تخرج عن كونه نوعا من القصص المهيذب لأحداث واقعية. ولعل بعض المتطفلين على كتابة التاريخ غرسوا في مخيلتهم مثك هاته الصورة التبسيطية، والحقيقة ان التاريخ أكثر طموحا وأقوى تعقيدا من ذلك، كما تدل على ذلك النظريات والمدارس الجديدة التي ظهرت في عصرنا والتي تتناوله باهتمامات جديدة . ولا نستطيع ان نخرج بتاريخنا الاسلامي أو المغربي من الصورة القصصية أو العنترية الى الصورة العلمية الصحيحة الا اذا أخذنا بتلك المناهج الجديدة واستفدنا منها، فالأمل معلق على الجيل الصاعد من مؤرخينا حتى يؤدوا هاته المهمة على أحسن وجه.

وقد صدرت هذا الجزء بتقديم نص نموذجي بقصد إفادة الطالب والباحث المبتدئ حتى يستأنسا بالطريقة المطلوبة في تناول النصوص ويبدركا الغاية من ذلك ويعرفا مدى ما تدفع اليه القراءة المتأنية للنصوص من تعمق في التساؤل والبحث وفي الختام أرجو أن أتلقى من المستعملين لهذا الكتاب كل الملاحظات والاقتراحات التي من شأنها أن تساعد على تحسينه في طبعة تالية.

محمد زنيبر

# فهرس

- 7 ..... تقديم 1 -  
..... الفهرس 2 -  
15 ..... شرح نموذجي لأحد النصوص 3 -  
الباب الأول  
33 ..... الدعوة العباسية  
35 ..... وصية أبى هاشم إلى محمد بن علي العباسي 1 -  
36 ..... تعليمات الامام محمد لنقباء الدعوة 2 -  
36 ..... النقباء الاثنا عشر 3 -  
37 ..... كتاب الدعوة العباسية 4 -  
38 ..... أول ديوان شيعة بنى العباس 5 -  
38 ..... الرضا من آل محمد 6 -  
39 ..... اضطراب خراسان وظهور أبى مسلم 7 -  
40 ..... أبو مسلم الخراساني 8 -  
41 ..... خبر بكير والبيعة 9 -  
42 ..... صورة عن نشاط الدعاة 10 -  
43 ..... استغلال الدعاة العباسيين للخلاف بين المصيرية واليمينية 11 -  
44 ..... تردد أبى سلمة الخلال في بيعة العباسيين 12 -  
الباب الثاني  
47 ..... شخصية الخلفاء  
49 ..... بعض صفات المنصور 13 -  
50 ..... صفات المنصور 14 -  
50 ..... صفات المهدي 15 -

- 16 - اطلاع المأمون على أحوال أصحابه ..... 51
- 17 - عرس خليفة ..... 52
- 18 - غداء عند المأمون ..... 54
- 19 - وفاة المأمون ووصيته ..... 55
- 20 - موكب عيد في عهد المعتصم ..... 57

### الباب الثالث

- التطورات السياسية ..... 59
- 21 - ظروف تولية السفاح ..... 61
- 22 - الخطبتان عند بيعة السفاح ..... 61
- 23 - الخصوم الأولون للدولة الجديدة ..... 64
- 24 - استرضاء المنصور لجنود أبي مسلم ..... 66
- 25 - المراسلة بين المنصور والنفوس الزكية ..... 66
- 26 - دعوة العلويين في البلدان ..... 68
- 27 - ثورة إبراهيم بن عبد الله العلوي ..... 69
- 28 - رأي المنصور في الخلاف مع العلويين ..... 70
- 29 - سياسة العباسيين الدينية ..... 71
- 30 - وقعة فخ ..... 72
- 31 - تضييق الهادي على الطالبين ..... 73
- 32 - من رسالة يحيى بن زياد في تقرير الرشيد ..... 73
- 33 - حيرة الرشيد في اختيار ولي العهد ..... 76
- 34 - من كتاب الرشيد إلى العمال بشأن إسناد ولاية  
العهد إلى الأمين والمأمون ..... 77
- 35 - تغيير الرشيد على البرامكة ..... 78
- 36 - نكبة البرامكة ..... 80
- 37 - تقرير مرفوع إلى الرشيد عن الحالة في خراسان ..... 81
- 38 - موت الرشيد ..... 83
- 39 - الأمين يستعد لخلع المأمون ..... 85
- 40 - المأمون يرفض التنازل للأمين ..... 86

- 41 - المأمون يحدد سياسته ..... 87
- 42 - الخلاف في معسكر الأمين ..... 88
- 43 - العصبية بين العرب والخراسانيين ..... 90
- 44 - النزاعات الشخصية في بلاط المأمون ..... 91
- 45 - نظرة عن الحالة عند تولى المامون ..... 92
- 46 - عودة المامون إلى لبس السواد ..... 93
- 47 - المامون يمهّد للتصالح مع البغداديين ..... 94
- 48 - ذكر اتصال يحيى بن أكثم بالمامون ..... 95
- 49 - الحالة في مصر في أول القرن الثالث ..... 96
- 50 - تنحية القاسم من ولاية العهد ..... 97
- 51 - نهاية بابك ..... 97
- 52 - ثورة المازيار ..... 100
- 53 - الأحوال في عهد الواثق ..... 101

#### الباب الرابع

- الصراع مع البيزنطيين ..... 103
- 54 - غزوة هارون بن المهدي الصائفة ببلاد الروم ..... 105
- 55 - من رسالة أبي الربيع محمد بن الليث ..... 106
- 56 - الخبر عن نقص الروم للصلح ..... 107
- 57 - فتح الرشيد هرقل ..... 110
- 58 - العلاقات بين المامون وتوفيك البيزنطي ..... 111
- 59 - وقعة عمورية ..... 112

#### الباب الخامس

- التنظيمات السياسية والإدارية ..... 115
- 60 - كيف ينظر المنصور إلى منصب الخلافة ..... 117
- 61 - المامون يدافع عن حقه في الخلافة ..... 117
- 62 - رأي في الخلافتين الأموية والعباسية ..... 119
- 63 - إدارة المنصور ..... 119

- 121 ..... أول وزراء العباسيين - 64
- 121 ..... وزارة يحيى البرمكى - 65
- 123 ..... تقليد الفضل بن سهل سلطات واسعة - 66
- 124 ..... الوزارة عند العباسيين - 67
- 125 ..... استعلامات المنصور - 68
- 126 ..... صاحب الخبر - 69
- 127 ..... الحجابة في عهد العباسيين - 70
- 127 ..... مشاكل القضاء - 71
- 129 ..... تحرى المامون في القضاء - 72
- 130 ..... نظام البريد العباسي - 73
- 131 ..... النشاط العسكرى في الثغور - 74
- 132 ..... جند خراسان - 75
- 132 ..... سياسة المنصور في اختيار الولاة - 76
- 133 ..... من وصية طاهر بن الحسين - 77
- 134 ..... الأجور والأسعار - 78

### الباب السادس

- 137 ..... ملامح من الحياة الاقتصادية والاجتماعية - 137
- 139 ..... مداخيل الدولة في عهد الرشيد - 79
- 144 ..... الجبايا في عهد المأمون - 80
- 148 ..... النقد عند العباسيين - 81
- 150 ..... مقارنة بين الدولتين العباسية والبيزنطية - 82
- 152 ..... شهادة عن النشاط التجارى - 83
- 153 ..... التجار والحرب المدنية - 84
- 154 ..... أخبار الصين والهند - 85
- 156 ..... طبقات المجتمع العباسي - 86

### الباب السابع

- 157 ..... ملامح من الحياة الفكرية والثقافية - 157

159	.....	87	— ملاحظات سفير بيزنطى في بغداد
160	.....	88	— أجرة السفير العباسي
160	.....	89	— إشراف البرامكة في بناء القصور
161	.....	90	— حركة شعبية لمقاومة الفساد
162	.....	91	— رأي أحد المسؤولين عن العامة
163	.....	92	— الآراء عن الامامة
165	.....	93	— مبادئ المنعزلة
167	.....	94	— الراوندية
167	.....	95	— الخرمية وقتل أبي مسلم
168	.....	96	— شهادة عن الشعبية
170	.....	97	— المهدي والزنادقة
171	.....	98	— تأديب الأمراء
		99	—
100	.....	100	— من عادات أئمة الفقه
173	.....	101	— رسالة مالك إلى الليث بن سعد
174	.....	102	— المذاهب الفقهية
176	.....	103	— موازنة بين المذاهب الفقهية
177	.....	104	— التحرى في استعمال الحديث
178	.....	105	— محنة مالك





## شرح نموذجي لأحد النصوص

### الوزارة عند العباسيين

فلما جاءت دولة بني العباس واستفحل الملك وعظمت مراتبه وارتفعت عظم شأن الوزير وصار إليه النيابة في انفاذ الحك والعقد وتعينت مرتبته في الدولة وعنت لها الوجوه وخضعت لها الرقاب وجعل لها النظر في ديوان الحساب لما تحتاج إليه خطته من قسم الأعطيات في الجند، فاحتاج إلى النظر إلى جمعه وتفريقه وأضيف إليه النظر فيه ثم جعل لها النظر في القلم والترسيك لصون أسرار السلطان: ولحفظ البلاغة لما كان اللسان قد فسد عند الجمهور وجعل الخاتم لسجلات السلطان ليحفظها من الذيعاع والشيعاع ودفع إليه فصار اسم الوزير جامعاً لخطتي السلف والقلم وسائر معاني الوزارة والمعاونة حتى لقد دعى جعفر بن يحيى بالسلطان أيام الرشيد إشارة إلى عموم نظره وقيامه بالدولة ولم يخرج عنه من الرتب السلطانية كلها إلا الحجابة التي هي القيام على الباب. فلم تكن له: لاستنكافه عن مثل ذلك .

ابن خلدون

كتاب العبر، ط بيروت، 1967 ص 422

## الشرح

### مقدمة

أمامنا نص مقتبس من كتاب مؤرخ هو ابن خلدون، والمؤلف مشهور بحيث لا يحتاج الى الإفاضة في ترجمته، وإنما نكتفي بالعناصر الأساسية، وخاصة منها ما يهم الموضوع المعالج في النص

ابن خلدون [ 732 - 808 هـ / 1332 - 1406 م ] نشأ بتونس وهو ينتمي لاحدى الأسر التي هاجرت من الأندلس والتي أصبح لها مركز مرموق بتونس وكانت لها صلات بالدولة الحفصية. ودرس مختلف العلوم المعروفة في عصره على عدد من كبار الشيوخ نذكر منهم، على الخصوص، القصار وابن جابر الوادياشي والسطي والحضرمي والابلي. اشتغل في أول أمره ككاتب علامة للسلطان بتونس. ورحل في سنة 755 الى فاس حيث صار من خاصة السلطان أبي عنان المريني وعمل ككاتب معه وانخرط في سلك مجلسه العلمي، فكانت له اتصالات مع عدد من كبار العلماء بالمغرب والأندلس. وفي سنة 764، سافر الى الأندلس ووجد هناك ترحيبا من سلطان غرناطة ابن الأحمر الذي كلفه بمهام دبلوماسية في التفاوض مع ملك قشتالة بدرو. لكنه لم يستطع المكوث أكثر من سنتين بتلك البلاد وتوجه في سنة 766 الى بجاية. وبرغم اهتمام أمراء المغرب الأوسط به والحاحهم في دعوته الى حاضرتهم، فإنه لمك جو الداسنس والمؤامرات والانقلابات الذي كان سائدا ببلاد المغرب عموما بعد ان قضى عشر سنوات أخرى يتقلب بين تلمسان وفاس والأندلس، واضطر للاعتذار الى السلطان أبي حمو الذي حاول أن يكلفه بمهمة سياسية خطيرة، والتجأ لدى اولاد عريف الذين اووه في قلعة ابن سلامة من بلاد بني توجين، وهناك اعتكف على تأليف «المقدمة» التي أخذت منه أربع سنوات.

ثم عاد الى تونس في سنة 780. لكن لم يطب له المقام بها فارتحل بقصد اداء فريضة الحج سنة 784. لكنه توقف في مصر حيث تهافت عليه طلبة العلم

يلتمسون منه القاء الدروس عليهم، وهكذا اتخذ له حلقة بالأزهر. ثم عينه السلطان برقوق قاضيا للمالكية بالقاهرة سنة 786 ورزيء في أسرته التي غرقت في البحر وهي في طريقها اليه من تونس. فلم يجد عزاءه الا في الاكباب على العلم ومواصلة التدريس والتأليف وحج في سنة 789. وتقلب في وظائف التدريس والقضاء وكانت له مقابلة مشهورة مع نيمور لنك. الطاغية التتري في دمشق. وقضى بقية حياته بالقاهرة حيث وافته المنية سنة 808.

التأليف الذي اشتهر به ابن خلدون هو «كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر». وهو مؤلف ضخم يقع في سبعة مجلدات كبيرة في موضوع التاريخ. وقد جعل المجلد الأول مقدمة للكتاب فعرف باسم «المقدمة» واشتهر ككتاب مستقل قائم بذاته. ففيه حاول أن يبحث في قوانين التاريخ مما دفع به الى تحليلات مفصلة عن مظاهر الحياة الاجتماعية وتطور المجتمعات. معززا نظرياته بالوقائع التاريخية والمعلومات التي استقاها من تجربته الشخصية كرجل دولة او مشاهداته المباشرة أثناء تقلبه بين البوادي والحوضر او من ثقافته الواسعة. كل هذا جعل عددا من الباحثين في عصرنا يعتبرون ابن خلدون كأكبر رائد لعلم الاجتماع او السوسيولوجيا. أما بقية الكتاب فهو تاريخ عام للعالم الاسلامي ويتميز بالمعلومات النفيسة التي يحتويها عن تاريخ البلاد المغربية.

## تحليل

الفكرة الجوهرية التي يبرزها ابن خلدون في هاته الفقرة هي أن الوزارة بمعناها الكامل لم تظهر ولم تصبح وظيفة حيوية وراسخة في الدولة الاسلامية الا في عهد الخلافة العباسية

فالنص يبين لنا :

1 - كيف ارتفع شان الوزير حتى صار ينوب عن الخليفة

2 - كيف تعينت اختصاصاته واتسعت سلطته.

## ببليوغرافية مختصرة

إذا أردنا، الآن، أن نتوسع في شرح هذا النص. لا بد لنا من الاعتماد على مراجع مختلفة، ومن حسن الحظ أن موضوع الوزارة نال العناية من عدد من الباحثين

المعاصرين بحيث نحيل عليها كل من أراد التوسع في معرفة المراجع. فهناك،  
مثلا، القائمة البليوغرافية الحافلة التي قدمها الاستاذ «دومينيك سوردليك» في  
كتابه «الوزارة العباسية» الذي نشره باللغة الفرنسية

D. Sourdel ; Le Vizirat Abbasside de 749 à 936, Damas 1959.

وهناك القائمة التي قدمها الاستاذ العراقي الدكتور توفيق سلطان البيوزكي

في كتابه «الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية». 1976

ونقتصر هنا على ذكر أهم المراجع :

- 1 - ابن خلدون : كتاب العبر
- 2 - الطبري : تاريخ الرسل والملوك
- 3 - المسعودي : مروج الذهب
- 4 - ابن خلكان : وفيات الأعيان
- 5 - الماوردي : الأحكام السلطانية
- 6 - الجهشياربي : الوزراء والكتاب
- 7 - الصابي : تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء
- 8 - مسكويه : تجارب الأمم

ومن بين الدراسات الحديثة في الموضوع، نشير الى :

1 - توماس ارنولد الخلافة

تعريب جميل معلي دمشق 1946

2 - محمد أحمد يرانق الوزراء العباسيون القاهرة 1948

3 - عبد العزيز الدوري النظم الاسلامية بغداد 1950

Encyclopédie de l'Islam 1<sup>e</sup> et 2<sup>e</sup> édition

D. Sourdel : Le Vizirat Abbasside

ويجب أن نعتد، باديء ذي بدء، على ابن خلدون لأن النص مقتبس من

مقته.

## التحليل المفصل

من المعلوم أن الدولة العباسية احتلت مركزا خطيرا في تاريخ الاسلام سواء  
باتساع رقعتها، التي كادت تشمل دار الاسلام بكاملها في عهد عظمتها، أو بطول  
مدتها التي تمتد الى أزيد من خمسة قرون من 132 الى 656 هـ، أو بتأثيرها الحاسم

في ميدان الحضارة والثقافة العربية الاسلامية. وفي ضمن هذا التأثير التطور الذي عرفه نظام الحكم الاسلامي في عهدها، ووظيفة الوزارة التي يتحدث عنها النص تمثل ركنا أساسيا في هذا التطور. وكل هذا يدفع بنا، أولا، الى تقديم ايضاحات عن نشأة منصب الوزارة.

والوزارة في أصلها اللغوي ترجع، كما أشار ابن خلدون، اما إلى المؤازرة أي المعاونة بحيث يكون الوزير بمثابة المساعد، أو إلى الوزر أي الثقل. فيكون الوزير بهذا المعنى الأخير مكلفا بحمل الأثقال أي أعباء الدولة ومشاكلها. والمعنيان متقاربان، على أي حال، ويدلان على تحمل المسؤولية في تقديم نوع من المعاونة. لكن المدلول اللغوي لا يكفي لتوضيح خطة الوزارة كما برزت في سياق تاريخي معين. وهكذا فقد ظهرت المؤازرة والمعاونة في الدولة الاسلامية منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم. فكان أبو بكر الصديق متميزا بوظيفته كمستشار ومساعد له. وهو نفس الدور الذي قام به عمر مع أبي بكر حينما تولى الخلافة. ولنا أن نذكر مثلك ذلك عن عثمان وعلى. ولكن، أيصح لنا القول إن ذلك يدك على قيامه وظيفه الوزارة كنظام من أنظمة الدولة الاسلامية؟

يجيب ابن خلدون على هذا السؤال بأن الخلافة في أصلها دين وليست من «السياسة الملكية» في شيء. ولذا فلم «يكن لفظ الوزير يعرف بين المسلمين لذهاب رتبة الملك بسداجة الاسلام». فالوظيفة كانت مبنية على نوع من التنظيم والتعقيد لم يكن يتجانس مع بساطة المجتمع الاسلامي الأول «لأن القوم كانوا عربا أميين لا يحسنون الكتاب والحساب، فكانوا يستعملون في الحساب أهل الكتاب أو أفرادا من موالى العجم ممن يجيده».

فالوظيفة كما يبين ابن خلدون مرتبطة بتحول الخلافة الى ملك وهو ما حدث في عهد الامويين. لكن هؤلاء اهتموا قبل كل شيء بالحجابه لسد الباب دون الجمهور لانهم «كلنوا يخشون على أنفسهم من اغتيال الخوارج وغيرهم كما وقع بعمر وعلى ومعاوية وعمر بن العاص وغيرهم مع ما في فتحة من ازدحام الناس عليهم وشغلهم بهم عن المهمات». ومع تطور الدولة الأموية، وقع الاحتياج الى «المشاووز في أمور القبائل والعصائب وأطلق عليه اسم الوزير» (1) الا أن عمله ظل محصورا في نطاق محدود ولذ فقد ظلت شخصيته مغمورة .

(1) في كل هاته الاقتباسات يُراجع ابن خلدون المقدمة 419 - 422 . بيروت 1967

ك هذا يعني أن وظيفة الوزارة لم تكتسب صبغتها الحقيقية وتشتمل على كامل مضمونها الا في عهد الدولة العباسية إذ «استفحل الملك وعظمت مراتبه وارتفعت» وعبارة المؤلف تشير هنا الى الفرق الكبير بين مظهر الخلفاء الأمويين والخلفاء العباسيين. فالاولون ظلوا على بساطة الأمراء العرب التقليديين في زيهم وهيئتهم واستقبالهم للناس وبروزهم للجمهور. بينما الاخرون أحاطوا أنفسهم بمظاهر الأبهة والعظمة وتشبهوا نوعا ما بإكاسرة الفرس واقتبسوا بعض أنظمتهم. فصار للخلافة في أيامهم هيئة وهيئة عظيمة ومظهر فخم. واستفاد أعوان الخليفة ومساعدوه أنقربون من هذا التطور، فجعلوهم أيضا لانفسهم مكانة ومظهرا.

هذا الجانب المظهري كانت له أهميته الكبرى. من دون شك. لكن هنالك عوامل أخرى كان لها الأثر البالغ في هذا التطور. نذكر منها :

1 - تطور المجتمع ونمو الحضارة خلقا مهام جديدة ومتشعبة للدولة. مما نتج عنه اتساع في المشاغل السياسية والادارية. ويكفى أن نقوم بمقارنة بسيطة بين المجتمع الاموي والمجتمع العباسي.

2 - انتقال مركز الدولة من الشام الى العراق أي من بيئة تغلب عليها العروبة والمؤثرات المتوسطة الى بيئة تختلط فيها العروبة بالمؤثرات الايرانية وماوراءها من حضارات تمتد الى أعماق اسيا والمحيط الهندي.

3 - الصلاحية الكبرى المخولة للوزير التي يلخصها ابن خلدون في عبارة «النيابة في انفاذ الحل والعقد». وهذا يعني أنه ينوب عن الخليفة في تدبير شؤون الدولة على اختلافها وهو مايعبر عنه الماوردي حين يذكر أن الوزارة يجب أن تعقد لصاحبها بلفظ يشتمل على شرطين :

أ - عموم النظر

ب - النيابة (2)

وقد تنحصر هذه النيابة في التنفيذ كما كان الشأن بالنسبة لوزراء المنصور، مثلا. وقد يعلو شأنها فتتحول الى تفويض، كما كان الشأن بالنسبة للبرامكة مع الرشيد في العهد الاول من توليتهم. والمهم هو أن الوزارة أصبحت تقليدا عاما يشمل سائر شؤون الدولة

(2) الماوردي : الأحكام السلطانية : القاهرة 1973 ص 23

كل هذا يمهّد لتفسير العبارة التي استعملها ابن خلدون بعد ذلك حين قال:  
«وتعينت مرتبته في الدولة.» ومن المعلوم أن فعل **تعين** يحتمل معنيين :

1 - معنى اللزوم أي أن الوزارة أصبحت وظيفة لامناص منها للدولة وهو ما ينسجم مع ما ذكرناه أنفاً عن التطور الواسع الذي عرفته الدولة الإسلامية بعد قيام العباسيين

2 - معنى الاتضاح أي إن الوزير أصبحت أمامه مهمة دقيقة محددة. وهو ما يطابق، أيضاً، التطور الفعلي الذي انطلق مع الدولة العباسية وظاهر كلام ابن خلدون في هاتئ الفقرة أن الوزارة لم **تبتدي**؛ على حقيقتها الا في عهد الدولة العباسية وسنعود لهاته الفكرة عند التعليق.

يدخل ابن خلدون بعد ذلك في ذكر بعض مهام الوزير. وهي التي نقف الان عندها، بقصد التوضيح :

3 - **ديوان الحسبان** : المراد به الديوان المكلف بك الحسابات المتعلقة بمال الدولة أي ما يطابق مانسميه اليوم وزارة المالية. وكثيرا ما يستعمل ابن خلدون لفظة الحسبان للإشارة الى ذلك. فهو يذكر أن أمر الحسبان كان يضطلع به الموالي والذميون في عهد بني أمية (3) وعند حديثه عن الأمويين بالاندلس يشير الى كونهم «جعلوا لحسبان المال وزيرا» (4) ويستعمل نفس الكلمة عند حديثه عن عدد من الدول المغربية. ومن دون شك أن هذا الديوان هو الذي يسميه ابن خلدون باسم اخر ويعقد له فضلا خاصا وهو **ديوان الأعمال والجبايات**، الذي يقول عنه :

«اعلم ان هذه الوظيفة من الوظائف الضرورية للملك، وهي القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج واحصاء العساكر باسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم في اباناتها والرجوع في ذلك الى القوانين التي يرتبها قومه تلك الأعمال وقهارة الدولة، وهي كلها مسطورة في كتاب شاهد بتفاصيل ذلك في الدخل والخرج مبنى على جزء كبير من الحساب لا يقوم به الا المهرة من أهل تلك الأعمال، ويسمى ذلك الكتاب بالديوان، وكذلك مكان جلوس العمال المباشرين لها» (5)

(3) ابن خلدون 422/1

(4) ابن خلدون 424/1

(5) ن.م. 430

ومجمل القول أن الوزير أسندت اليه مراقبة الشؤون المالية بواسطة ديوان خاص ، وهذا لم يمنع من استحداث دواوين أخرى للمزيد من الضبط الإداري فنجد :  
مثلا :

– ديوان الخراج : وهو الديوان المكلف بتحديد الضرائب المفروضة على الانتاج الفلاحي وقيضاها. والأراضي التي تؤدي هذه الضريبة على نوعين : أراضي الخراج وأراضي العشور.

– ديوان بيت المال : تودع في بيت المال معظم مداخيل الدولة. ومن مهمة هذا الديوان أن يوازن بين المداخيل والنفقات.

– ديوان الجيش : مهمته النفقة على الجيش من رجاك ومعدات ودواب

– ديوان النفقات : يؤدي للموظفين رواتبهم. والعطاءات المقررة لأبناء الناس العباسية والطلبية

– ديوان الزمام : مهمته مراقبة الحسابات المالية وهناك دواوين أخرى تدخل في هذا الصنف لم نذكرها تجنباً للاطالة. ونكتفي بالإشارة أن تنظيم الشؤون المالية في تفاصيلها ربما اختلف من عهد خليفة الى آخر. وقد خضع لتقلبات ناشئة عن الازمات التي اجتازت منها الدولة وعن الضعف الذي بدأ يسري اليها ابتداء من القرن الثالث الهجري، ونحيك القاريء هنا على كتاب الدكتور الرئيس «الخراج والنظم المالية» ففيه مايكفي من الايضاحات والتفاصيل كما نحيله على كتاب «الأحكام السلطانية للماوردي» ففيه فصول خاصة بهذا الموضوع.

نضيف هنا نقط فيما يخص قسم الأعطيات في الجند ملاحظات لها اعتبارها. فالدولة الاسلامية في عهد انطلاقها وازدهارها كان لها جيش كبير. وكان للجنود رواتب يتقاضونها بانتظام. وقد تدخل الفقه في هذا الموضوع المهم ليقرر فيه تشريعا لا يخلو من اثاره الاعجاب. فيقول الماوردي عن رزق الجندي :

«وأما تقدير العطاء فمعتبر بالكفاية حتى يستغني بها عن التماس مادة تقطعه عن حماية البيضة. والكفاية معتبرة من ثلاثة أوجه : أحدها عدد من يعوله من الذراري. والثاني عدد مايرتبطه من الخيل والظفر. والثالث الموضع الذي يحله في الغلاء والرخص. فيقدر كفايته في نفقته وكستوته لعامة كله، فيكون هذا المقدر في



عطائه. ثم تعرض حاله في كل عام. فان زادت رواتبه الماسة زيد وان نقصت نقص» (6).

وهكذا، بلغ راتب الجندي الشهري اiban ازدهار الدولة العباسية عشرين درهما. وكان ديوان الجيش هو الذي يوزع على الجنود أعطياتهم. وفي بعض الاحيان. كان الخليفة عند حدوث ثورة أو فتنه يقوم هو نفسه بتوزيع أعطيات استثنائية على الجند لتشجيعهم واستئلافهم. وإذا ما تأخر عنهم العطاء ربما أحدثوا الشعب وثاروا على الخليفة.

الى جانب تلك المهام الخاصة بالمالية. كانت الوزارة هي التي تباشر معظم المراسلات الصادرة عن الدولة. فنذكر منها. على سبيل المثال المراسلات الموجهة للولاة والعمال والقضاة وأمراء الجيش وغيرهم من الرسميين والمكلفين بمأمورية ما. وكذلك الى الخواص. وهنالك، بالطبع، مراسلات تدخل في العلاقات الخارجية كالتي كانت تدور، مثلا، بين بعض الخلفاء العباسيين والأباطرة البيزنطيين.

ومن بين الدواوين المهمة التابعة للوزير ديوان الرسائل وهو المكلف بتحرير المراسلات على اختلاف أنواعها وكان الوزير يراقب تلك المراسلات وربما قام هو بنفسه بتحرير مايعتبره مهما منها. ومن ثم كان أغلب الوزراء والكتاب الذين اشتغلوا مع الخلافة العباسية في عهد ازدهارها يتميزون بكفاءتهم الفائقة في الانشاء والبلاغة مثل البرامكة والفضل بن سهل وأحمد بن يوسف وعمرو بن مسعدة الخ...

ولربما كان في الحرص على البلاغة حرصا على مظهر الدولة وحفظا لسمعتها وهيبتها حتى تكون كلمتها ذات وقع ونفاذ

ويشير هنا ابن خلدون عرضيا الى الدور الذي قامت به الدولة العباسية وكثير من الدول الاسلامية من بعدها في الدفاع عن العربية الفصحى ويعرض للموضوع بشيء من التبسط في فقرة اخرى اذ يقول. متحدثا عن وظيفة الكتابة :

«وانما أكد الحاجة إليها في الدولة الاسلامية شأن اللسان العربي والبلاغة في العبارة عن المقاصد. فصار الكتاب يؤدي كنه الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية في الأكثر. وكان الكاتب للامير يكون من أهل نسبه ومن عظماء القبيلة. كما كان للخلفاء وأمراء الصحابة بالشام والعراق. لعظم أمانتهم وخلص أسرارهم. فلما فسد اللسان وصار

(6) الماوردي : الأحكام ... ص 205

صناعة اختص بمن يحسنه. وكانت عند بني العباس رفيعة. وكان الكاتب يصدر السجلات مطلقة ويكتب في آخرها اسمه، ويختتم عليها بخاتمه السلطان» (7)

ونشير هنا. بالإضافة، أن فساد اللغة وشيوع اللحن كانا من العوامل التي شجعت في نفس الاونة نهضة العلوم اللغوية والأدبية. وبالأخص النحو الذي ازدهرت مدرستان له في العراق بالكوفة والبصرة. كما أن هنالك عددا من المؤلفين الذين اهتموا بتكوين ثقافة الكتاب وتمكينهم من أدوات التعبير واللغة مثل الجاحظ في كتابه المشهور «البيان والتبيين» وابن قتيبة في «ادب الكاتب» والمبرد في «الكامل» الخ.. ومن ثم كانت كتب الأدب حافلة برسائل الوزراء والكتاب لأن عددا من هؤلاء أصبحوا بالفعل من أصحاب الكتابة الرفيعة. ويذكرنا النص بنفس المناسبة أن ظهور العمامة بدأ مع الدولة العباسية، ولربما قبل ذلك. والمهم هنا هو تسجيل العمامة كظاهرة سارية في المجتمع الاسلامي. فتسرب اللحن الى كلام الجمهور لم يحدث على نطاق واسع الا عند اختلاط العرب بالعجم في كبريات المدن مثل بغداد والبصرة والفسطاط والقيروان وفاس وقرطبة الخ..

يتعرض ابن خلدون بعد ذلك لذكر بعض الشروط التي يجب أن تتوفر في مراسلات الدولة حتى تثبت صحتها. من جهة، وحتى تصان سريتها، من جهة أخرى. فبالنسبة للمكاتبات والوثائق السرية التي لا يطلع عليها الا بعض المسؤولين المعنيين بها كان هنالك خاتمه رسمي للخليفة تختم به حتى لا تفزع الا من طرف الجهة الموجهة اليها. وكان هنالك، أيضا، ديوان خاص بهاتمه المهمة يسمى ديوان الحاتمه. او ديوان السر ولا يعمل فيه الا أناس مجربون ومنتخبون يحظون بثقة الخليفة. والكاتب المكلف به هو الذي يؤشر على مكاتبات الدولة بعد أن يتأكد من وفاتها بالشروط المطلوبة والخاتمه الموضوع عليها هو الذي يشهد وبصحتها ويكسبها قيمتها الرسمية. وبالإضافة الى ما سبق نشير الى كون الخليفة كان له. الى جانب خاتمه الرسمي، خاتمه شخصي لا يستعمله الا في مناسبات قليلة ويعتبر رمزا لسيادة الخليفة.

(7) ابن خلدون : مقدمة ص 436

(8) أحمد أمين : ضحى الاسلام

وفي النص، أيضا، إشارة إلى سجلات السلطان وهي السجلات التي كانت تنسخ فيها كل الوثائق الرسمية لتظل محفوظة في مكاتب الدولة أي مايعبر عنه، اليوم، بكلمة أرشيف إلا أن المحافظة على هاته السجلات ربما لم يكن أمدها يطول، ولأدلى على ذلك من ضياع معظمها. وأسباب ضياعها كثيرة ليس هذا محل درسه. ومن المعلوم أننا، اليوم، حين نريد أن نبحث في تاريخ العصور الإسلامية الأولى لانكاد نظفر إلا بقلة قليلة من الوثائق كتلك التي كتبت في أوراق البردي، مثلا. وابن خلدون، على أي حال، استطاع أن يشاهد البعض منها ويطلع عليها عن كثب، سيما وقد عمل هو نفسه في دواوين الدولة الحفصية والمرينية. وكانت له اتصالات مستمرة مع السلطان أينما حل وارتحل.

يتضح مما تقدم أن الوزير هو الذي كان ممسكا بخاتم الخليفة ومسؤولا عنه يستعمله في مباشرة كل شؤون الدولة. فهو، إذن، يحظى بكامل ثقة الخليفة وله الصلاحية في القيام بالمهام العسكرية والمدنية على حد سواء وهو ماأشار إليه ابن خلدون حين قال إنه كان يجمع بين خطتي السيف والقلم. ولنا أمثلة كثيرة على ذلك. وهكذا نجد البمامكة قد شغلوا الوظيفتين. فالفضل بن يحيى هو الذي يقود الجيوش لمحاربة يحيى بن عبد الله العلوي في الديلم. وأخوه جعفر يقوم بنفس المهمة في الشام. وكذلك الفضل بن سهل وزير المأمون كان هو الذي أشرف من بعيد على الحروب التي أثارها المأمون سواء ضد أخيه الأمين. أو ضد الثورات المختلفة التي نشبت في الامبراطورية الإسلامية. وكان كبار القواد العسكريين مثل طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين يأترون بأوامره ويذهبون جانبه. وبالجملة فقد كان الوزير، إلى جانب مهامه السياسية والمدنية، يساعد الخليفة في تسيير الشؤون العسكرية والقيام على تدبير الحرب ولايفهم من عبارة ابن خلدون أنه هو الذي كان يقود الجيش لزوما

ويضرب النص المثل على ذلك بجعفر بن يحيى البرمكي. فمنذ أن تولى الرشيد الخلافة، أسند الوزارة إلى الشخص الذي كان وزيرا له وهوولي العهدأي يحيى بن خالد البرمكي وظل يشغل هذا المنصب طوال سبع عشرة سنة من 786/170 إلى 803/187. وكان تعيينه ينطوي على تفويض واسع، ويعبر عن

D. Sourdel : Le Vizirat Abbasside

(9)

Encyclopedie de l'Islam 2ème éd. art Al-Baramika

(10)

منتهى الثقة من لدن الخليفة، واستعان يحيى في الاضطلاع بأعباء الدولة بولديه الفضل وجعفر اللذان اكتسبهما أيضا نفوذاً وجاهاً كبيراً حتى كانا يتحليان كلاهما بلقب الوزير، واستطاع جعفر، بالخصوص، أن يتمتع بعطف الخليفة، فكان يعيش قريباً منه باستمرار فيقوم بأعباء الوزارة ويتكلف بمهام كبيرة والى جانب ذلك يقاسمه خلواته وسهراته وينادمه، وتنقل لنا كتب الأدب أخباراً وحكايات كثيرة في هذا الشأن. كل هذا جعل نفوذ جعفر يعظم. وكلمته تسمع، حتى أصبح يتخذ قرارات خطيرة دون الرجوع الى الخليفة وهذا ما جعل الناس يدعونه بالسلطان، ولعل هذا أحد الاسباب التي أدت فيما بعد الى نكبة البرامكة في سنة 187.

كانت سلطة جعفر واسعة لها عموم النظر في شؤون الدولة وتغطي سائر الرتب السلطانية ماعدا واحدة منها وهي الحجابة (12). وهي رتبة لها أهميتها وخطورتها فكان الحاجب في الخلافة العباسية يأتي بعد الوزير وربما قامت بينهما منافسة، ولدينا أمثلة في هذا العهد على حجاب استطاعوا أن ينجحوا بعض الوزراء بدسيسة منهم وأن يتولوا مكانهم. وكان الحاجب مكلفاً بمهمة تظهر بسيطة، لأول وهلة، ولكن لها في الواقع وزنها وتأثيرها في سير الشؤون العمومية، فهو الذي يقوم على استقبالات الخليفة ويبلغه صوت الزائرين وقضايا المشتكين. فإذا كان ماهراً ذكياً يستطيع أن يؤثر عليه ويوحي له بالقرارات التي يريد (13).

وكان المكلف بالحجابة في العهد الاول من خلافة الرشيد محمد بن خالد البرمكي وفي سنة 179 نجاه من هذا المنصب وعين مكانه الفضل بن الربيع الذي اشتهر بعدائه للبرامكة وكان له دور فعال في النكبة التي لحقت بهم

### تعليق

1 - كتاب العبر من المصادر التاريخية الموثوق بسلامة نصها من التزوير والتحريف. فقد اشتهر الكتاب عند صدوره وتعددت نسخه في بلاد المغرب

(11) اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس

(12) عن الحجابة انظر الفصل الخاص الذي عقده ابن قتيبة في «عيون الاخبار» عن هذا الموضوع. نظراً لقربه من هذا العهد.

(13) أحسن مثال على ذلك الدور الذي قام به الفضل بن الربيع سواء مع الرشيد او مع ولده الأمين.

والشرق. كما ان لابن خلدون أسلوبا متميزا يعسر تقليده ويعرفنا به عند قراءته. وعلى أي فله يثر النقد التاريخي أي ملاحظة على نص ابن خلدون وصحته.

2 - أما المضمون التاريخي الوارد في النص فهو لايتعلق بخبر جديد أو بحادثة معينة أو برواية خاصة في موضوع محدود. بل إنه يقدم لنا خلاصة ما استفاده ابن خلدون من قرائته الواسعة والمتنوعة عن تاريخ الاسلام. في موضوع يتعلق بنظم الدولة الإسلامية وخطها، الا وهو الوزارة والنص الذي بين أيدينا هو. في الحقيقة. عبارة عن فقرة مقتبسة من فصل واسع خصه المؤلف للحديث عن الوزراء كما جرى بها العمل في الدول الإسلامية بالمشرق والمغرب. وتحك الدولة العباسية. بالطبع. مركزا مهما بينها، نظرا لاقدميتها وعظمتها وأسبقيتها الى الأخذ بنظام الوزارة. فنحن إذا قارنا ما ذكره ابن خلدون بما ورد في المصادر التي سبقتة نجد هنالك شواهد كثيرة على ما ذكره مما يجعل محتوى نصه موثقا من الوجهة التاريخية.

3 - فاهمية النص تأتيه من كونه يقدم لنا نظرة تركيبية يعززها بأرائه وتؤيولاته. لامن كونه يأتينا بعناصر جديدة ولذلك فهو يدفعنا الى الوقوف عند بعض النقط التي أوردها في هذا الصدد

أول ما يستوقفنا هو لهجة التعميم الذي يتحدث بها المؤلف. مستندا الى بعض الاحوال والأمثلة ومتناسيا أخرى. صحيح أن الوزارة بمعناها الحقيقي لم تعرف وجودها الا في عهد الدولة العباسية. صحيح أن الوزير أصبح ذا شأن ومظهر. ولكن لاننسر :

- أن عددا من الوزراء كانوا يعملون كمنفذين لارادة الخليفة، ولم يكن لهم استقلال في التصرف .

- أن بعض الوزراء حينما حصلوا على قدر من السلطة لم يستطيعوا أن ينسقوا اختصاصاتهم مع اختصاصات الخليفة لانعدام تقاليد دستورية، الشيء الذي كان يؤدي بهم. في الغالب الى الاصطدام مع الخلفاء وينتهي أحيانا بنكبتهم كما حدث ليعقوب بن داود مع المهدي. وللبرامكة مع الرشيد. وللفضل بن سهل مع المأمون

- أن عددا من أعوان الخلفاء كانوا يتهربون من منصب الوزير أو يساعدون الخليفة دون أن يحملوا اللقب.

فالوزير لم تكن له سلطات محددة بنص قانوني أو يعرف جرى به العمل. بصفة نهائية. وما يذكره الماوردي في «الاحكام السلطانية» إنما هو اجتهادات نظرية. والذي يهمننا معرفته هو هل سار على هديها الخلفاء. وكذلك هو الشأن بالنسبة للاختصاصات التي يسندها ابن خلدون للوزير العباسي في هذا النص، فانها لم تكن دائما كلها في يده، والامر في هذا الشأن يتغير حسب الخلفاء، بحيث كان هنالك وزراء مثل البرامكة يشرفون على سائر الدواوين أو على أغلبها، وكان هنالك آخرون لا يراقبون إلا قسما من هذه الدواوين. وتاريخ الوزراء يبين لنا، على قدر مانسح به المصادر، التغيير الذي حدث في نظام الوزارة واختصاصاتها من عهد وزير إلى وزير أو من عهد خليفة إلى خليفة، وهكذا يظهر لنا أن لهجة التعميم التي استعملها ابن خلدون لا يمكن تطبيقها على سائر الأحوال، وإن كان ابن خلدون يحق له. كعالم اجتماعي يبحث عن قوانين التطور ويدرس الخصائص البارزة للمؤسسات السياسية أن يرسم صورة مجملة عن نظام الوزارة لايراعي فيها إلا الأعم فالأعم. لكن موقف المؤرخ يختلف في مثك هاته المسائل عن موقف العالم الاجتماعي.

والذي يجب أن نقول هو أن الوزارة كمنصب سياسي دخلت في أطوار مختلفة، تبعا لشخصية الخلفاء وللظروف. فهي في عهد الخلفاء العباسيين الكبار، أي خلفاء العصر الاول، كانت أقوى ارتباطا بالخليفة. خاضعة لمشيئته لاتحظى بنوع من الاستقلال الا بقدر مايسمح بذلك. أما في العصر الثاني. عصر الصراع مع المماليك الترك، فستضعف سلطة الخلفاء وسيتمكن بعض الوزراء أمثال علي بن عيسى وابن الفرات من الحصول على سلطة حقيقية في الدولة

هنالك نقطة مهمة يوحي بها هذا النص. وهي أن منصب الوزارة ابتكار جديد أتى به العباسيون. وهو ما تؤكد مصادر أخرى. فابن طباطبا يقول. مثلا : «والوزارة لم تتمهد قواعدها وتقرر قوانينها الا في دولة بني العباس. فأما قبل ذلك. فلم تكن مقننة القواعد ولا مقررة القوانين. بل كان لك واحد من الملوك أتباع وحاشية. فاذا حدث أمر، استشار ذوي الحجا والاراء الصائبة، فكل منهم يجري مجرى وزير. (14).

وللبت في هذا الموضوع المهم نحيل القاريء على الفصل الذي عقده الاستاذ «دومينييك سوردريك» في كتابه القيم «الوزارة العباسية» بعنوان «أصول الوزارة»

فهو يبين هنالك الخطأ الذي وقع فيه عدد من المستشرقين حين حاولوا أن يربطوا بين الوزارة والتقاليد الايرانية. كما يوضح بأن الوزارة لم يكن لها وجود فعلى في عهد الامويين، وأنها نشأت عن ظروف خاصة بالدولة العباسية (15).

وللتدليل على المكانة التي نالها منصب الوزارة. نذكر بأن تعيين الوزير لم يكن حدثا عاديا يجري بدون أي احتفال، بل كان يحاط بمظاهر الأبهة ويتم حسب تقليد أشارت اليه بعض المصادر. فالمرشح للوزارة يتلقى تقليدا مكتوبا من الخليفة يحمله اليه رجلا من كبراء الدولة. وحينئذ يتوجه الوزير المعين الى دار الخلافة وبين يديه الحجاب والقواد والغلمان ويقف عند «باب الحجرة» وهي، كما ذكر ياقوت، دار عظيمة الشأن عجيبة البناء فيها يلخ على الوزراء واليهما يحضرون في أيام المواسم للهناء، فيقدمه الحاجب للخليفة ويؤدي له فروض الطاعة، ثم ينتقل الى حجرة ثانية- حيث «يرتدى الخلع السلطانية التي كانت بمثابة زبي الوزارة ثم يعود فيقبل يد الخليفة وينصرف. فإذا بلغ الباب وجد فرسا شهريا بمركب مذهب ومزينا بانتظاره فيمتطيه الى دار الوزارة ويسير في موكبه كبار الموظفين وقادة الجيش والأمراء وموظفو البلاط والحجاب وخدام الخليفة والحرس. فإذا وصل ترجل وسط مظاهر الاحتفال وجلس يتقبل التهاني بالمنصب الوزاري ثم يقرأ على الناس مرسوم الخليفة بتقليده مهام هذا المنصب. (16)

وهكذا يتبين لنا أن نص ابن خلدون نبه على هاته الاولوية التي تميز بها العباسيون في استحداث منصب الوزارة الذي سيصبح من النظم الاساسية في الدول الاسلامية. واذا طرحنا جانبا بعض التحفظات التي أشرنا لها من قبل حول هذا النص، فابن خلدون له الفضل في كونه حاول أن يحدد لنا، بصورة تقريبية، خطة الوزارة وبذلك أعطانا فكرة عامة عن نظامها في عهد الخلفاء العباسيين. لكن نصه هذا لايعني عن مراجعة تاريخ الوزارة العباسية بالتفصيل. وبالجملة، فان أهمية هذا النص تنحصر في الملاحظات التالية :

D. Sourdel . Le Vizirat Abbasside (15)

(16) توفيق سلطان البيوزيكي : الوزارة نشأتها وتطورها ص 41

ا - فهو صادر عن مؤرخ عاش في القرن 8هـ/14 م أي في عصر قريب نسبياً من عهد الدولة العباسية، مما أتاح له من دون شك أن يطلع على مصادر ضاعت اليوم منا.

ب - وهو صادر، من جهة أخرى، عن مؤرخ كان له الباع الطويل في الدراسات الاجتماعية والتطورات التي تطرأ على الدول ومؤسساتها مما يضيف على أحكامه قدراً كبيراً من الأهمية والوجاهة.

ج - وهو يحدد لنا نقطة البداية في تاريخ الوزارة

د - وهو يظل حجة دامغة على كل الذين حاولوا أن ينحرفوا عن الواقع التاريخي في نظرياتهم عن نشوء الوزارة بالدولة الإسلامية

### الخلاصة :

هذا النص المقتبس من مقدمة ابن خلدون المعروف بإطلاقه المباشر على أنظمة الدولة الإسلامية من خلال تجربته الشخصية، يحدد بداية نظام الوزارة بنشوء الدولة العباسية ويوضح لنا الاختصاصات المسندة إلى الوزير ما بين سياسية وعسكرية والأهمية التي أدركتها الوظيفة في ظل العباسيين ودورها في الحفاظ على اللغة العربية. والمؤلف يستند في أحكامه على عدة مصادر موثوق بها. ولئن كان عمم واجتنب الدخول في التفاصيل، فقد قدم لنا صورة شمولية ومفيدة بالقياس إلى البنية العامة للدولة الإسلامية.



الباب الأول  
الدعوة العباسية



## 1 - وصية ابي هاشم إلى محمد بن علي العباسي

وقدم أبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب على سليمان. وقال سليمان : ما كلمت قرشيًا قط يشبه هذا. وما أظنه إلا الذي كنا نحدث عنه. فأجازه، وقضى حوائجه وحوائج من معه .

ثم شخص عبد الله بن محمد، وهو يريد فلسطين. فبعث سليمان قومًا إلى بلاد لخم وجذام، ومعهم اللبن المسموم، فضربوا أخبية نزلوا فيها. فمر بهم، فقالوا : يا عبد الله ! هل لك في الشراب ؟ فقال : جزيتم خيرا. ثم مر بأخرين، فقالوا مثل ذلك، فجزاهم خيرا، ثم مر بأخرين، فاستسقى فسقوه فلما استقر اللبن في جوفه، قال لمن معه : أنا والله ميت، فانظروا من هؤلاء، فنظروا فإذا القوم قد قوضوا. فقال : ميلوا بي الى ابن عمي محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، فإنه بأرض الشراة. فأسرعوا السير حتى أتوا محمد بن علي بالحميمة من أرض الشراة. فلما قدم عليه قال له : يا ابن عم، أنا ميت وقد صرت إليك، وهذه وصية أبي الي ، وفيها أن الأمر صائر إليك والى ولدك، والوقت الذي يكون ذلك، والعلامة وما ينبغي لكم العمل به، على ما سمع وروى عن أبيه علي بن أبي طالب. فاقبضها إليك. وهؤلاء الشيعة استنص بهم خيرا. وهؤلاء دعائك وأنصارك، فاستنبطنهم. فإني قد بلوتهم بمحبة ومودة لأهل بيتك. ثم هذا الرجل ميسرة، فاجعله صاحبك بالعراق. فأما الشام فليست لكم ببلاد. وهؤلاء رسله إلى خراسان واليك. ولتكن دعوتكم بخراسان، ولا تعد هذه الكور: مرو، ومرو الروذ، وبيورد، ونسا. وإياك ونيسابور وكورها، وإبر شهر، وطوس. فإني أرجو أن تنتم دعوتكم، ويظهر الله أموركم .

اليعقوبي : تاريخ 296/2

## 2 - تعليمات الامام محمد لنقباء الدعوة

وقال محمد بن علي بن عبد الله بن عباس لرجال الدعوة حين اختارهم للدعوة واراد توجيههم : أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة علي بن أبي طالب. وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف وتقول كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل. وأما الجزيرة فحرورية مارقة واعراب كأعلاج، ومسلمون في أخلاق النصارى. وأما أهل الشام فليس يعرفون الا ال أبي سفيان وطاعة بني مروان، عداوة لنا راسخة وجهلا متراكما. وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهما ابو بكر وعمر، ولكن عليكم بخراسان فان هناك العدد الكثير والجلد الظاهر، وصدورا سليمة وقلوبا فارغة لم تتقسمها الأهواء ولم تتوزعها النحل ولم تشعلها ديانة ولم يتقدم فيها فساد وليست لهم اليوم هم العرب ولا فيهم كتحازب الاتباع بالسادات وكتحالف القبائل وعصبية العشائر ولم يزالوا يذالون ويمتهنون ويظلمون ويكظمون ويتمنون والفرج ويؤملون الدول. وهم جند لهم اجسام وأبدان ومناكب وكواهل وهامات ولحي وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة من أفواه منكرة. وبعد فكأنني اتفاءل الى المشرف والى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلف.

ابن قتيبة : عيون الأخبار ج 1 ص 204

## 3 - النقباء الاثنا عشر

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة - اعنى سنة مائة - وجه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من أرض الشراة ميسرة إلى العراق، ووجه محمد بن خنيس وأبا عكرمة السراج، وهو أبو محمد الصادق وحيان العطار خال ابراهيم ابن سلمة الى خراسان، وعليها يومئذ الجراح بن عبد الله الحكمي من قبل عمر بن عبد العزيز. وأمرهم بالدعاء اليه والى أهل بيته . فلقوا من لقوا، ثم انصرفوا بكتب من استجاب لهم الى محمد بن علي ، فدفعوها إلى ميسرة، فبعث بها ميسرة الى محمد بن علي. واختار أبو محمد الصادق لمحمد بن علي اثني عشر رجلا نقباء، منهم سليمان بن كثير الخزاعي، ولاهر بن قريظ التميمي، وقحطبة بن شبيب الطائي، وموسى بن كعب التميمي، وخالد بن ابراهيم أبو داود، من بنى عمرو بن شيبان بن ذهل، والقاسم بن مجاشع التميمي، وعمران بن اسماعيل أبو النجم، مولى

لآل أبي معيط، ومالك بن الهيثم الخزاعي، وطلحة ابن زريق الخزاعي، وعمرو بن أعين أبو حمزة مولى لخزاعة، وشبك بن طهمان أبو علي الهروي. مولى لبنى حنيفة، وعيسى بن اعين مولى خزاعة. واختار سبعين رجلا، فكتب اليهم محمد بن علي كتابًا ليكون لهم مثالا وسيرة يسيرون بها .

الطبري : تاريخ 562/6

#### 4 - كتاب الدعوة العباسية

وكان يكتب لإبراهيم الامام على الدعاة بكر بن ماهان، ويكنى أبا هاشم، وكان زوج ابنته من أبي سلمة بن حفص بن سليمان مولى بنى الحارث ابن كعب ويعرف بابي سلمة الخلال، وقيل في نسبه انه نسب إلى الخلد، وقال ثعلب عن ابن الاعرابي انه نسب إلى لُخْلُخ السيوف وهي الجفون، وذكر أن العرب تسمى من يعملها الخلال واستشهد بقول الشاعر :

أخلف الدهر بجو ظلا      مثل ما أخلف سيف خلا

ولما حضرت أبا هاشم الوفاة كتب إلى ابراهيم الامام يخبره انه كتب في أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا وانه قد استخلف حفص بن سليمان، فكتب ابراهيم الى أبي سلمة يأمره بالقيام بأمر أصحابه. وكتب إلى أهل خراسان انه قد اسند أمرهم إليه، ومضى أبو سلمة إلى خراسان فقبلوا أمره ودفَعوا إليه خمس أموالهم ونفقات الشيعة.

وكان المتولى لمكاتبة الامام عن الدعاة والقيم بأمرهم، وقراءة الكتب اليهم بمحضر جماعتهم طلحة بن زريق أخو مصعب بن زريق جد طاهر بن الحسين ويكنى طلحة أبا المنصور، وكان مهلهل بن صفوان مولى امرأة كانت لعلي بن عبد الله بن العباس تخدم ابراهيم الإمام في الحبس وتكتب له كتبه، فلم تزك معه إلى أن قتل مروان ابراهيم .

الجهشياري : كتاب الوزراء ص 55

## 5 - أول نبيوان شيعة بني العباس

قال إبراهيم بن سلمة : فتناول محمد قرطاساً، فجعل يكتب بخطه ويملي عليه ابن بجير، فكان أول من ذكر له سالم بن بجير الذي يقال له سالم الأعمي، وإنما كف بصره بعد ذلك، وأبو هاشم بكير بن ماهان. فأما بكير فإن أباه كان مولى لرجل من بني مسلمية سكن الشام بالأردن بعد، وكان بكير ابنه ينزله بنو مسلمية من صليبنتهم، وكان من أهل الديوان وغزا [مع] يزيد بن المهلب خراسان ودخل معه جرجان حيث افتتحت، وكان هو في عدة من بنى مسلمية قد شهدوا فتحها مع يزيد. وحفص بن سليمان وهو أبو سلمة الخلال، وحفص الذي يدعى الأسير، وهؤلاء جميعاً موالى بنى مسلمية، رهط عامر بن إسماعيل، وميسرة الرحاك، وموسى بن سريج السراج. وزباد بن درهم الهمداني، ومعن بن يزيد الهمداني، والمنذر بن سعيد الهمداني. فكتب أسماءهم. وقد ذكروا أن فيمن سمي له : أبا عمرو الأزدي، وأبا الهذيل حيان السراج، وأبا إبراهيم محمد بن المختار أخا زياد بن درهم لأمه، والوليد الأزرق. وقال له محمد ابن علي : لك سبقك في هذا الأمر، ولك فيه فضلك بنفسك وبما مضى عليه أبوك رحمه الله، ولكل رجل خاصة وخاصتي من أهل مصرمك أنت وقبيلك، فأقم وأقيموا جميعاً، والقني أنت غيباً، وأظهروا أنكم تريدون [الشخص]، وأنكم تنتظرون رفقة تخرج فتخرجون، وسلوا عن الكري، وأظهروا العناية بالسفر لا يسترب بكم .

مجهول : أخبار العباس ص 191

## 6 - الرضا من آل محمد

فانقضت سنة مئة وما تبلغ شيعة الكوفة ثلاثين رجلاً، وما يعرف محمد بن علي بنسبه واسمه إلا أولئك الرهط، وكانت دعوتهم إلى الرضا من آل محمد، فإذا سئلوا عن اسمه قالوا : أمرنا بكتمان اسمه حتى يظهر. ولما انقضت سنة مئة مرض أبو رباح، وأناه عدة ممن لم يكن عرف محمد بن علي فسألوه وهو مدنف أن يخبرهم باسمه، قال، ورأسه في حجر موسى السراج : يخبركم بذلك موسى، ثم استوى قاعدا ونعله بين يديه فتناولها وألقى على ظهرها تراباً، ثم كتب فيه: الإمام محمد بن علي. وقد قال لسالم قبل ذلك : يا أخي إنني لما بي، وهذا الأمر إليك وصاحبنا وإمامنا محمد بن علي وكتبه بمثل ما كنا نكتب فيه إليه، وقم من أمره بما كان ابن

عَمَكِ يَقُومُ بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتَهُ يَعْتَمِدُ عَلَيْكُمْ وَيُثِقُ بِكُمْ، جَمَعْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ فِي جَنَّةِ الْخَلْدِ، وَأَعْمِي عَلَيْهِ فَمَا نَهَضُوا مِنْ عِنْدِهِ إِلَّا وَهُوَ مَيِّتٌ .

وَقَامَ بِأَمْرِ الشَّيْعَةِ سَالِمٌ، وَكَتَبَ وَأَوْلَكَ الرَّهْطَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ يَخْبِرُونَهُ بِمَوْتِ أَبِي رِيَاحٍ مَيِّسِرَةَ النَّبَالِ، وَسَأَلُوا بِكَبِيرًا أَنْ يَخْرُجَ بِكُتُبِهِمْ، فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ وَسَرَّ بِهِ وَنَشَطَ لَهُ .

أخبار العباس ص 194

## 7 - اضطراب خراسان وظهور أبو مسلم

ولما قتل زيد، وكان من أمره ما كان، تحركت الشيعة بخراسان، وظهر أمرهم، وكثر من يأتئهم ويميل معهم. وجعلوا يذكرون للناس أفعال بنى أمية وما نالوا من آل رسول الله، حتى لم يبق بلد إلا فشا فيه هذا الخبر، وظهرت الدعاة ورئيت المنامات وتدورست كتب الملاحم. وهرب يحيى بن زيد إلى خراسان، فصار إلى بلخ، فأقام بها متوارياً، وكتب يوسف إلى هشام بحاله، فكتب إلى نصر بن سيار بسببه. فوجه نصر جيشاً إلى بلخ، عليهم هدبة بن عامر السعدي. فطلبوا يحيى حتى ظفروا به. فأتوا به نصراً فحبسه في فهندز مرو .

وبلغ هشاماً اضطراب خراسان، وكثرة من بها، فكتب إلى يوسف بن عمر: ابعث إلى برجل له علم بخراسان! فبعث إليه بعبد الكريم بن سليط بن عطية الحنفي. فسأله عن أمر خراسان وأهلها ومن بها ممن يصلح أن يولاهها. فسمى له جماعة من قيس وربيعة، فكان إذا سمى رجلاً من ربيعة قال: ان ربيعة لا يسد بها الثغور! فسمى نصر بن سيار الليثي، فقال: كأنه نصر وسيار، فقال: يا غلام اكتب عهده. فكتب العهد، وأمره أن يعاجل يوسف بن عمر. وكان نصر بن سيار قبل ذلك تولى كورة من كور خراسان، فعزل جعفر بن حنطة وولى البلد .

وكان يوسف أخذ عمال خالد فحبسهم، وكان، ممن أخذ عيسى بن معقل العجلن، وعاصم بن يونس العجلي. وكان أبو مسلم، واسمه إبراهيم بن عثمان، قبل أن يسميه محمد بن علي عبد الرحمن، يخدم عيسى بن معقل، وقد سمعهم يتكلمون في دعوة بنى هاشم حتى فهم الأمر. وقد ارتحل سليمان بن كثير، ومالك بن الهيثم، وقحطبة بن شبيب يريدون مكة. فدخلوا السجن إلى عيسى بن معقل

وعاصم بن يونس، قرأوا ابا مسلم يختلف اليهم، ويذاكرهم هذا الأمر. فأخرجوه معهم، وادخلوه الى محمد بن علي، فكلمه، وقال: أنى لاحسب هذا الغلام صاحبنا، بل هو هو. فاقبلوا قوله، وانتهوا إلى امره، واستوصوا به، فانه صاحب الأمر لاشك فيه .

وبعض أهل العلم بالدولة يقول: ان أبا مسلم لم يلحق محمد بن علي، انما لقي ابنه ابراهيم بن محمد بن علي .

اليقوي: تاريخ 326/2

## 8 - أبو مسلم الخراساني

والذي ذهب إليه من تأخر من الراوندية وانقل وتحبر عن جملة الكيسانية الفائلة بامامة محمد بن الحنفية - وهم الجريانية أصحاب أبي مسلم عبد الرحمن بن محمد صاحب الدولة العباسية، وكان يلقب بجريان - ان محمد بن الحنفية هو الامام بعد علي بن أبي طالب، وأن محمدا أوصى الى ابنه أبي هاشم، وان أبا هاشم أوصى الى علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وان علي بن عبد الله أوصى الى ابنه محمد بن علي، وأن محمدا أوصى الى ابنه ابراهيم الامام المقتول بحران، وان ابراهيم أوصى إلى أخيه أبي العباس بن عبد الله بن الحارثية المقتول .

وقد تنوزع في أمر أبي مسلم: فمن الناس من رأى انه كان من العرب، ومنهم من رأى أنه كان عبدا فأعتق، وكان من أهل البرس والجامعين من قرية يقال لها خرطينة واليها تضاف الثياب البرسية المعروفة بالخرطينية، وتلك من أعمال الكوفة وسوادها، وكان قهرمانا لادريس بن ابراهيم العجلي، ثم آل امره ونمت به الأقدار إلى أن اتصل بمحمد بن علي، ثم بابراهيم بن محمد الامام، فأنفذه ابراهيم الى خراسان، وأمر أهل الدعوة باطاعته والانقياد الى امره ورأيه فقوى امره وظهر سلطانه، وأظهر السواد، وصار زينة في اللباس والاعلام والبنود وكان أول من سود من أهل خراسان بنييسابور وأظهر ذلك فيهم اسيد بن عبد الله، ثم نمت ذلك في الأكثر من المدن والكور لخراسان، وقوى أمر أبي مسلم، وضعف أمر نصر بن سيار صاحب مروان بن محمد الجعدي على بلاد خراسان، وكانت له مع أبي مسلم حروب أكثر فيها أبو مسلم الحيك والمكايد من تفريفه بين اليمانية والنزارية بخراسان وغير ذلك مما احتال به على عدوه، فقد كان لنصر بن سيار حروب كثيرة مع الكرمانى الى أن قتل اتينا على ذكرها في كتابينا « أخبار الزمان » والوسط، وذكرنا بدء أخبار الكرمانى جديع بن



على ، وما كان بينه وبين سلم بن أحوز صاحب نصر بن سيار، وما كان من أمر خالد بن برمك، وقحطبة بن شبيب، وغيرهما من الدعاة والمقيمين بخراسان للدعوة العباسية : كسليمان بن كثير، وأبي داود خالد بن ابراهيم، ونظرائهم. وما كان من شعارهم عند اظهار الدعوة، وندائهم حين الحروب : محمد يا منصور، والسبب الذي له ومن أجله اظهروا استعمال السودا دون سائر الألوان.

المسعودى : مروج 254/3

## 9 - خبر بكير والبيعة

وأخذ أبو هاشم بكير بن ماهان يومئذ البيعة على من حضره من الشيعة على مناصحة إمامهم في السر والعلانية، وألا يطلعوا على أمرهم أحدا خافوا ناحيته ولم يثقوا به. ثم قال لهم : إنكم قد جدتم بأنفسكم في إقامة الحق ، فجدودوا لإمامكم بأموالكم وأعينوا بما قدرتم عليه من أموالكم، فقد ركبته مؤونات في إحياء الحق وإماتة الباطل، لا يقوى عليها فيمن يوجه إليكم أو يتوجه إليه منكم إلا بالمال . فجمعوا مالا كثيرا وأنوا به أبا هاشم، فشخص، وخلف سليمان بن كثير على الشيعة وأمرهم إذا حزبه أمر أن يجتمعوا إلى سليمان فيناظره فيه عنده. وأمرهم أن يأخذوا برأي أبي صالح كامل بن مظفر فإنه ثقة في رأيه وشققته .

وسار معه من شيعة أهل مرو أبو حميد وأبو إسماعيل صبيح والأزهر بن شعيب، فأخذ على جرجان، فلما قدمها أقام بها شهرا أو نحوه، وجمعت شيعة أهل جرجان مالا وحلياً، وإن كانت المرأة لتخرج من جميع حليها الذي على جسدها فتنبت به .

أخبرنا أبو سعيد الجرجاني قال : كانت تحت عامر امرأة من الأزدي يقال لها ماوية بنت عمرو بن سعيد وهي بنت خالة عامر، فتوجه على الأزدي خمسهم بجرجان، وقد قبلت الدعوة عن عامر، قال : فخلعت ما كان عليها من حلي فبعثت به، وكان سوارى ذهب وطوق ذهب وخاتم ذهب وخلخال فضة، وبعثت أم الهيثم امرأة أبي عون بثلاثة أبرد وبر من غزل يدها وسوارى فضة. فتحمل أبو هاشم فيمن قدم معه من مرو. وشخص معه من جرجان أبو عون، وصحبه حسن بن زرارة ابن عم عامر وهلك قبل ظهور الدعوة بقليل، وصحبه أبو نصير الجرجاني. وسار فيمن سمينا من أصحابه حتى قدم الكوفة وأقام يسيرا، ثم توجه إلى محمد بن علي. وصحبتة أبو سلمة، فقدم على محمد بن علي فدفع إليه ما قدم به .

أخبار العباس ص 223

## 10 - صورة عن نشاط الدعوة

قال الحسن بن حمزة : فتصياً بكبير للشخص إلى محمد، ولما أرف ذلك منه ورد عليه كتاب من ابن عم له من السند يذكر أن أخاه يزيد بن ماهان توفي وترك مالا جمًا كثيرًا، وقد جمعه، وسأله تعجيل القوم عليه لقبضه. قال الحسن : فلما أتاه نعي أخيه أتاه الحي يعزونه بأخيه، وما هيأته وشغله إلا بجهازه لسفره إلى محمد بن علي، فقال له سالم : ابدأ بوجهك في طلب ميراثك، ونبعث بكتبتنا مع موسى السراج، فقال بكبير : ما كنت لأوثر الدنيا على الآخرة، بل أمضي إلى ضاحبي، وألقاه، وأستأذنه، فإن أذن لي في طلب ميراثي شخصت في ذلك فما أسرع الإياب إن مد لي في الأجل. فشخص بكبير حتى أتى دمشق ثم ابتاع بها عطرًا، وحمله على بغل ابتاعه، وخرج حتى أتى الشراة في هيئة عطار يبيع عطره، وأتى بعض قراها فباع بعض ما معه حتى شهر بذلك ، ثم توجه إلى الحميمة، فلما دخلها طلب منزلاً ينزله، فبصر إبراهيم بن سلمة، وكان يعرفه بحيان خاله بالكوفة، فقال له وهو مثلثم : منزل؟ قال : نعم، هذا منزل الضيفان. فخرج به حتى أدخله رحبة واسعة فيها منزل محمد بن علي وقد أطاف بالرحبة منازل إخوانه وولده ومواليهم. وفيها مسجد لهم فيه مجتمعهم ومتحدثهم وأكثر طعامهم، فأدخل بكبيراً بيت الضيفان وأدخل متاعه، فلما وضع رحله أسفر عن وجهه، فلما رآه إبراهيم بن سلمة عرفه فسلم عليه، وقال له بكبير : لا تظهرن معرفتك بي. قال الحسن: فأخبرنا بكبير قال : فكتمت أمري، وجعلت أعرض بضاعتي، وأساهل من أبياعه من آل علي، وجعلوا يذكرون ذلك لأبي عبد الله حتى أنسوا بي، وجعلت أصلي معهم وأجلس إليهم. وكان بكبير رجلاً عاقلاً لبيباً، قد جال الأفاق، قال : فقلت لإبراهيم : إذا خلا صاحبك فأعلمه مكاني وسمني له ولا تذكرني له وعنده أحد. قال : فترقب خلوته وأخبره بأمره وسماه له فعرفه بتسمية ابن بجير اسمه له، وقال : قل له : إذا صليت العنمة فليقم يتنقل في المسجد حتى تدخل إخوتي حامتنا منازلهم. قال بكبير : ففعلت ذلك ، ودخل محمد ابن علي منزله، ودخل أهل بيته منازلهم، حتى إذا لم يبق غيري عاد إلي إبراهيم بن سلمة فأدخلني عليه فسلمت تسليمًا خاصًا، وخبرته بأمرنا وما صرنا إليه بعد موت أبي رباح، ودفعت إليه كتاب سالم وكتب أصحابه فقرأها، وترحم على ابن بجير فأكثر وتوجع لموته وترحم على أبي رباح ثم قال : كم يبلغ أصحابكم بالكوفة؟ قلت : لا يكونون ثلاثين رجلاً. قال : سيكونون ويكثرن. فقلت :

إننا كنا نتحفظ ونمسك عن الجد انتظار الوقت، فقال : قد أصبتم، وعليك بتجارتك هذه، أظهر الجد فيها لا يرى من أنت بين ظهرائيه ان شأنك غيرها. قال بكير : فدفعت إليه تسعين ومئة دينار جمعتهما شيعة الكوفة. قال : ودفعت إلي أم الفضل طوقاً من ذهب وثوباً مروياً من غزك يدها، وسألتني دفعهما إليه، فكان أول مال حملته الشيعة إلى محمد بن علي مع بكير بن ماهان. قال إبراهيم: فكان إذا تفرق بنو علي وحامتهم أرسل محمد إلى بكير فيدخله عليه ويكثر الخلوة به، فقال عبد الله بن علي : قد غلبنا هذا العطار على أبي عبد الله، فقلت له: انه حسن الحديث، وقد طوف البلدان، وأخوك يعجبه حديثه.

أخبار العباس ص 94 194

## 11 - استغلال الدعاة العباسيين للخلاف بين المضربة واليمينية

ولما قتل أبو عكرمة وحيان وجه الامام محمد بن علي الى خراسان خمسة نفر من شيعته : سليمان بن كثير، ومالك بن الهيثم، وموسى بن كعب، وخالد بن الهيثم، وطلحة بن زريق، وأمرهم بكتمان أمرهم، وألا يفشوه لأحد الا بعد أن يأخذوا عليه العهد المؤكدة بالكتمان .

فساروا حتى اتوا خراسان، فكانوا يأتون كورة بعد كورة، فيدعون الناس سرا إلى أهل بيت نبيهم، ويبغضون إليهم بنى أمية، لما يظهر من جورهم واعتدائهم، وركوبهم القبائح، حتى استجاب لهم بشر كثير في جميع كور خراسان .

وبلغ الجنيد أمرهم، فأمر بطلبهم، وأخذوا، وأتى بهم الجنيد .

فقال : يافسقة، قد قدمتم هذه البلاد، فأفسدتم قلوب الناس . على بنى أمية، ودعوتهم إلى بنى العباس .

فتكلم سليمان بن كثير. وقال : أيها الأمير، أتأذن لي في الكلام .

قال : تكلم

قال : أنا وإياك كما قال الشاعر :

لو بغير الماء حلقى شرق      لاستغثت اليوم بالماء القراح

نعلمك أيها الأمير. أنا أناس من قومك اليمانية، وأن هؤلاء المضربة تعصبوا علينا، فرقوا اليك فينا الزور والبهتان، لانا كنا أشد الناس على قتيبة، فهم الآن يطلبون بثأره بكل علة .

فقال الجنيد لمن كان حوله من أصحابه : ماترون ؟ - فتكلم عبد الرحمن بن نعيم رئيس ربيعة، وكان من خاصته : نرى أن تمن بهم على قومك، فلعل الأمر كما يقولون. فأمر بإطلاقهم فخرجوا وكتبوا بقصتهم الى الامام. فكتب اليهم : ان هذا أقل ما لكم، فاكتبوا أمركم وترفقوا في دعوتكم .

فساروا من مدينة مرو إلى بخارى، ومن بخارى إلى سمرقند، .. ومن سمرقند إلى كش ونسف، ثم عطفوا على الصغانيان، وجازوا منها الى ختلان، وانصرفوا الى مرو الروذ، والطارقان، وعطفوا الى هرة وبوشنج وجازوا الى سجستان فغرسوا في هذه البلدان غرساً كثيراً، وفشا أمرهم في جميع أقطار خراسان. وبلغ ذلك الجنيد، فأسف على تركهم ووجه في طلبهم، فلم يقدر عليهم .

الدينورى : الأخبار .. ص 335

## 12 - تردد أبى سلمة الخلال في بيعة العباسيين

واخفى أبو سلمة أمر أبى العباس ومن معه، ووكك بهم (وكيلا) وكان قدوم أبى العباس الكوفة في صفر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وفيها جرى البريد بالكتب لولد العباس، وقد كان أبو سلمة لما قتل ابراهيم الامام خاف انتقاض الأمر وفساده عليه فبعث بمحمد بن عبد الرحمن بن اسلم (وكان اسلم) مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب معه كتابين على نسخة واحدة الى أبى محمد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم اجمعين ! يدعو كل واحد منهما الى الشخص الى الدعوة إليه ليصرف الدعوة إليه ويجتهد في بيعة أهل خراسان له، وقال للرسول : العجل العجل، فلا تكونن كوافد عاد، فقدم محمد بن عبد الرحمن المدينة على أبى عبد الله جعفر بن محمد فلقبه ليلا، فلما وصل إليه اعلمه أنه رسول أبى سلمة، ودفع إليه كتابه، فقال له أبو عبد الله : وما أنا وأبو سلمة؟ وأبو سلمة شيعة لغيري، قال : إنى رسول، فتقرأ كتابه وتجيئه بما رأيت، فدعا أبو

عبد الله بسراج ثم أخذ كتاب أبي سلمة فوضعه على السراج حتى احترق، وقال للرسول : عرف صاحبك بما رأيت ثم أنشأ يقول متمتلا بقول الكميت بن زيد :

أياموقدا نارا لغيرك ضوءها وبيا حاطبا في غير حبلك تحطب

فخرج الرسول من عنده، وأتى عبد الله بن الحسن، فدفع إليه الكتاب ، فقبله وقرأه وابتهج به ، فلما كان (من) غد ذلك اليوم الذي وصل إليه فيه الكتاب ركب عبد الله حمارا حتى أتى منزل أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق، فلما رآه أبو عبد الله أكبر مجيئه، وكان أبو عبد الله اسن من عبد الله، فقال له : يا أبا محمد، أمر ما أتى بك، قال : نعم، هو أجل من أن يوصف، فقال : وما هو يا أبا محمد؟ قال : هذا كتاب أبي سلمة يدعوني الى ما أقبله، وقد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان، فقال له أبو عبد الله : يا أبا محمد، ومنى كان أهل خراسان شيعة لك؟ أنت بعثت أبا مسلم الى خراسان وأنت أمرته بلبس السواد؟ وهؤلاء الذين قدموا العراق انت كنت سبب قدومهم أو وجهت فيهم ؟ وهل تعرف منهم أحدا؟ فنازعه عبد الله بن الحسن الكلام، الى أن قال : انما يريد القوم ابني محمدا لأنه مهدي هذه الامة، فقال أبو عبد الله جعفر : والله ما هو مهدي هذه الامة، ولئن شعر سيفه ليقطن، فنازعه عبد الله القول، حتى قال له : والله ما يمنعك من ذلك الا الحسد ، فقال أبو عبد الله : والله ما هذا الا نصح منى لك، ولقد كتب الى أبو سلمة بمثل ما كتب به اليك، فلم يجد رسوله عندي ما وجد عندك، ولقد احرقت كتابه من قبل أن أقرأه، فانصرف عبد الله من عند جعفر مغضبا، ولم ينصرف رسول أبي سلمة اليه الى أن بويع للسفاح بالخلافة .

المسعودى : مروج 3/268



الباب الثاني

شخصية الخلفاء





### 13 - بعض صفات المنصور

وذكر احمد بن خالد الفقيمي أن عدة من بنى هاشم حدثوه أن المنصور كان شغله في صدر نهاره بالامر والنهي والولايات والعزك وشحن الثغور والاطراف وأمن السبك والنظر في الخراج والنفقات ومصحة معاش الرعية لمطرح عالتهم والتلطف لسكونهم وهدوئهم، فإذا صلى العصر جلس لاهل بيته الا من أحب أن يسامره، فإذا صلى العشاء الاخرة نظر فيما ورد عليه من كتب الثغور والاطراف والافات وشاور سماره فيما أرب، فإذا مضى ثلث الليل قام إلى فراشه وانصرف سماره، فإذا مضى الثلث الثاني قام من فراشه، فاسبغ وضوءه، وصف في محرابه حتى يطلع الفجر، ثم يخرج فيصلى بالناس، ثم يدخل فيجلس في ايوانه .

قال اسحاق : حدثت عن عبد الله بن الربيع، قال : قال أبو جعفر لاسماعيل بن عبد الله : صف لي الناس، فقال : أهل الحجاز مبتدأ الاسلام وبقية العرب، وأهل العراق ركن الاسلام ومقاتلة عن الدين، وأهل الشام حصن الأمة واسنة الائمة، وأهل خراسان فرسان الهيجاء واعنة الرجال، والترک منابت الصخور وأبناء المغازي، وأهل الهند حكماء استغنوا ببلادهم فاكتفوا بها عما يليهم، والروم أهل كتاب وتدين نحاهم الله من القرب الى البعد، والانباط كان ملكهم قديما لك قوم عبيد. قال : عبيد. قال : فأبي الولاة افضل؟ قال : الباذل للعتاء، والمعرض عن السيئة. قال : فأبيهم اخرف؟ قال : انهكهم للرعية، واتعبهم لها بالخرق والعقوبة. قال : فالطاعة على الخوف ابلغ في حاجة الملك أم الطاعة على المحبة؟ قال : ياأمير المؤمنين، الطاعة عند الخوف تسر الغدر عند المعايينة، والطاعة على المحبة تضم الاجتهاد وتبالح عند الغفلة. قال : فأبي الناس اولاهم بالطاعة؟ قال : اولاهم بالهضة والمنفعة. قال : مااعلام ذلك؟ قال : سرعة الاجابة وبذل النفس. قال : فمن ينبغي للملك أن يتخذ وزيراً؟ قال : اسلمهم قلباً، وابعدهم من الهوى.

الطبري : تاريخ 158/8

## 14 - صفات المنصور

وكان المنصور من الحزم وصواب الرأي وحسن السياسة على ما تجاوز كل وصف، وكان يعطي الجزية والخطير ما كان عطاؤه حزماً، ويمنع الحقيير اليسير ما كان اعطاؤه تضييعاً، وكان كما قال زياد : لو أن عندي ألف بعير وعندي بعير اجره لقمتم عليه قيام من لا يملك غيره، وخلف أبو جعفر ستمائة ألف ألف درهم وأربعة عشر ألف ألف دينار، وكان مع هذا يرض بماله، وينظر فيما لا ينظر فيه العوام، ووافق صاحب مطبخه على أن له الرؤوس والاكارع والجلود، وعليه الحطب والتوابك، ومن كرمه أنه وصل عمومته وهم عشرة في يوم واحد بعشرة آلاف درهم، وأسماءهم: عبد الله بن علي، وعبد الصمد بن علي، واسماعيل بن علي، وعيسى بن علي، وداود بن علي، وصالح بن علي، وسليمان بن علي، واسحاق بن علي، ومحمد بن علي، ويحيى بن علي، وكان يعمل في بناء مدينة بغداد التي بناها وعرفت به في كل يوم خمسون ألف رجل، وكان له من الولد: المهدي وجعفر، واماها أم موسى الحميرية، وتوفي جعفر في حياة أبيه المنصور، وسليمان وعيسى ويعقوب وجعفر، الأصغر، من كردية، وصالح الملقب بالمسكين، وبننت تسمى عالية .

المسعودي : مروج 318/3

## 15 - صفات المهدي

وكان وزيره أبو عبيد الله معاوية بن عبد الله الأشعري، وهو جد محمد بن عبد الوهاب (الكاتب) وكان كاتبه قبل الخلافة، فقتل المهدي ابناً لأبي عبيد الله على الزندقة، فاستحوش كل واحد منهما من صاحبه فعزله وعاش أبو عبيد الله الى سنة سبعين ومائة، ثم اختص المهدي يعقوب بن داود السلمي، وخرج كتابه على الدواوين أن أمير المؤمنين قد آخاه، وكان يصل إليه في كل وقت دون الناس كلهم ثم انهمه بشيء من أمر الطالبين، فهم بقتله، ثم حبسه فبقي في حبسه الى أيام الرشيد فأطلقه الرشيد، وقد قيل في أمره: انه كان يرى الامامة في الأكبر من ولد العباس، وأن غير المهدي من عمومته كان أحق بها منه .

وكان المهدي محبوباً إلى الخاص والعام، لأنه افتتح أمره بالنظر في المظالم، والكف عن القتل، وأمن الخائف، وأنصف المظلوم، وبسط يده في الاعطاء فأذهب جميع ما خلفه المنصور، وهو ستمائة ألف ألف درهم وأربعة عشر ألف دينار، سوى

ماجباه في أيامه، فلما فرغت بيوت الأموال اتى أبو حارثة النهري خازن بيوت أمواله فرمى بالمفاتيح بين يديه، وقال : ما معنى مفاتيح لبيوت فرغ؟ ففرق المهدي عشرين خادماً في جباية الأموال، فوردت الأموال بعد أيام قلائك فتشاغل أبو حارثة النهري بقبضها وتصحيحها عن الدخول على المهدي ثلاثة أيام، فلما دخل عليه قال: ما أحرک؟ فقال : الشغل بتصحيح الأموال ، فقال : أنت أعرابي أحمق ، كنت تنظن ان الأموال لا تأتينا اذا احتجنا إليها، قال أبو حارثة: ان الحادثة اذا حدثت لم تنتظر حتى توجه في استخراج الأموال وحملها، وقيل : انه فرق في عشرة أيام من صلب ماله عشرة الاف (ألف) درهم، فعند ذلك قام شبة بن عقال على رأسه خطيباً فقال : وللمهدي اشباه، فمنها القمر الزاهر، والربيع الباكر، والأسد الخادر، والبحر الزاخر، فاما القمر الزاهر فأشبهه منه حسنه وبهاه، وأما الربيع الباكر فأشبهه منه طيبه وهواه، وأما الاسد الخادر فأشبهه منه غرته ومضاه، وأما البحر الزاخر فأشبهه منه جوده وسخاه .

المسعودي : مروج 3/322

## 16 - اطلاع المامون على أحوال أصحابه

وعن ابراهيم بن السندي بن شاهك قال : لما اختار يحيى بن اكثم العشرة من الفقهاء واحضرهم مجلس المامون لمذاكرة الفقه جعل له يوماً في الجمعة يحضرون مجلسه، فقال لي المامون : يا ابراهيم أحضر فلست بدون أكبرهم، فكنت أحضر، وكان قد اختار من أيام الجمعة يوم الثلاثاء، قال: فحضرت يوماً فلما أمسك المأمون عن المسائل نهض القوم، وكان ذلك اذنه بانصرافهم، فوثبت معهم، فقال بيده : مكانك يا ابراهيم، فقعدت وقام يحيى وساءه تخلفي، فقال لي ودخل ابراهيم بن المهدي: هات ذكر من في عسكرنا ممن يطلب ما عندنا بالرياء، فقلت ما عندي، وقال ابراهيم ما عنده، فقال : ما أرى عند أحد ما يبلغ ارادتي، ثم أنشأ يحدث عن أهل عسكره حتى والله لو كان قد أقام في رحل كل رجل حولاً لما زاد على معرفته، وقال : انه كان مما حفظت عنه في ثلب أصحابه انه قال : تسبيح حميد الطوسي وصلاة قحطبة وصيام النوشجاني ووضوء بشر المريسي وبناء مالك بن شاهك المساجد وبكاء ابراهيم بن بريهة على المنبر وجمع الحسين بن قريش القيامي وقصص مرجا وصدقة على بن هشام وحملان اسحاق بن ابراهيم في سبيل الله وصلاة ابي رجاء الضحى،

فقال لى رجل من عظماء العسكر حين خرجنا من الدار : هك رأيت أو سمعت قط اعلم برعيتته وأشد تنقيرا من هذا؟ قلت : اللهم لا ! فحدثت بهذا الحديث بعض اهل الخطر، فقال : وماتنصع بهذا وقد كتب الى اسحاق بن ابراهيم في الفقهاء بمعابيهم رجلا رجلا حتى انه اعلم بما في منازلهم منهم؟

البيهتي : المحاسن والمساويء 149

## 17 - عرس خليفة

حدثني الحارث بن نصر المنجم وكان من أصحاب الحسن بن سهل قال : لما زار المأمون الحسن بن سهل للبناء ببوران ركب من بغداد زورقا حتى أرقى على باب الحسن بن سهل وكان العباس بن المأمون قد تقدم على الظهر فتلقيه الحسن خارج عسكره في موضع كان اتخذ له على شاطيء دجلة بنى له فيه جوسف. قال : فلما عاينه العباس ثنى رجله لينزك فحلف عليه الا يفعل. فلما ساواه ثنى رجله الحسن لينزك فقال له العباس : بحق أمير المؤمنين لاتنزل فاعتنقه الحسن وهو راكب ثم أمر أن يقدم اليه دابته ودخلا جميعا الى منزل الحسن ووافى المامون في وقت العشاء وذلك في شهر رمضان من سنة عشر ومائتين فافطر هو والحسن والعباس ودينار ابن عبد الله قائم على رجله حتى فرغوا من الافطار وغسلوا ايديهم فدعا المامون بشراب فأنتى بجام ذهب فصب فيه وشرب. فمد يده بجام فيه شراب الى الحسن فتباطأ عنه الحسن لانه لم يكن يشرب قبل ذلك فغمز دينار بن عبد الله الحسن فقال الحسن يا أمير المؤمنين : اشربه بأذنك وأمرك؟ فقال له المامون : لولا امرى لم أمدد يدي اليك. فأخذ الجام فشربه فلما كان في الليلة الثانية جمع بين محمد بن الحسن ابن سهك والعباسة بنت الفضل ذى الرياستين فلما كان في الليلة الثالثة دخل على بوران وعندها حمدونة، وام جعفر، وجدتها. فلما جلس المامون معها نثرت عليها جدتها ألف درة كانت في صينية ذهب فأمر المأمون أن تجمع وسألها عن عدد الدرهم هو؟ فقالت: ألف حبة، فأمر بعدها فنقصت عشرة فقال : من أخذها منكم ردوها. فقالوا حسين زجلة فأمر بردها. فقال يا أمير المؤمنين : انما نثر لناخذه، قال. ردها، فأنتى اخلفها عليك فردها وجمع المامون ذلك الدر في الأنية ووضع في حجرها وقال هذه نحلكتك فاسألني حوائجك؟ فأمسكت. فقالت لها جدتها كلمى سيدك واسألني حوائجك فقد امرك. فسألته الرضى عن ابراهيم بن المهدي. فقال : قد

فعلت، وسألته الاذن لام جعفر في الحج فاذن لها ولبستها أم جعفر البدنة الاموية  
وابتنى بها في ليلته، وأوقد في تلك الليلة شمعة عنبر فيها أربعون منا في تور  
ذهب فأنكر المأمون ذلك عليهم، وقال : هذا سرف. فلما كان من غد دعا بابراهيم  
بن المهدي فجاء يمشى من شاطيء دجلة عليه مبطنة ملحم وهو متعمم بعمامة  
حتى دخل فلما رفع الستر عن المأمون رمى بنفسه فصاح المأمون ياعم : لا بأس عليك.  
فدخل فسلم عليه تسليم الخلافة وقبل يده وانشد شعرا ودعا بالخلع فخلع عليه  
خلعة ثانية ودعا له بمركب وقلده سيفا وخرج فسلم على الناس ورد الى موضعه.

قال الحارث : وأقام المامون سبعة عشر يوما يعد له في كل يوم ولجميع من  
معه ما يحتاج اليه. قال : وخلع الحسن بن سهل على القواد على مراتبهم وحملهم  
ووصلهم وكان مبلغ النفقة عليه خمسين الف الف درهم. قال : وأمر المأمون غسان بن  
عباد عند منصرفه ان يدفع الى الحسن عشرة آلاف الف من مال فارس واقطعه الصلح  
فحملت اليه على المكان وكانت معدة عند غسان بن عباد. قال : فجلس الحسن  
ففرقها في قواده، وأصحابه، وحشمه، وخدمه. قال : ولما انصرف المأمون شيعة الحسن  
ثم رجع الى قم الصلح.

فحدثني الفضل بن جعفر بن الفضل. قال : حدثني أحمد بن الحسن بن  
سهل. قال : كان أهلنا يتحدثون أن الحسن بن سهل كتب رقاعا فيها أسماء ضياعه  
ونثرها على القواد وعلى بنى هاشم فمن وقعت في يده رقعة منها فيها اسم الضيعة  
بعث فتسلمها.

وقال أبو الحسن علي بن الحسين بن عبد الاعلى الكاتب. قال : حدثني  
الحسن ابن سهل يوما بأشياء كانت في أم جعفر ووصف راحة عقلها وفهمها. ثم قال :  
سألها يوما المأمون بقم الصلح حيث خرج للبناء على بوران، وسأل حمدونة بنت  
غضيب عن مقدار ما انفقت في ذلك الامر. فقالت حمدونة: انفق خمسة وعشرين ألف  
ألف. قال : فقالت أم جعفر ما صنعت شيئا قد انفق ما بين خمسة وثلاثين ألف الف  
الى سبعة وثلاثين ألف ألف درهم. قال : واعددنا له شمعتين عنبر. قال : فدخل  
بها ليلا فأوقدتا بين يديه فكثر دخانها. فقال : ارفعوهما فقد آذانا الدخان وهاتوا  
الشمع، قال: ونحلنا أم جعفر في ذلك اليوم الصلح. قال: فكان سبب عود الصلح  
الى ملكي وكانت قبل ذلك لي فدخل على يوما حميد الطوسي فأقراني أربعة  
آبيات امتدح بها ذا الرئاستين فقلت له : ننفذها لك الى ذى الرئاستين واقطعك

الصلح في العاجل الى أن تأتي مكافأتك من قبله فاقطعته اياها، ثم ردها المامون على أم جعفر فنحلتها بوران.

ابن طاهر : كتاب بغداد ص 114

## 18 - غداء عند المامون

قال جعفر بن محمد الانماطي : لما دخل المامون بغداد وقر بها قراره وأمر أن يدخل عليه من الفقهاء، والمتكلمين. وأهل العلم جماعة يختارهم لمجالسته ومحادثته وكان يقعد في صدر نهاره على لبود في الشتاء، وعلى حصر في الصيف ليس معهما شيء من سائر الفرش، ويقعد للمظالم في كل جمعة مرتين لا يمتنع منه أحد. قال : واختير له من الفقهاء لمجالسته مائة رجل فما زال يختارهم طبقة بعد طبقة حتى حصل منهم عشرة كان أحمد بن أبي داود احدهم، وبشر المريسي. قال جعفر بن محمد الانماطي وكنت احدهم، قال فتعذينا يوما عنده فظننت انه وضع على المائدة أكثر من ثلاثمائة لون فكلما وضع لون نظر المأمون اليه فقال : هذا يصلح لكذا وهذا نافع لكذا. فمن كان منكم بلغم ورطوبة فليجتنب هذا : ومن كان صاحب صفراء فليأكل من هذا، ومن غلبت عليه السوداء فليأكل من هذا، ومن أحب الزيادة في لحمه فليأكل من هذا، ومن كان قصده فلة الغذاء فليقتصر على هذا قال : فوالله ما زالت تلك حاله في كل لون يقوم حتى رفعت المواثد. قال : فقال له يحيى بن اكنم يا أمير المؤمنين : ان خضنا في الطب كنت جالينوس في معرفته، أو في النجوم كنت هرمس في حسابه، أو في الفقه كنت على بن أبي طالب صلوات الله عليه في علمه، أو ذكر السخاء فأنت فوق حاتم في جوده، أو ذكرنا صدق الحديث كنت اباذر في صدق لهجته، أو الكرم كنت كعب بن مامة في ايثاره على نفسه قال : فسر بذلك الكلام. وقال يا أبا محمد: ان الانسان انما فضل على غيره من الهوام بفعله. وعقله، وتمييزه، ولولا ذلك لم يكن لحم أطيب من لحم، ولادم أطيب من دم .

ابن طاهر : كتاب بغداد ص 36

## 19 - وفاة المامون ووصيته

ولما اشتدت بالمامون علته بعث الى ابنه العباس، وهو يظن أن لن يأتيه، فأتاه وهو شديد المرض متغير العقل، قد نفذت الكتب بما نفذت له في أمر أبي اسحاق بن الرشيد، فأقام العباس عند أبيه أياما، وقد أوصى قبل ذلك الى أخيه أبي اسحاق.

وقيل : لم يوص الا والعباس حاضر، والقضاة والفقهاء والقواد والكتاب، وكانت وصيته : هذا ما أشهد عليه عبد الله بن هارون أمير المؤمنين بحضرة من حضره، أشهدهم جميعا على نفسه انه يشهد ومن حضره أن الله عز وجل وحده لا شريك له في ملكه، ولا مدبر لامره غيره، وأنه خالق وماسواه مخلوق، ولا يخلو القرآن أن يكون شيئا له مثل، ولا شيء مثله تبارك وتعالى، وان الموت حق، والبعث حق، وثواب المحسن الجنة وعقاب المسيء النار، وان محمدا صلى الله عليه وسلم قد بلغ عن ربه شرائع دينه، وادى نصيحته الى أمته، حتى قبضه الله اليه صلى الله عليه أفضل صلاة صلاها على أحد من ملائكته المقربين وانبيائه والمرسلين، وانى مقر مذنب، أرجو وأخاف، الا انى اذا ذكرت عفو الله رجوت، فاذا انامت فوجهوني وعضوني، وأسبغوا وضوئي وطهورى ، وأجيدوا كفني ، ثم اكثروا حمد الله على الاسلام ومعرفة حقه عليكم في محمد إذ جعلنا من أمته المرحومة، ثم اضجعوني على سريري ، ثم عجلوا بى فإذا أنتم وضعتموني للصلاة، فليتقدم بها من هو أقربكم بى نسباً، وأكبركم سنأ، فليكبر خمساً، يبدأ في الاولى في أولها بالحمد لله والثناء عليه والصلاة على سيدي وسيد المرسلين جميعاً، ثم الدعاء للمؤمنين والمؤمنات، الاحياء منهم والأموات، ثم الدعاء للذين سبقونا بالايمان، ثم ليكبر الرابعة، فيحمد الله ويهلله ويكبره ويسلم في الخامسة ثم أقولني فأبلغوا بى حفرتي، لينزل أقربكم الى قرابة، وأودكم محبة، وأكثروا من حمد الله وذكره، ثم ضعوني على شقي الايمن واستقبلوا بى القبلة، وحلوا كفني عن رأسي ورجلي، ثم سدوا اللحد باللبن، واحشوا تراباً على ، واخرجوا عنى وخلوني وعملي، فلكم لا يغنى عنى شيئاً، ولا يدفع عنى مكروها، ثم قفوا بأجمعكم فقولوا خيرا ان علمتم، وأمسكوا عن ذكر شر ان كنتم عرفتم، فانى مأخوذ من بينكم بما تقولون وما تلفظون به، ولا تدعوا باكية عندي، فان المعول عليه يعذب، رحم الله امرأ اتعظ وفكر فيما حتم الله على جميع خلقه من الفناء، وقضى عليهم من الموت الذي لا يد منه، فالحمد لله الذي توجد بالبقاء، وقضى على جميع خلقه

الفناء. ثم لينظر ماكنت فيه من عز الخلافة، هل أغنى ذلك عنى شيئًا إذ جاء أمر الله ! لا والله، ولكن اضعف على به الحساب، فياليت عبد الله بن هارون لم يكن بشرا. بل ليته لم يكن خلقًا ! ياأبا اسحاق ، اذن مني. اتعظ بما ترى، وخذ بسيرة أخيك في القرآن، واعمل في الخلافة اذا طوقكها الله عمل المرید لله. الخائف من عقابه وعذابه، ولا تغتر بالله ومهلتك، فكأن قد نزل بك الموت. ولا تغفل أمر الرعية. الرعية الرعية ! العوام العوام ! فان الملك بهم وبتعهدك المسلمين والمنفعة لهم. الله الله فيهم وفي غيرهم من المسلمين ! ولا ينهين اليك أمر فيه صلاح للمسلمين ومنفعة لهم الا قدمته واثرتة على غيره من هواك. وخذ من أقويائهم لضعفائهم. ولا تحمل عليهم في شيء، وانصف بعضهم من بعض بالحق بينهم. وقربهم وتأتمهم. وعجل الرحلة عنى . والقدم الى دار ملكك بالعراق. وانظر هؤلاء القوم الذين أنت بساحتهم فلا تغفل عنهم في كل وقت. والخرمية فأغزهم ذا حزامه وصرامة وجلد. واكفهم بالأموال والسلاح والجنود من الفرسان والرجالة. فان طالمت مدتهم فتجرد لهم بمن معك من انصارك وأولياك. واعمل في ذلك عمل مقدم النية فيه. راجيا ثواب الله عليه. واعلم أن العظة اذا طالمت أوجبت على السامع لها والموصي بها الحجة. فاتفق الله في امرك كله، ولا تفتن .

ثم دعا أبا اسحاق بعد ساعة حين اشتد به الوجع، وأحس بمجيء أمر الله فقال له : ياأبا اسحاق، عليك عهد الله وميثاقه وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقومن بحق الله في عبادته، ولتؤثرن طاعته على معصيته، إذ أنا نقلتها من غيرك اليك ؟ قال : اللهم نعم ، قال: فانظر من كنت تسمعني اقدمه على لساني فأضعف له التقدمة، عبد الله بن طاهر اقره على عمله . ولا تهجه، فقد عرفت الذي سلف منكما أيام حياتي وبحضرتي. استعطفه بقلبك، وخصه ببرك، فقد عرفت بلاءه وغناؤه عن أخيك . واسحاق . بن ابراهيم فأشركه في ذلك، فانه أهل له. وأهل بيتك، فقد علمت أنه لابقية فيهم وان كان بعضهم يظهر الصيانة لنفسه. عبد الوهاب عليك به من بين اهلك، فقدمه عليهم، وصير امرهم اليه. وأبو عبد الله بن ابى داود فعلايفارقك، واشركه في المشورة في كل امرك، فانه موضع لذلك منك، ولا تتخذن بعدى وزيراً تلقى اليه شيئاً، فقد علمت مانكبنى به يحيى بن اكثم في معاملة الناس وخبث سيرته حتى ابان الله ذلك منه في صحة مني، فصرت الى مفارقتة ! قاليا له غير راض بما صنع في أموال الله وصدقائه، لاجزاه الله عن الاسلام خيرا! وهؤلاء بنوعمك من ولد أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه، فأحسن



صحتهم، وتجاوز عن مسيئتهم، وأقبل من محسنهم، وصلاتهم فلاتغفلها في كل سنة عند محلها، فإن حقوقهم تجب من وجوه شتى. اتقوا الله ربكم حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون. اتقوا الله ربكم حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون. اتقوا الله واعملوا له، اتقوا الله في أموركم كلها. استودعكم الله ونفسي واستغفر الله مما سلف. واستغفر الله مما كان مني، انه كان غفارا، فانه ليعلم كيف ندمى على ذنوبي، فعليه توكلت من عظيمها، واليه انيب ولا قوة الا بالله، حسبي الله ونعم الوكيل، وصلى الله على محمد نبي الهدى والرحمة !

الطبرى : تاريخ 647/8

## 20 - موكب عيد في عهد المعتصم

حمدون بن اسماعيل النديم قال : حضر العيد فعبى المعتصم بالله خيله تعبئة لم يسمع بمثلها ولم ير لأحد من ولد العباس شبيه بها، وأمر بالطريق فمسح من قصره إلى المصلى ثم قسم ذلك على القواد وأعطى كل واحد منهم مضافه. فلما كان قبل الفطر بيوم حضر القواد وأصحابهم في أجمل زي وأحسن هيئة فلزموا مضافهم منذ وقت الظهر الى أن ركب المعتصم بالله على المصلى ، فكان الموضع باب قصره الى المصلى ثم قسم ذلك على القواد وأعطى كل واحد منهم مضافه، الذي وقع لابراهيم بن المهدي من بعد الحرسى بحداء مسجد الخوارزمي وابراهيم واقف وأصحابه في المضاف، فلما أصبح المعتصم أمر القواد الذين لم يرتبوا في المضاف بالمصير الى المصلى على التعبئة التي حدها، ولبس ثيابه وجلس على كرسي ينتظر مضى القواد، فلما انقضى أمرهم تقدم إلى الرجالة في المسير بين يديه فتقدم منهم سبعة آلاف ناشب من الموالى كل ثلاثمائة منهم في زي مخالف لزي الباقين وأربعة آلاف من المغاربة وأمر الشيعة فكانوا وراءه بأعمدة وعدتهم أربعة آلاف وركبت لا أدري منزلتي أين هي ولا أعرف مرتبتي ولم أعلم أين أسير من الموكب، فلما وضع رجلي في الركاب واستوى على سرجه التفت إلي وقال : يا حمدون كن أنت خلفي . فلزمت مؤخر دابته، فلما خرج من باب القصر تلقاه القواد وأصحاب المضاف يخرج الرجل من مضافه فإذا نزل وسلم عليه بالخلافة فيأمره بالركوب ويمضي، حتى وصل إلى ابراهيم بن المهدي فنزل وسلم عليه بالخلافة فرد عليه السلام فقال : كيف أنت يا ابراهيم وكيف حالك وكيف كنت في أيامك؟ اركب، فركب، فلما جاوزه التفت إلي فقال : يا حمدون ! قلت : لبيك يا أمير المؤمنين. قال : تذكر، قلت: أي والله

ياسيدي، وامسك. فنظرت في ما قال فلم أجدني أذكر شيئاً في ذلك الموضوع مما يشبه ما كنا فيه، فنغص على يومي وما رأيت من حسنه وسرورى بالمرتبة التي أهلني بها، وقلت : الخلفاء لا يعاملون بالكذب ولا يجوز أن يسألني عند انصرافي عن هذا الأمر فلا يكون له عندي جواب ولا حقيقة، وتخوفت أن ينالني منه مكروه. فلم أزل واجماً في طريقي الى وقت انصرافي ثم أجمعت على مغالطته ان امكنني وأعمل الحيلة في التخلص أن يسألني . فلما استقر في مجلسه وبسط السماط وجلس القواد على مراتبهم للطعام اقبلت أخدم واختلف ليست لي همة غير ما كان قاله لي لأغفل عن ذلك حتى انقضى أمر السماط ورفع الستر ونهض أمير المؤمنين، ودخل الحجرة ومضى الى المرقد، فلم ألبث أن جاء الخادم وقال لي : أجب أمير المؤمنين فمضيت فلما دخلت ضحك الى وقال : ياحمدون رايت؟ قلت : نعم ياسيدي قد رأيت. فالحمد لله الذي بلغ بي هذا اليوم وأرانيه فما رأيت ولا سمعت لأحد من الخلفاء والملوك بأجل منه ولا ابهى ولا أحسن. قال : ويحك رأيت ابراهيم بن المهدي ؟ قلت : نعم ياسيدي قال : رأيت سلامة على وردي عليه ونزوله الي؟ قلت: نعم، فقال : انه لما كان من أمره ما كان. يعنى الخلافة، قسم الطريق في يوم عيد من منزله الى المصلى كقسمتي اياه في هذا اليوم بين قواده. فوقع موضعي منه الموضع الذي كان به هذا اليوم، فلما حاذاني نزلت فسلمت عليه فرد على مثل ما رددته حرفاً حرفاً على ما قال لي، قال : فدعوت له وانفرج عني ما كنت فيه .

البیهني : المحاسن 152

الباب الثالث

التطورات السياسية



## 21 - ظروف تولية السفاح

فأظهر أبا العباس وأقبل به حتى دخل المسجد الأعظم، واجتمع له الناس، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه عليه السلام. ثم ذكر انتهاك بنى أمية المحارم وهدمهم الكعبة، ونصبهم عليها المجانيق وما ابدعوا من خبيث السير ثم نزل .

فأكثر الناس له من الدعاء: وأقبل نحو دار الامارة فنزلها، وأمر الحسن بن قحطبة بالانصراف إلى واسط، والاناخة ببيزيد بن عمر بن هبييرة. فسار الحسن وحاصر يزيد اشهرًا كثيرة .

قال الهيثم بن عدي : بويع لأبي العباس بالخلافة، ولأبي جعفر بولاية العهد من بعده في رجب من سنة اثنتين وثلاثين ومائة. فلما استدفع لأبي العباس الامرة ولى أبا سلمة الداعي جميع ما وراء بابه، وجعله وزيره وأسند إليه جميع أموره، فكان يسمى وزير آل محمد فكان ينفذ الأمور من غير مؤامرة. وبلغ ذلك أبا مسلم وهو بخراسان، فدعا مروان الضبى وكان أحد قواده وقال له : « انطلق الى الكوفة، فأخرج أبا سلمة من عند الامام أبا العباس، فأضرب عنقه، وانصرف من ساعتك» ففعل الضبى ذلك .

أبو حنيفة الدينوري  
الأخبار الطوال ص 370

## 22 - الخطبتان عند بيعة السفاح

وذكر أن أبا العباس لما صعد المنبر حين بويع له بالخلافة، قام في أعلاه، وصعد داود بن علي فقام دونه، فتكلم أبو العباس، فقال : الحمد لله الذي اصطفى الاسلام لنفسه تكرمه، وشرفه وعظمه، واختاره لنا وأيده بنا ، وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوام به، والذابين عنه والناصرين له، وألزمنا كلمة التقوى، وجعلنا أحق بها

وأهلها ، وخصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقربائه، وأنشأنا من آياته. وأنبئتنا من شجرته، واشتقنا من نبعته، جعله من أنفسنا عزيزا عليه ما عنتنا، حريصا علينا بالمؤمنين رؤؤفا رحيمًا، ووضعنا من الاسلام وأهله بالموضع الرفيع، وأنزل بذلك على أهل الاسلام كتابا يتلى عليهم، فقال عز من قائل فيما أنزل من محكم القرآن : «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا»، وقال : «قل لا اسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى» وقال : «وأنذر عشيرتک الاقربین» وقال : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذی القربى والیتامی»، وقال : «واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذی القربى والیتامی» فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا ، وأوجب عليهم حقنا ومودتنا، وأجزل من الفيء والغنيمة نصيبنا تکرمة لنا وفضلا علينا، والله ذو الفضل العظيم .

وزعمت السبئية الضلال، أن غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا، فشاهت وجوههم ! بم ولم أيها الناس ؟ وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم، وبصرهم بعد جهالتهم، وأنقذهم بعد هلكتهم وأظهر بنا الحق، وادحض بنا الباطل، وأصلح بنا منهم ما كان فاسدا، ورفع بنا الخسيسة، وتم بنا النقيصة، وجمع الفرقة، حتى عاد الناس بعد العداوة أهل تعاطف وبر ومواساة في دينهم ودنياهم، وأخوانا على سر متقابلين في آخرتهم، فتح الله ذلك منة ومنحة لمحمد صلى الله عليه وسلم. فلما قبضه الله اليه، قام بذلك الأمر من بعده اصحابه، وأمرهم شورى بينهم فحووا موارث الأئم، فعدلوا فيها ووضعوها مواضعها، وأعطوها أهلها، وخرجوا خماصا منها. ثم وثب بنو حرب ومروان، فابتزوها وتداولوها بينهم، فجاروا فيها، واستأثروا بها، وظلموا أهلها، فأملى الله لهم حيننا حتى أسفوه، فلما أسفوه انتقم منهم بأيدينا، ورد علينا حقنا، وتدارك بنا أمتنا، وولى نصرنا والقيام بأمرنا، ليمن بنا على الذين استضعفوا في الأرض، وختم بنا كما افتتح بنا. وانى لأرجو ألا يأتىكم الجور من حيث أتاكم الخير، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح، وما توفيقنا أهل البيت الا بالله. يا أهل الكوفة، انتم محل محبتنا ومزحل مودتنا.. انتم الذين لم تتغيروا عن ذلك، ولم يثنكم عن ذلك تحامل أهل الجور عليكم، حتى ادركتم زماننا ، وأتاكم الله الله بدولنا، فانتم أسعد الناس بنا، وأكرمهم علينا ، وقد زدتم في اعطياتكم مائة درهم، فاستعدوا، فأنا السفاح المبيح، والثائر المبير .

وكان موعوكا فاشتد به الوعك، فجلس على المنبر، وصعد داود بن على فقام دونه على مراقى المنبر، فقال :

الحمد لله شكرا شكرا شكرا، الذي اهلك عدونا، وأصار الينا ميراثنا من نبينا محمد صلى الله عليه. أيها الناس ، الآن اقمشعت حداس الدنيا. وانكشف غطاؤها وأشرفت أرضها وسماؤها، وطلعت الشمس من مطلعها، وبرز القمر من مبرزه، وأخذ القوس ياربها، وعاد السهم الى منزعه، ورجع الحق الى نصابه، في أهل بيت نبيكم، أهل الرأفة والرحمة بكم والعطف عليكم. أيها الناس، أنا والله ما خرجنا في طلب هذا الأمر لنكشر لجينا ولاعقيانا، ولا نحفر نهرا، ولا نبني قصرا، وانما أخرجنا الانفة من ابتزازهم حقنا، والغضب لبني عمنا، وماكرتنا من أموركم، وبهظنا من شؤونكم، ولقد كانت أموركم ترمضنا ونحن على فرشنا ، وببشتد علينا سوء سيرة بني أمية فيكم، وخرقهم بكم ، واستذلالهم لكم، واستئثارهم بفيئكم وصدقاتكم ومغانمكم عليكم. لكم ذمة الله تبارك وتعالى ، وذمة رسوله صلى الله عليه وآله، وذمة العباس رحمه الله، أن نحكم فيكم بما أنزل الله، ونعمل فيكم بكتاب الله، ونسير في العامة منكم والخاصة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. تبا تبا لبني حرب بن أمية وبني مروان - آثروا في مدتهم وعصرهم العاجلة على الآجلة، والدار الفانية على الدار الباقية، فركبوا الآثام، وظلموا الانام، وانتهكوا المحارم، وغشوا الجرائم ، وجاروا في سيرتهم في العباد، وسنتهم في البلاد التي بها استلذوا تسربل الازوار ، وتجليب الأصار، ومروحا في اعنة المعاصي ، وركضوا في ميادين الغي، جهلا باستدراج الله، وامنا لمكر الله، فاتاهم بأس الله بيانا وهم نائمون، فاصبحوا احاديث ، ومزقوا كل ممزق، فبعدا للقوم الظالمين ! وأدالنا الله من مروان، وقد غره بالله الغرور، ارسل لعدو الله في عنانه حتى عثر في فضل خطامه، فظن عدو الله ان لن نقدر عليه، فنادى حزبه، وجمع مكابده، ورمى بكتائبه، فوجد أمامه ووراءه وعن يمينه وشماله، من مكر الله وبأسه ونقمته ما امات باطله، ومحق ضلاله، وجعل دائرة السوء به، واحيا شرفنا وعزنا، ورد الينا حقنا وارثنا .

أيها الناس، ان أمير المؤمنين نصره الله نصرا عزيزا، انما عاد الى المنبر بعد الصلاة، انه كره أن يخلط بكلام الجمعة غيره. وانما قطعه عن استتمام الكلام بعد أن اسحنفر فيه شدة الوعك، وادعوا الله لأمير المؤمنين بالعافية، فقد ابدلكم الله بمروان عدو الرحمن وخليفة الشيطان المتبع للسفلة الذين افسدوا في الأرض بعد صلاحها بابدال الدين وانتهاك حريم المسلمين، الشاب المتكهل المتهمل، المقتدى بسلفه الابرار الأخيار، الذين اصلحوا الأرض بعد فسادها، بمعالم الهدى، ومناهج التقوى .

فجع الناس له بالدعاء. ثم قال :

يا أهل الكوفة، أنا والله مازلنا مظلومين مقهورين على حقنا، حتى أتاح الله لنا شيعةتنا أهل خراسان، فأحيا بهم حقنا، وأفلح بهم حجتنا، وأظهر بهم دولتنا، وأراكم الله ماكنتم تنتظرون، واليه تنتشفون، فأظهر فيكم الخليفة من هاشم، وبيض به وجوهكم، وادالكم على أهل الشام، ونقل اليكم السلطان، وعز الاسلام، ومن عليكم بامام منحه العدالة واعطاه حسن الايالة فخذوا ما آتاكم الله بشكر، والزموا طاعتنا، ولا تخذعوا عن أنفسكم فان الأمر أمركم، وان لكل أهل بيت مصرا، وانكم مصرنا. ألا وانه ماصعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أمير المؤمنين على ابن أبى طالب وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد - وأشار بيده الى أبى العباس - فاعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا حتى نسلمه الى عيسى بن مريم صلى الله عليه، والحمد رب العالمين على ما أبلانا وأولانا .

ثم نزل أبو العباس وداود بن على امامه، حتى دخل القصر، واجلس أبا جعفر ليأخذ البيعة على الناس في المسجد، فلم يزل يأخذها عليهم، حتى صلى بهم العصر، ثم صلى بهم المغرب، وجنهم الليل، فدخل .

الطبرى : تاريخ 425/7

## 23 - الخصوم الاولون للدولة الجديدة

ووجه أبو العباس أخاه أبا جعفر الى واسط، وكان الحسن بن قحطبة محاصرا ليزيد بن عمر بن هبيرة، وأمره بمجالدته، فحوصر احد عشر شهرا، وكان معه جماعة من قواد مروان وأصحابه، وممن كان مع عامر بن ضبارة، ونباته بن حنظلة، الذين قتلهم قحطبة، وكان يزيد قد استعد لحصار سننين، وادخل الاقوات والعلوفة لعشرين ألف مقاتل، فصدقوه المحاربة، وطلب الامان ووجه السفراء، فأجيب إلى ذلك، وكتب له كتاب أمان، وشرط له فيه ما سأل. وخنمه أبو العباس .

وخرج ابن هبيرة حتى صار إلى أبى جعفر، فبايع ثم رجع إلى موضعه، وكان يركب كل يوم في ألف فارس وألف راجل، فقال بعض أصحاب أبى جعفر له : أصلح الله الامير ! ان ابن هبيرة لياتى فيتضعضع له العسكر. فقال لأبى غسان حاجبه : قل لابن هبيرة فليقلك من جمعه ! فركب اليه في خمسمائة راجل، فقال له الحاجب : كأنك تأتينا مباهيا، فركب اليهم في ثلاثين فارسا، وثلاثين راجلا، فكان أبو جعفر



يقول : ما رأيت انبل من ابن هبيرة، ولأنتيه، ان كان ليدخل الى ، فيقول : كيف انت يا هذا أوحالك ، وكيف ما ياتيك عن صاحبك ؟ فان كنت لاحدته فيقول : أيها لله أبوك ! ثم يتداركها فيقول : اصلح الله الأمير ! انى قريب عهد بامارة، وكان الرجل يحدثنى، فأقول بهذا ونحوه. وقال له يوماً : حدثنى ! فقال : لامحضنك النصيحة محضاً، ان عهد الله لاينكث وعقدته لاتحل ، وان امارتكم هذه جديدة، فأذيقوا الناس حلاوتها، وجنبوهم ماراتها .

ووجدت كتب لابن هبيرة الى محمد بن عبد الله بن حسن يعلمه أن يبائع له، وان قبله اموالا وعدة وسلاحاً، وان معه عشرين ألف مقاتل ، فانفذت الكتب الى ابي العباس فقال أبو العباس : نقض عهده، وحدث ما احل به دمه، فكتب الى أبي جعفر : ان اضرب عنقه، فانه غدر، ونكث، ونقض العهود، وكثرت كتبه بذلك ، وكتب أبو مسلم من خراسان يحرض على قتله، ويخبر أن الأمر لايستقيم ما كان حياً، وانه ممن لا يصلح للاستبقاء. وقال أبو جعفر للحسن بن قحطبة الطائى : ان أمير المؤمنين قد أمر بقتل هذا الرجل ، فتول ذلك ! فقال له الحسن : ان قتلته كانت العصية بين قومي وقومه، والعداوة، واضطرب عليك من بعسكرك من هؤلاء وهؤلاء، ولكن انفذ اليه برجل من مضر يقتله. فوجه اليه بخازمه بن خزيمة التميمي ، فأتاه في جماعة، فوافاه وهو جالس في رحبة القصر بواسطة، فلما رأهم قال : اقسمت بالله ان في وجوه القوم لغدرة ! فلما دنوا منه قام ابنه داود في وجوههم، فضربه بعضهم بالسيف فجدله، وصاروا الى يزيد فضربوه بأسيافهم حتى قتلوه، ثم تتبعوا قواده وأصحابه، فقتلوه عن آخرهم .

وخرج شريك بن شيخ المهري ببخارى فقال : ما على هذا بايعنا آل محمد، ان نسفك الدماء، ونعمل غير الحق. فوجه اليه أبو مسلم زياد بن صالح الخزاعي، فقاتله، فقتله .

وخرج أبو محمد السفيناني، وهو يزيد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفیان، بما لديه، وخرج محمد بن مسلمة بن عبد الملك بخران، وحاصر موسى بن كعب، وكان عامل أبي جعفر، وأبو جعفر يومئذ عامل الجزيرة، ورماها بالمنجنيق، وحرقت أبوابها، وكان ذلك سنة 133 .

ثم بلغ محمد بن مسلمة قتل ابي محمد السفيناني وقتل ابي الورد بن كوثر

ابن زفر، فانصرف عنها، ونفرت جمعه، واتبعه موسى بن كعب، فقتل خلقا من أصحابه، وتعمد عدة مدائن من الجزيرة .

وأقام اسحاق بن مسلم العقيلي بسبيساط سبعة أشهر، وأبو جعفر محاصر له، وقيل : لم يحاصره أبو جعفر، ولكن عبد الله بن علي حاصره، وكان اسحاق يقول : في عنق بيعة، فلا ادعها ابدا حتى اعلم أن صاحبها قد مات، أو قتل .  
اليقوي : تاريخ 353/2

#### 24 - استرضاء المنصور لجنود أبي مسلم

وقد كان أبو مسلم قبل دخوله على أبي جعفر قال لعيسى بن علي : «ادخل معي الى أمير المؤمنين، فاني أريد معاتبته في بعض الأمور.» فقال له عيسى : «تقدم فاني على اترك.» فأقبل عيسى حتى دخل على أبي جعفر، فقال: «يا أمير المؤمنين، أين أبو مسلم؟» قال أبو جعفر : « هاهو ذاك ملفوف في ذلك البساط.» قال عيسى: اقتلته؟ أنا لله. فكيف تصنع بجنوده؟ وهؤلاء قد جعلوه ربا.» فأمر أبو جعفر، فهيتت ألف صرة في كل صرة ثلاثة آلاف درهم. وأحس أصحاب أبي مسلم بالامر، فصاحوا وسلوا السيوف، فأمر أبو جعفر بتلك الصر، فقذفت اليهم مع رأس أبي مسلم. وصعد عيسى بن علي الى أعلى القصر وقال : « يا أهل خراسان، انما كان أبو مسلم عبدا من عبيد أمير المؤمنين، وجد عليه، فقتله، فليفرخ روعكم ، فان أمير المؤمنين بالغ آمالك.» فترجل القوم وتناولوا تلك الصر، كل واحد صرة، وترك الرأس مقذوفا. ثم ان أبا جعفر وضع لأصحاب أبي مسلم العطاء، ووجه الأموال الى عسكر أبي مسلم حيث خلفه، فأسنى لهم العطاء، وكتب كتابا فقرئ عليهم، يبسط فيه آمالهم، واجزل صلات القواد والاشراف منهم فأرضاهم ذلك .

أبو حنيفة الدينوري : الأخبار الطوال ص 382

#### 25 - المراسلة بين المنصور والنفس الزكية

قالوا : لما بلغ أبا جعفر المنصور ظهور محمد بن عبد الله المدينة كتب الله: بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين، الى محمد بن عبد الله : «انما جزء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم

خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم، الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم» ولك على عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم أن تتبت ورجعت من قبل أن أقدر عليك أن أوْمنك وجميع ولدك واخوتك وأهل بيتك ومن اتبعكم على دماءكم وأموالكم، واسوغك ما أصبت من دم أو مال، وأعطيك ألف الف درهم، وما سألت من الحوائج، وانزلك من البلاد حيث شئت، وان أطلق من في حبسى من أهل بيتك، وان أوْمنك كل من جاءك وبابك واتبعتك، أو دخل معك في شيء من أمرك، ثم لا تتبع احدا منهم بشيء كان منه ابدا. فان أردت ان تتوثق لنفسك، فوجه إلى من أحببت، يأخذ لك من الامان والعهد والميثاق ما تتفق به .

وكتب على العنوان من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله فكتب إليه محمد بن عبد الله (بسم الله الرحمن الرحيم) من عبد الله المهدي محمد بن عبد الله الى عبد الله بن محمد طسم تلك آيات الكتاب المبين نقلوا عليك من نبي موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يحذرون وأنا أعرض عليك من الامان مثل الذي عرضت على فان الحق حقنا وانما ادعيتهم هذا الأمر بنا وخرجتم له بشيعتنا وحظيتهم بفضلنا وان أبانا عليا كان الوصى وكان الإمام فكيف ورثتم ولايته وولده احياءه ثم قد علمت أنه لم يطلب هذا الأمر أحد له مثل نسبنا وشرفنا وحالنا وشرف أبائنا لسنا من أبناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء وليس يمت أحد من بنى هاشم بمثل الذي تمت به من القرابة والسابقة والفضل وانا بنو أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو في الجاهلية وبنو بنته فاطمة في الاسلام دونكم ان الله اختارنا واحترانا فوالدنا من النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ومن السلف أولهم اسلاما عنى ومن الأزواج أفضلهن خديجة الطاهرة وأول من صلى القبلة ومن البنات خيرهن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ومن المولودين في الإسلام حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة وان هاشما ولد عليا مرتين وان عبد المطلب ولد حسنا مرتين وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدنى مرتين من قبل حسن وحسين وانى أوسط بنى هاشم نسبيا وأصرحهم أبا لم تعرف في العجم ولم تنازع في أمهات الاولاد فمازال الله يختار لى الآباء والامهات في الجاهلية والاسلام

حتى اختار لى في النار فأنا ابن أرفع الناس درجة في الجنة وأهونهم عذاباً في النار وأنا ابن خير الاخيار وابن خير الأشرار وابن خير أهل الجنة وابن خير أهل النار ولك الله على ان دخلت في طاعتي وأجبت دعوتي أن أؤمنك على نفسك ومالك وعلى كل أمر أحدثته الا حدا من حدود الله أو حقا لمسلم أو معاهد فقد علمت ما يلزمك من ذلك وأنا أولى بالأمر منك واوفى بالعهد لأنك أعطيتني من العهد والامان ما أعطيته رجلا قبلي فأبي الامانات تعطيني أمان ابن هبيرة أم أمان عمك عبد الله بن على أم أمان أبى مسلم .

الطبرى : تاريخ 566/7

## 26 - دعوة العلويين في البلدان

وقد كان تفرق اخوة محمد وولده في البلدان يدعون إلى امامته، فكان فيمن توجه ابنه علي بن محمد الى مصر، فقتل بها، وسار (ابنه) عبد الله الى خراسان فهرب لما طلب إلى السند، فقتل هناك، وسار ابنه الحسن الى اليمن، فحبس فمات في الحبس، وسار أخوه موسى الى الجزيرة، ومضى أخوه يحيى الى الري ثم الى طبرستان، فكان من خبره في أيام الرشيد ما سنورده فيما يرد من هذا الكتاب، ومضى أخوه ادريس بن عبد الله الى المغرب فأجابه خلق من الناس، وبعث المنصور من اغتاله (بالسم) فيما احتوى عليه من مدن المغرب، وقام ولده ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن مقامه، فعرف البلد بهم، فقبيل : بلد ادريس بن ادريس، وقد اتينا على خبرهم عند ذكرنا لخبر عبيد الله صاحب المغرب وبنائه المدينة المعروفة بالمهدية، وخبر ابي القاسم ابنه بعده، وانتقالهم من مدينة سلمية من أرض حمص الى المغرب، في الكتاب الأوسط، ومضى ابراهيم اخوه الى البصرة وظهر بها، فأجابه أهل فارس والاهواز وغيرها من الامصار وسار من البصرة في عساكر كثيرة من الزيدية وجماعة ممن يذهب الى قول البغداديين من المعتزلة وغيرهم، ومعه عيسى بن زيديين (على بن) الحسن بن على (بن الحسين بن على) بن أبي طالب رضى الله عنهم، فسير اليه المنصور عيسى بن موسى وسعيد بن سلم في العساكر، فحارب حتي قتل في الموضع المعروف بباخمري، وذلك على ستة عشر فرسخاً من الكوفة من أرض الطف، وهو الموضع الذي ذكرته الشعراء ممن رثى ابراهيم. فممن ذكر ذلك دعبل بن على (الخزاعي، فقال) في قصيدة (له) أولها :

مدارس آيات خلت من تلاوة  
ومنزك وحى مقفر العرصات  
ومنها قوله فيهم :

قبور بكوفان وأخرى بطيبة  
وأخرى بارض الجوزجان محلها  
وأخرى بفاخرى لدى الغربيات

وقتل معه من الزيدية من شيعته اربعمائة رجل، وقيل : خمسمائة (رجل)

المسعودى : مروج 3/307

## 27 - ثورة إبراهيم بن عبد الله العلوى

وزحف ابراهيم حتى صار الى قرية يقال لها ياخمر، وصار عيسى بن موسى الى قرية يقال لها سحا، وقدم حميد بن قحطبة الطائى للقتال، والتحمت الحرب، وكانت أشد حرب ، والدائرة على عيسى بن موسى حتى شك الناس في علو ابراهيم وظفره، ثم أن سلم بن قتيبة الباهلى خرخ على اصحاب ابراهيم من ناحية بخيل، فتوهموا كميناً، فانهزموا، وبقي ابراهيم في اربعمائة من الزيدية يحارب أشد محاربة، وكان ابراهيم يدعو إلى أخيه محمد، فلما قتل محمد دعا الى نفسه .

وحدثني رجل من القحطانية قال : أخبرني .... قال : رأيت ابراهيم في اليوم الذي واقعه عيسى على بغلة دهماً. وسديف بن ميمون أخذ بثفر بغلته. وهو يقول :

خذها ابا اسحاق مليتها في سيرة ترضى وعمر طويل

وظهر ابراهيم ظهوراً شديداً حتى هزم العسكر مرة بعد أخرى، وزحف حتى قرب من الكوفة، وحتى دعا أبو جعفر بنجائبه ليصير إلى بغداد، وكان العلوى في ابراهيم حتى انه لم يشك أنه يدخل الكوفة .

وكان أبو جعفر لاينام في تلك الليالي، وحمل إليه امرأتان، فاطمة بنت محمد الطاحية، وام الكريم بنت عبد الله من ولد خالد بن اسيد، فوجه بهما إلى بغداد ولم يكشف لهما كشافاً .

ولما ان هزم أصحاب ابراهيم قام يحارب أشد حرب في اربعمائة من أصحابه إلى أن قتل وأخذ رأسه، فوجه به الى أبى جعفر وهو بالكوفة .

اليقوي : تاريخ 2/378

## 28 - رأي المنصور في الخلاف مع العلويين

وذكر الفقيمي ان عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن مولى محمد بن علي حدثه، ان المنصور لما أخذ عبد الله بن حسن واخوته والنفر الذين كانوا معه من أهل بيته، صعد المنبر، فحمد الله واثنى عليه، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال :

يا أهل خراسان، انتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دولتنا، ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا من هو خير منا، وأن أهل بيتي هؤلاء من ولد علي بن أبي طالب تركناهم والله الذي لا اله الا هو والخلافة، فلم نعرض لهم فيها بقليل ولا كثير، فقام فيها على بن أبي طالب فتلطخ وحكم عليه الحكمين، فافتقرت عنه الأمة، واختلفت عليه الكلمة. ثم قام من بعده الحسن بن علي، فو الله ما كان فيها برجك، قد عرضت عليه الأموال، فقبلها، فدرس اليه معاوية، انى اجعلك ولى عهدى من بعدى، فخدعه فانسلخ له مما كان فيه، وسلمه اليه، فاقبل على النساء يتزوج في كل يوم واحدة فيطلقها غدا، فلم يزل على ذلك حتى مات على فراشه، ثم قام من بعده الحسين بن علي، فخدعه أهل العراق وأهل الكوفة، أهل الشقاق والتفاق والاعراف في الفتن، أهل هذه المدرة السوداء - وأشار الى الكوفة - فوالله ما هي بحرب فأحارباها، ولا سلم فأسلمها، فرق الله بيني وبينها، فخذلوه واسلموه حتى قتل. ثم قام من بعده زيد بن علي، فخدعه أهل الكوفة وغروه. فلما اخرجوه وظهروه اسلموه، وقد كان اتى محمد بن علي، فناشده في الخروج وسأله الا يقبل اقاويك أهل الكوفة. وقال له : أنا نجد في بعض علمنا، أن بعض أهل بيتنا . يصلب بالكوفة. وأنا أخاف أن تكون ذلك المصلوب، وناشده عمى داود بن علي وحذره غدر أهل الكوفة فلم يقبل، واتم على خروجه، فقتل وصلب بالكناسة. ثم وثب علينا بنو أمية، فماتوا شرفنا، بنى وأذهبوا عزنا، والله ما كانت لهم عندنا ترة يطلبونها، وما كان لهم ذلك كله الا فيهم وبسبب خروجهم عليهم. فنفونا من البلاد. فصرنا مرة بالطائف، ومرة بالشام، ومرة بالشراة، حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وأنصارا، فأحيا شرفنا، وعزنا بكم أهل خراسان، ودمغ بحقكم أهل الباطل، وأظهر حقنا، وأصار إلينا ميراثنا عن نبينا صلى الله عليه وسلم، فقر الحق مقره، وأظهر مناره، واعز أنصاره. وقطع دابر القوم الذين ظللوا والحمد لله رب العالمين. فلما استقرت الأمور فينا على قرارها، من فضل الله فيها

وحكمه العادل لنا ، وثبوا علينا، ظلما وحسدا منهم لنا، وبغيا لما فضلنا الله به عليكم وأكرمنا به من خلافته وميراث نبيه صلى الله عليه وسلم .

جهلا على وجينا عن عدوهم لبئست الخلتان الجهل والجبين

فانى والله يأهل خراسان ما اتيت من هذا الأمر ما اتيت بجهالة، بلغنى عنهم بعض السقم والتعرم، وقد دستت لهم رجلا فقلت : قم يافلان قم يافلان، فخذ معك من المال كذا، وجذوت لهم مثالا يعملون عليه، فخرجوا حتى اتوه بالمدينة، فدسوا اليهم تلك الأموال، فو الله مابقى منهم شيخ ولا شاب، ولا صغير ولا كبير الا بايعهم بيعة، استحلقت بهادماءهم وأموالهم وحلت لى عند ذلك بنقضهم بيعتى، وطلبهم الفتنة، والقماشهم الخروج على ، فلا يرون انى اتيت ذلك على غير يقين. ثم نزل وهو يتلو على درج المنبر هذه الآية : «وحيل بينهم وبين مايشتهون كما فعل بأشباعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب».

الطبري : تاريخ 92/8

## 29 - سياسة العباسيين الدينية

وشخص مع المهدي في هذه السنة ابنه هارون وجماعة من أهل بيته، وكان ممن شخص معه يعقوب بن داود، على منزلته التي كانت له عنده. فأتاه حين وأفى مكة الحسن بن ابراهيم بن عبد الله بن الحسن الذي استأمن له يعقوب من المهدي على امانه، فأحسن المهدي صلته وجازته، واقطعه مالا من الصوافي بالحجاز.

وفيهما نزع المهدي كسوة الكعبة التي كانت عليها، وكساها كسوة جديدة. وذلك ان حجه الكعبة - فيما ذكر - رفعوا اليه أنهم يخافون على الكعبة ان تهدم لكثرة ما طلى البيت كله بالخلوق، وذكر انهم لما بلغوا الى كسوة هشام وجودها ديباجا ثخيناً عليها من الكسوة، فأمر ان يكشف عنها ما عليها من الكسوة حتى بقيت مجردة، ثم جيذا، ووجدوا كسوة من كان قبله عامتها من مناع اليمن.

وقسم المهدي في هذه السنة بمكة في أهلها - فيما ذكر - مالا عظيما، وفي أهل المدينة كذلك، فذكر انه نظر فيما قسم في تلك السفارة فوجد ثلاثين ألف ألف درهم، حملت معه، ووصلت اليه من مصر. ثلثمائة ألف دينار، ومن اليمن مائتا ألف دينار. فقسم ذلك كله، وفرق من الثياب مائة ألف ثوب وخمسين ألف ثوب ، ووسع

في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر بنزع المقصورة التي في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فنزعت. وأراد أن ينقص منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعيده الى ماكان عليه، ويلقى منه ما كان معاوية زاد فيه، فذكر عن مالك بن أنس أنه شاور في ذلك، ففيل له : ان المسامير قد سلكت في الخشب الذي احدثه معاوية، وفي الخشب الاول وهو عتيق. فلا نأمن أن خرجت المسامير التي فيه وزعت أن يتكسر. فتركه المهدي .

وأمر ايام مقامه بالمدينة باثبات خمسمائة رجب من الأنصار ليكونوا معه حرسا له بالعراق وأنصارا. وأجرى عليهم ارزاقا سوى اعطياتهم. واقطعهم عند قدومهم معه ببغداد قطيعة تعرف بهم .

الطبرى : تاريخ 8/133

### 30 - وقعة فخ

وكان الهادي قد استوزر الربيع وضم إليه ما كان لعمر بن بزيع من الزمام ثم (انه) ولى عمر بن بزيع الوزارة ودبوان الرسائل، وأفرد الربيع بالزمام، فمات الربيع في هذه السنة. وقيل : ان الهادي سقاه شربة لأجل جارية كان قد وهبها له المهدي كانت قبل ذلك للربيع، وقيل غير ذلك .

وظهر في أيامه الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب رضي الله عنهم، وهو المقتول بفخ، وذلك على سنة أميال من مكة. يوم التروية وكان على الجيش الذي حاربه جماعة من بنى هاشم : منهم سليمان بن أبي جعفر، ومحمد ابن سليمان بن على . وموسى بن عيسى. والعباس بن محمد بن على. في أربعة آلاف فارس، فقتل الحسين وأكثر من كان معه. وأقاموا ثلاثة أيام له يواروا حتى أكلتهم السباع والطير، وكان معه سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي. فأسرف في هذا اليوم وضربت رقبته بمكة صبرا، وقتل معه عبد الله بن اسحاق بن ابراهيم بن الحسن بن على. وأسر الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن (بن الحسن بن علي) وضرب عنقه صبرا، وأخذ لعبد الله ابن الحسن بن على وللحسين بن على الامان، فحبسا عند جعفر بن يحيى بن خالد ابن برمك، وقتلا بعد ذلك. فسخط الهادي على موسى بن عيسى لقتل الحسين ابن على (بن الحسن بن الحسن) وترك المصير به اليه ليحكم فيه بما يرى. وقبض أموال موسى. وأظهر الذين



أتوا بالرأس الاستبشار، فبكى الهادي وزجرهم، وقال اتيتموني مستبشرين كأنكم اتيتموني برأس رجل من الترك أو الديلم، انه رجل من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الا ان أقل جزائكم عندي لاثبيكم شيئاً .

المسعودى : مروج 3/336

### 31 - تضييق الهادي على الطالبيين

وارتحل من جرجان بعد ثلاثة أيام الى العراق، فنزل بعيسا باذ، وكان المهدي بنى هذا الموضع، فاستتمه موسى، وكان به منزله، وولى الغطريف بن عطاء خاله خراسان وأعمالها. فقدم خراسان وكانت هادئة الأمور ساكنة، والملوك في الطاعة، فظهر منه أمور قبيحة، وضعف شديد، فاضطربت البلاد، وتحرك جماعة من الطالبيين، وصاروا الى ملوك النواحي. فقبلوهم، ووعدهم بالنصر والمعونة. وذلك ان موسى الح في طلب الطالبيين. وأخافهم خوفاً شديداً، وقطع ما كان المهدي يجريه لهم من الأرزاق والاعطية. وكتب الى الأفاق في طلبهم وحملهم، فلما اشتد خوفهم، وكثر من يطلبهم. ويحث عليهم، عزم الشيعة وغيرهم الى الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي. وكان له مذهب جميل وكماك ومجد، وقالوا له : أنت رجل أهل بيتك، وقد ترى ما أنت وأهلك وشيعتك فيه من الخوف والمكروه. فقال لهم : ان الشعار بيننا أن ينادي رجل : من رأى الجمل الأحمر، فما وافاه الا أقل من خمسمائة، وكان ذلك في سنة 169 بعد انقضاء الموسم، فلقبه سليمان بن أبي جعفر، والعباس بن محمد بن علي، وموسى بن عيسى بفخ، فانهزم ومن كان معه، وافترقوا . وقتل الحسين بن علي، وجماعة من أهله، وهرب خاله ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، بن علي، فصار الى المغرب، فغلب على ناحية تتاخم الاندلس. يقال لها فاس. فاجتمعت عليه كلمة أهلها.

فذكر أهل المغرب ان موسى وجه اليه من اغتاله بسم في مساوak فمات. وصار ادريس بن ادريس مكانه، وولده بها الى هذه الغاية يتوارثون تلك المملكة.

اليعقوبي : تاريخ 2/404

### 32 - من رسالة يحيى بن زياد في تقرير الرشيد

... ثم ساس رعيته بالين سياسة فعفا عن مذنبها ولو شاء لعاقب . وأمن

خائفها ولو شاء لأدرك، ودفع بالحسنة السيئة ولو كافأ لقدر. فما برح صنع الله له يفيض جموع الضلالة بلا قتال، ويعجز له النصر بلا مكاثرة، حتى فرغ بشغله من كان لا يفرغ من الوزراء، ونام بسهره من كان لا ينام من العامة، واطمأنت بمنااته للأسفل، دار من كان لا ينام الخفض من الجنود حتى استوطنوا مركب الأمن، فكله ضنين بمفارقته، أما ذو النية، فركن الى النقص. وأما من لا يبده، ففعل ما كان يؤخذ به من الاستكراه. وأما الحشر من الجند والرعا، فخطبت عليهم عادة الهوبنا. حتى لو رأيناه يجذبه الأمر فما يجد له الأمر غناء عنده ولا نشاطاً ولا حدا ان وكله إلى قوته، وقواه بماله .

فلما رأى ما رأى من تخاذل العامة، وتوكل الجنود، ونزور الفيء، وجمود الحطب، واستكلاب العمال على الخيانة، وجرأة الرعية على منع الحق ، ومال الفراغ بكثير من الناس عن القصد، فتحركت الأهواء. واستعرت نيران العصبية، وجاشت صدور الحسدة وأشياعهم بالأمانى، وظنوا أن لإشدة معه، وأن عفوهم لأكبر بعده، وأمير المؤمنين يرمقهم بعين بصيرة، وأذن مصيخة. وقلب يقظان، وقد وقر الحلم أن يخف لأول بوادر السفهاء، فهو ينتظر بالمدير أن يقبل، وبالمائد أن يعتدك وبالمضطوب على رأيه أن يتذكر فيبصر، شمر في اثرهم تشمير من قدم الروية قبل العجلة والحفو قبل العقوبة، والتثبت قبل الاقدام. فاتخذ روابط انتجها على الجلد والنشاط، لميسر لهم سوابق تدعوهم الى الادلاك وتسمو بهم الى كثير لم ينالوه، انما همهم أن يتفاضلوا في النجدة، ويستوجبوا بالغناء، ثم فرقهم على خواص خدمه. فإذا أراد أن يتناول بهم فرصة ممكنة، أو عدوا غاط، أو راتق فتق قبل الساعة، يغمس يديه الى ايهم أرادته. فينفذ لأمره ولم يشركه فيه مشير، ولم يخرج به توقيع ، ولم يخص فيه عامة، ولم يطلع منه على مكيدة. فلم نعلم أننا رأينا جندا اسرع نهضة اذا مروا، واحسن اجابة اذا دعوا، وأفضل غناء اذا استكفوا من جنده. ثم قصد بنفسه حتى مثل بين النواحي إلى أهمها له فسادا في البيضة، وانتقاصا من الأطراف. فأتى ناحية الشام، فوطئها وطأة جمع الله بها لهم شتات الفرقة، واخمد بها بينهم نار الفتنة.

وأما الجزيرة فانه ألفاها وهي كالجرح النخل، فاستأصل الله به منها شأفة الداء، واطفاً به عنها بوادر السفهاء. وخير أمير المؤمنين من منزله الذي هو به منزلا جمع من بسطته في الموضع، ورفاهيته في المعاش . انه حاكم للجنود، جامع للمرافق، فباشر أمره أمرا أمرا، حتى اذا استدبر له منها مبرم، استقبل بعده جسام منقضى. واذا اشحن من ثغوره ثغرا لم يرض حتى يفتتح من حصون اعدائه حصناً، واذا قضى

الله عنه حجة، وصل خطوه منها عزا. ثم رأينا ما عزم الله به عليه من ترك الصوائف، مراقبا للذي كان من غموط أهل الشام لما كانوا فيه من النعمة، فلم نتشكك في انه توفيق من الله له وافق سخطا عليهم حتى استباحوا الحرم وتسافكوا الدماء، ونقض ما بينهم من مبرم حبك الاسلام .

ومن ذلك أن ارمينية كانت فيها جنود تخرج عليهم اطماع تحمل إليها، بعد اعترافهم باخراج الأموال من كور الشام. فلما رأى ذلك فعل كذا وكذا. فله يتوكل على الله في أمر فوكله الى نفسه، ولم يكتف به في حفظ طرف أو قاصية ثغر الاكفاه مؤونته. وعلم أن ما يدخل ممن اضعاف العافية من عوارض العلك . انما هو بتقدير من الله لا يمتنع بعذر، ولا يستطاع دفعه بحيلة، يصيب فيه أقواما بالبلايا والتمحيص ، ويقسم فيه لاقوام الاجر والجهاد والسعادة. فرأى أن في عاجل ما يرفع عن أهل ارمينية من ضرر مؤونتهم وغمطهم نفعا للرعية واجمالا للفيء ، ورفقا بالعامه مع اقتصاده في الأبواب على اكناف سجينتها، وفي سائر أرمينية على المقاتلة من أهلها. ولم يزل منذ أراه الله ذلك ، يكفيه مؤونة ذلك الثغر ويكف عنه بوائقه، حتى كأنه في هدوء الاحداث عنه، وسكون الافئدة من روعاته، مصر من الامصار ، واسط المحلة، مأمون النائرة. فلما اغتنم خافان ما اغتنم، وانتهر الفرصة مبادرا، لما قد أيقن من معالجة المؤمنين اياه، فكأنه حين بلغه ذلك من اعظامه اياه بسببه له، وما انصب فيه من بدنه، وأسهر فيه من ليله، وانضب فيه من نهاره، لم يعلم الذي يكون من اشتباهه في الأزمنة الماضية قبله، وانه بذلك لجد عالم. غير أن حميته للاسلام وشفقته عليه وامتعاضه من أن يتناول شيء من أطرافه، قد زاد ذلك عنده قدرا في العظم، وتفاقما في الخطب، حتى أكمل البعث بأكثر العدد وأكمل العدة، واستقل أهل الكور والامصار وندب له من أهل بيته من لم يترك بعده نهاية في التخير، وكان قد صرف باله الى هذين الثغرين من الخزر والروم، والى هذين العدوين المحاربين له من المارقة المتعصبة .

فلما بلغ الله في احكام أمرهما ما بلغ، لم يستغن عن اعادة النظر في أمر غيرهما من نواحيه ليستبرئ به، وارادته في أقوام يدافع ظنونهم به في أخرى ، وعلم غيرهما ان ماشمك من بمدينة السلام من الأمن والفراغ نتيجة مكروهة، فشخص عنها لتحقيق ذلك مؤثرا لا بغض وطنيه على احبهما واخشن عيشيه على أليئهما. فلما ظهرت له العورة أقدم اقدام ذى الحجة، فلم ير مثلها نار خبت وسحابة اقشعت ، لم يسفك ، بها دم امرى مسلم صبوا، ولم ينتهك فيها حرمة محرم اباحة. وذلك انه

بسط يده بسط من يريد الاستصلاح لا من يريد الانتقام. فلم يلبث الظالم أن رجع عن ظلمه، والناطق أن صمت عن بدعته، والناكث أن رجع إلى قصده. وازداد البريء على البراءة فرحاً. والسلام بالسلامة اغتباطاً. ولم نر مثله فيما أفضى الله به إليه من خلافته. وحمله من أمور عباده : أما ليله بمنجاة ربه فيها واستعانتة إياه عليها فساهر، وأما نهاره في حلب فيئها واحكام أمورها فتعب . وأما صدقاته على فقرائها وأهل الحاجة فجارية، وأما مجلسه من فقهاءها وصلحاءها فخاص، وأما غلظته على ظالمها فعتيدة، وأما أفضاله لمظلوماها فمبسوطة .

ابن طيفور: اختيار المنظوم والمنثور

نقلا عن كتاب عصر المأمون

للدكتور الرفاعي ج 2 ص 239

### 33 - حيرة الرشيد في اختيار ولي العهد

قال الاصمعي : «بينما أنا أسامر الرشيد ذات ليلة إذ رأيته قد قلق قلقا شديدا، فكان يقعد مرة ويضطجع مرة .. ثم قال لمسور الخادم : على بيجيى. فما لبث ان أتاه. فقال : يا أبا الفضل، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات في غير وصية والاسلام جدع، والايامن جديد، وكلمة العرب مجتمعة، قد أمنها الله تعالى بعد الخوف، وأعزها بعد الأذل، فما لبث أن ارتد عامة العرب على أبي بكر وكان من خبره ماقد علمت، وأن أبا بكر صير الامر الى عمر، فسلمت الامة له ورضيت بخلافته، ثم صيرها عمر شورى، فكان بعده ما قد بلغك من الفتن حتى صارت الى غير أهلها. وقد عنيت بتصحيح هذا العهد وتصويره الى من أرضى سيرته وأحمد طريقته وأثق بحسن سياسته، وأمن ضعفه ووهنه وهو عبد الله. وبنو هاشم ماثلون إلى محمد بأهوائهم، وفيه ما فيه من الانقياد لهواه، والتصرف مع طويته، والتبذير لما حوته يدها. ومشاركة النساء والاماء في رأيه. وعبد الله المرضى الطريقة، الاصيل الرأي، الموثوق به في الأمر العظيم. فان ملت إلى عبد الله اسخطت بنى هاشم، وان افردت محمدا بالامر لم أمن تخليطه على الرعية، فأشر على في هذا الامر برأيك مشورة بعم فضلا ونفعها، فانك بحمد الله مبارك الرأي لطيف النظر».

المسعودى : مروج الذهب 3 ص / 262

34 - من كتاب الرشيد الى العمال بشأن  
اسناد ولاية العهد الى الامين والمأمون

.... ولم يزل أمير المؤمنين منذ اجتمعت الامة على عقد العهد لمحمد بن أمير المؤمنين من بعد أمير المؤمنين، ولعبد الله بن أمير المؤمنين من بعد محمد بن أمير المؤمنين يعمل فكره ورأيه ونظره ورويته، فيما فيه الصلاح لهما ولجميع الرعية، والجمع للكلمة، واللم للشعث، والدفع للشنات والفرقة، والحسم لكيد اعداء النعم من أهل الكفر والنفاق. والغل والشقاق، والقطع لأمالهم من كل فرصة يرجون ادراكها وانتهازها منهما بانتقاص حقهما، ويستخير الله أمير المؤمنين في ذلك ويسأله العزيمة له على ما فيه الخيرة لهما، ولجميع الامة والقوة في أمر الله وحقه، واكتلاف أهوائهما، وصلاح ذات بينهما، وتحصينهما من كيد اعداء النعم، ورد حسدهم ومكرهم وبغيهم وسعيهم بالفساد بينهما، فعزم الله لأمر المؤمنين على الشخوص بهما إلى بيت الله وأخذ البيعة منهما لأمر المؤمنين بالسمع والطاعة والانفاذ لامره. واكتتاب الشرط على كل واحد منهما لأمر المؤمنين ولهما بأشد الموثيق والعهود واغلاظ الايمان والتوكيد، والأخذ لكل واحد منهما على صاحبه بما التمس به أمير المؤمنين اجتماع الفتها ومودتها وتواصلها ومؤازرتها ومكانفتها على حسن النظر لانفسهما، ولرعية أمير المؤمنين التي استرعاها، والجماعة لدين الله عز وجل وكتابه وسنن نبيه صلى الله عليه وسلم، والجهاد لعدو المسلمين من كانوا وحيث كانوا، وقطع طمع عدو مظهر للعداوة ومسر لها، وكل منافق ومارق، وأهل الاهواء الضالة المضلة من فرقة تكيد بكيد توقعه بينهما، وبدحس يدحس به لهما، وما يلتمس اعداء الله وأعداء النعم واعداء دينه من الضرب بين الأمة والسعي بالفساد في الأرض، والدعاء الى البدع والضلالة، نظرا من أمير المؤمنين لدينه ورعيته، وأمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ومناصحة لله ولجميع المسلمين، وذبا عن سلطان الله الذي قدره وتوحد فيه للذي حمله اياه، والاجتهاد في كل ما فيه قربة إلى الله، وما ينالك به رضوانه والوسيلة عنده .

فلما قدم مكة أظهر لمحمد وعبد الله رأيه في ذلك وما نظر فيه لهما، فقبلا كل ما دعاها اليه من التوكيد على أنفسهما بقبوله، وكتبا لأمر المؤمنين في بطن بيت الله الحرام بخطوط ايديهما بمحضر ممن شهد الموسم من أهل بيت أمير المؤمنين وقواده، وصحابته وقضاته، وحجبة الكعبة وشهاداتهم عليها، كتابين استودعهما .

أمير المؤمنين الحجة، وأمر بتعليقهما في داخل الكعبة. فلما فرغ أمير المؤمنين من ذلك كله في داخل بيت الله الحرام وبطن الكعبة، أمر قضاة الذين شهدوا عليهما وحضروا كتابهما أن يعلموا جميع من حضر الموسم من الحاج والعمار ووفود الأمصار، ما شهدوا عليه من شرطهما وكتابهما وقراءة ذلك عليهم، ليفهموه ويعرفوه ويحفظوه ويؤدوه إلى إخوانهم وأهل بلدانهم وأمصارهم، ففعلوا ذلك، وقرئ عليهم الشرطان جميعاً في المسجد الحرام. فانصرفوا وقد أشتهر ذلك عندهم، واثبتوا الشهادة عليه وعرفوا نظر أمير المؤمنين وعنايته بصلاحهم، وحقق دمائهم ولم شعثهم، واطفاء جمرة اعداء الله أعداء دينه وكتابه وجماعة المسلمين عنهم. واظهروا الدعاء لأمير المؤمنين والشكر لما كان منه في ذلك .

وقد نسخ لك أمير المؤمنين زينك الشرطين اللذين كتبتهما لأمير المؤمنين أبناه محمد وعبد الله في بطن الكعبة في أسفل كتابه هذا. فاحمد الله عز وجل على ما صنع لمحمد وعبد الله وليي عهد المسلمين حمدا كثيرا، واشكره ببلائه عند أمير المؤمنين وعند وليي عهد المسلمين وعندك وعند جماعة أمة محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا وأقرأ كتاب أمير المؤمنين على من قبلك من المسلمين وافهمهم آياه، وقم به بينهم واثبته في الديوان قبلك، وقبل قواد أمير المؤمنين ورعيته قبلك. واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون في ذلك، ان شاء الله. وحسبنا الله ونعم الوكيل، وبه الحول والقوة والطول. كتبه اسماعيل بن صبيح يوم السبت لسبع ليال بقين من المحرم سنة ست وثمانين ومائة .

الطبرى 284/8

### 35 - تغيير الرشيد على البرامكة

قال : نادى الفضل بن الربيع الرشيد، وخص به. فقال لجعفر قلد الفضل بريد ناحية يأخذ رزقا، ويستعين به على خدمتي، فقال له جعفر ، بسلاسة خلقه اختر. فقال الموصل وذيار ربيعة، فأمر أن تكتب كتبه عليها، وراح بها إلى أبيه، فلما عرضها عليه، وعرفه حال الفضل وخصوصيته، غضب يحيى وقال : هذه ناحية إلى أخيك، وقد صرفناه عن ارمينية وتصرفه عن هذه ! وكان ولي خراج ارمينية وحرثها وصرف عنها. فقال : ماكنت لأفعل ! فقال فالموصل فقال لا والله، فكره جعفر اغضاب ابيه، ودافع الفضل، وقرب عليه المواعيد وكان البرامكة قد فارقوا الرشيد على شيء

يطلقونه له من الماك للجواث ، سوى نفقاته وما يحتاج إليه هو وعياله، فعزم على الفصد. فقال لجعفر : يا أخى انا على الفصد، وأريد التشاغل بالنساء، فكم تبعث إلى لما أهبه لهن؟ قال : ماشاء أمير المؤمنين، قال عشرة آلاف درهم، قال وأين الماك؟ ولكن خمسة آلاف درهم، قال فهاتها، فبعث بها إليه، ثم قال لجلسائه وقد افتصد أي شيء تهدون الى ؟ فقال كل واحد منهم قد اعددت كذا وكذا، واحتاك الفضل بن الربيع في التخلص الى منزله، فرهن حقه من قطيعة الربيع، وهو العشر، على مائة ألف درهم عند عون الجوهرى الحرى ، فقال انى أريد أن أهديها الى الخليفة، فصيرها جددا ضربا، في عشرين بدرة ديباج، مختمة بفضة، وكان عون يحفظ للربيع يدا ، فقال للفضل اطابت نفسك عن جميع نعمتك في هدية اليوم؟ فاعلمه ان له عند الرشيد مواعيد، فقال له عون فان عندى خادمين مسلولين روميين. أحدهما ناقد، والاخر وزان، جميلى الصورة «مراهقين وقد وهبتهما لك واحضر تابوت ابنوس محلى بالفضة، فصير البدور فيه مع الطيارات والموازين والصنجات وأقله بقف فضة، وغشاه بديباج، وكسا الغلامين الديباج، وألبسهما المناطق والمناديل المصرية، ووجه بهما وبالتابوت مع من يحمله الى دار الندماء، فلما ثنى الرشيد الدم قال اعرضوا على هداياكم، فقدمت هدية يحيى وجعفر والفضل بن يحيى من فاكهة ومشام، وما أشبه ذلك ، وعرض عيسى بن جعفر وغيره هداياهم. فقال للفضل بن الربيع اين هديتك يا عباس ؟ وبذلك كان يدعوه. قال احضرها يا أمير المؤمنين، فقال تجده قد ابتاع هدية بخمسين درهماً، فقال للفراشين احمولوها، فحملوها شيئاً راع الرشيد لما رآه. وكشفوا عن التابوت فاستحسنه .

ثم حضر الغلامان. ففتح احدهما القفل. فأخرج الموازين والاوزان. وأخرج الآخر البدور. ففتح بدرة. واستوفى وزنها وختمها. ولم يدر الرشيد ما يستحسن من جلالة الهدية واستطير فرحا وأمر بحمل الماك وادخال الغلامين الى دار النساء ليفرقا الماك على ما يأمهما به. وقال للفضل ويلك يا عباسي! من أين لك هذا ؟ قال سيعرفه أمير المؤمنين. قال لتقوان: قال بعث حقى من قطيعة الربيع لاسرك، لما رأيتك قد فصدت وأنت مغموم. قال والله لاسرنك. وقلم فدخل .

وانصرف جعفر يجر رجليه الى أبيه. فحدثه الحديث. فكتب كتب الفضل على بريد الموصل وديار ربيعة وديار مضر وختمها، وبعث بها اليه فردها. وقال : لا حاجة بي اليها، ولم يزل يحملك الرشيد عليهم، حتى أوقع بهم.

الجهشاري : كتاب الوزراء ص 200

قال : وأمر الرشيد في تلك الليلة بتوجيه من أحاط بيحيى بن خالد وجميع ولده ومواليه، ومن كان منهم بسبيل ، فلم يفلت منهم أحد كان حاضراً، وحول الفضل بن يحيى ليلاً فحبس في ناحية من منازل الرشيد، وحبس يحيى ابن خالد في منزله. وأخذ ما وجد لهم من مال وضياع ومتاع وغير ذلك، ومنع أهل العسكر من أن يخرج منهم خارج الى مدينة السلام أو إلى غيرها ، ووجه من ليلته رجاء الخادم الى الرقة في قبض أموالهم وما كان لهم. وأخذ كل ما كان من رقيقهم ومواليهم وحشمهم. وولاه أمورهم وفرق الكتب من ليلته الى جميع العمال في نواحي البلدان والاعمال بقبض أموالهم وأخذ وكلائهم. فلما أصبح بعث بجثة جعفر بن يحيى مع شعبة الخفثاني وهرثمة بن أعين وإبراهيم بن حميد المروروذى، واتبعهم عدة من خدمه وثقاته، منهم مسرور الخادم الى منزل جعفر بن يحيى . وإبراهيم بن حميد وحسين الخادم الى منزل الفضل بن يحيى ، ويحيى بن عبد الرحمن ورشيد الخادم الى منزل يحيى ومحمد بن يحيى ، وجعل معه هرثمة ابن أعين، وأمر بقبض جميع مالهم، وكتب الى السندی الحرشي بتوجيه جيفة جعفر الى مدينة السلام، ونصب رأسه على الجسر الاوسط وقطع جثته، وصلب كل قطعة منها على الجسر الاعلى والجسر الأسفل. ففعل السندی ذلك ، وأمضى الخدم ما كانوا وجهوا فيه، وحمل عدة من أولاد الفضل وجعفر ومحمد الاصغر الى الرشيد. فأمر باطلاقهم، وأمر بالنداء في جميع البرامكة : ألا أمان لمن أوامه الا محمد بن خالد وولده وأهله وحشمه، فإنه استثناهم، لما ظهر من نصيحة محمد له، وعرف براءته مما دخل فيه غيره من البرامكة. وخلق سبيل يحيى قبل شخوصه من العمر، ووكل بالفضل ومحمد وموسى بنى يحيى ، وبأبي المهدي صهرهم حفظة من قبل هرثمة ابن أعين، الى أن وافى بهم الرقة، فأمر الرشيد بقتل انس بن أبي شيخ يوم قدم الرقة، وتولى قتله إبراهيم بن عثمان بن نهيك. ثم صلب وحبس يحيى بن خالد مع الفضل ومحمد في دير القائم، وجعل عليهم حفظة من قبل مسرور الخادم وهرثمة ابن أعين، ولم يفرق بينهم وبين عدة من خدمهم. ولا ما يحتاجون إليه. وصيرهم معهم زبيدة بنت منير ام الفضل ودنانير جارية يحيى وعدة من خدمهم وجواريهم. ولم تزك حالهم سهلة الى أن سخط الرشيد على عبد الملك بن صالح، فعمهم بالتثقيف بسخطه، وجدد له ولهم التهمة عند الرشيد، فضيق عليهم .



### 37 - تقرير مرفوع الى الرشيد عن الحالة في خراسان (كتاب هرثمة الى الرشيد في أمر علي بن عيسى)

ولما حمك هرثمة عليا إلى الرشيد، كتب إليه كتابًا يخبره ماصنع، نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد فإن الله عز وجل لم يزل يبلى أمير المؤمنين في كل ما قلده من خلافته، واسترعاه من أمور عبادته وبلاده أجمل البلاء واكمله، ويعرفه في كل ما حضره ونأى عنه من خاص أموره وعامها، ولطيفها وجليلها إتم الكفاية وأحسن الولاية، ويعطيه في ذلك كله أفضل الامنية، ويبلغه فيه أقصى غاية الهمة، امتنانا منه عليه، وحفظا لما جعل اليه، مما تكفل باعزازه واعزاز أوليائه وأهل حقه وطاعته، فيستتم الله احسن ما عوده وعودنا من الكفاية في كل ما يؤدينا اليه، ونسأله توفيقا لما نقضى به المقترض من حقه في الوقوف عند امره، والاقتصار على رأيه

ولم أزل أعز الله أمير المؤمنين، مذ فصلت عن معسكر أمير المؤمنين ممتلا ما أمرنى به فيما انهضني له، لأجاوز ذلك ولا اتعداه الى غيره، ولا أتعرف اليمن والبركة الا في امتثاله، الى أن حلت أوائك خراسان، صائنا للامر الذي أمرنى أمير المؤمنين بصيانته وستره، لا أقضى ذلك الى خاصى ولا إلى عامي ، ودبرت في مكاتبة أهل الشاش وفرغانة وخزلهما، عن الخائن، وقطع طمعه وطمع من قبله عنهما، ومكاتبة من ببلخ بما كنت كتبت به الى أمير المؤمنين وفسرت له، فلما نزلت نيسابور عملت في أمر الكور التي اجترت عليها بتولية من وليت عليها، قبل مجاوزتي اياها، كجرجان ونيسابور ونساي وسرخس، ولم آل الاحتياط في ذلك ، واختيار الكفاة وأهل الامانة والصحة من ثقات اصحابي . وتقدمت إليهم في ستر الأمر وكتمانه. وأخذت عليهم بذلك إيمان البيعة، ودفعت إلى كل رجل منهم عهده بولايته، وأمرتهم بالمسير إلى كور اعمالهم على اخفى الحالات واسترها، والتشبه بالمجتازين في ورودهم الكور ومقامهم بها إلى الوقت الذي سميت لهم، وهو اليوم الذي قدرت فيه دخولى إلى مرو، والتقائي وعلى بن عيسى ، وعملت في استكفائي اسماعيل بن حفص بن مصعب أمر جرجان بما كنت كتبت به الى أمير المؤمنين، فنفذ أولئك العمال لأمرى، وقام كل رجل منهم في الوقت الذي وقت له بضبط عمله وأحكام ناحيته، وكفى الله أمير المؤمنين المؤونة في ذلك . بلطيف صنعه .

ولما صرت من مدينة مرو على منزل، اخترت عدة من ثقات اصحابي،

وكتبت بتسمية ولد علي بن عيسى وكتابه وأهل بيته وغيرهم رقاعاً، ودفعت الى كل رجل منهم رقعة بإسم من وكلته بحفظه في دخولى ، ولم آمن لو قصرت في ذلك واخرته أن يصيروا عند ظهور الخبر وانتشاره الى التغيب والانتشار ، فعملوا بذلك ، ورحلت عن موضعى الى مدينة مرو، فلما صرت منها على ميلين تلقاني على ابن عيسى في ولده وأهل بيته وقواده، فلقيته بأحسن لقاء، وأنسته، وبلغت من توقيره وتعظيمه والتماس النزول إليه أول ما بصرت به ما ازداد به انسا وثقة، الى ما كان ركن اليه قبل ذلك، مما كان يأتيه من كتبي ، فانها لم تنقطع عنه بالتعظيم والاحلال منى له والالتماس لالقاء سوء الظن عنه، لئلا يسبق الى قلبه أمر ينقض به مادبر أمير المؤمنين في أمره، وأمرني به في ذلك. وكان الله تبارك وتعالى هو المنفرد بكفاية أمير المؤمنين الأمر فيه الى أن ضمنى واياهم مجلسه. وصرت الى الاكل معه، فلما فرغنا من ذلك بدانى يسألنى المصير الى منزل كان ارتاده لي، فاعلمته ما معى من الأمور التى لا تحتمل تاخير المناظرة فيها. ثم دفع إليه رجاء الخادم كتاب أمير المؤمنين وأبلغه رسالته، فعلم عند ذلك ان قد حل به الامر الذي جناه على نفسه، وكسبته يده، من سخط أمير المؤمنين، وتغيير رأيه بخلافه أمره وتعدي سيرته .

ثم صرت الى التوكيل به، ومضيت الى المسجد الجامع، فبسطت أمان الناس ممن حضر، وافتتحت القول بما حملني أمير المؤمنين اليهم، وأعلمتهم اعظام المؤمنين ماأناه، ووضح عنده من سوء سيرة على ، وما أمرنى به فيه وفي عماله وأعوانه، وانى بالغ من ذلك ومن انصاف العامة والخاصة والأخذ لهم بحقوقهم أقصى غايتهم. وأمرت بقراءة عهدي عليهم، واعلمتهم أن ذلك مثالى وأمامي ، وأنى به اقتدى، وعليه احتذى، فمتى زلت عن باب واحد من أبوابه فقد ظلمت نفسي ، وأحلت بها ما يحل بمن خالف رأي أمير المؤمنين وأمره، فأظهروا السرور بذلك والاستبشار، وعلت بالتكبير والتهليل أصواتهم، وكثر دعاؤهم لأمير المؤمنين بالبقاء وحسن الجزاء .

ثم انكفأت الى المجلس الذي علي بن عيسى فيه، فصرت الى تقييده وتقييد ولده وأهل بيته وكتابه وعماله والاستيئاف منهم جميعاً، وأمرتهم بالخروج الى من الأموال التي احتجوها من أموال أمير المؤمنين وفيء المسلمين، وأعفأتى بذلك من الإقدام عليهم بالمكروه والضرب ، وناديت في اصحاب ودائعهم بإخراج ما كان عندهم. فحملوا إلي الى أن كتبت الى أمير المؤمنين صدرا صالحا من الورق والعين وارجو أن يعين الله على استيفاء ما قبلهم. واستنظاف ما وراء ظهورهم. ويسهل الله

من ذلك أفضل ما لم يزل يعوده أمير المؤمنين من الصنع في مثله من الأمور التي يعنى بها ان شاء الله تعالى.

ولم ادع عند قدومى مرو التقدم في توجيه الرسل وانفاذ الكتب بالبعثة في الاعذار والانداز، والتبصير والارشاد، الى رافع ومن قبله من أهل سمرقند، والى من يبليخ، على حسن ظتى بهم في الاجابة، ولزوم الطاعة والاستقامة، ومهما تنصرف به رسلى إلى يا أمير المؤمنين من أخبار القوم في اجابتهم وامتناعهم، أعمل على حسبه من أمرهم، وأكتب بذلك الى أمير المؤمنين على حقه وصدقته. وأرجو أن يعرف الله أمير المؤمنين في ذلك من جميل صنعه ولطيف كفايته، مالم تزل عادته جارية به عنده، بمنه وطوله وقوته والسلام.

الطبري : تاريخ 332/8

### 38 - موت الرشيد

ولما صار الرشيد بطوس، واشتدت علته، اتصل خبره بمحمد الأمين فوجه بكر بن المعتمر، وجعل له في كل يوم ألف دينار، ودفع اليه كتباً الى الفضل بن الربيع واسماعيل بن صبيح وغيرهما، يأمرهم بالقول الى مدينة السلام أن حدثت بالرشيد حادثه، وكان الرشيد قد جدد الشهادة للمأمون بجميع ما في عسكره، من ماك وأثاث ورفيق وكراع، وأمر بإقرار الجميع معه وتسليمه اليه، أن حدثت به حادثه. فلما ورد بكر بن المعتمر عسكر الرشيد، وكانت معه كتب ظاهرة بعيادته، وكتب باطنة الى القول بالقول، والاجتياط على ما في العسكر، واتصل خبر الكتب الباطنة بالرشيد، وأمر باحضاره ومطالبته بالكتب، فجحدها.

قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، فحدثني محمد بن منصور بن زيان قال : حدثني أبي، قال : كنت مع الرشيد بطوس في علته التي مات فيها، وقد ورد بكر بن المعتمر بالكتب، والمأمون حينئذ بمرو، وقد ظفر بأخى رافع بن الليث، وأحضر في ذلك اليوم ومعه قرابة له فحبسا، فخلع الرشيد على بكر، وصرفه الى منزله، ثم أمر باحضاره ومطالبته بالكتب، فجحدها، ودافع عنها، فأمر بحبسه. قال ثم جلس الرشيد جلوسا عاما في مضرب خز أسود، استدارته اربعمائة دراع، وفي اركانها أربع قببات مغطاة بخز أسود، وهو جالس في فلاة، خز سوداء. في وسط المضرب، والعمد كلها سود، وعليه جبة سوداء خز بغير قميص. وعليها فنك قد استشعره، لشدة ما هو فيه

من البرد والعلّة، و فوقها دراعة خز سوداء مبطنة بفنك. وعلى رأسه قلنسوة طويلة. وعمامة خزا أسود، والوسائد والمخاد وسائر ما يقرب منه خز أسود، وهو لمابه، وخلف المسند خادم يمسكه بيده، لثلا يميل. والفضل بن الربيع جالس بين يديه، فقال للفضل مر بكرة باحظار ما معه من الكتب السرية، فأنكرها وقال ما معي الا الكتب التي أوصلتها، فقال الرشيد للفضل : توعدّه . واعلمه أنه ان لم يفعل بلغت منه غاية المكروه، فأقام بكر على الانكار والجحود . فسمعته يقول للخادم بصوت خفي : قل للفضل : قنبوه ، فنحى بكر، وجيء بالقنب، فقنب من قرنه الى قدمه، قال بكر فأيقنت بالموت. وبيئت من نفسي، وعملت على الاقرار، فاني على ذلك حتى أمر باحظار مروان اخي رافع، وقربته والذي كان معه. فأحضر، فقال له الرشيد : اينتوم رافع انه يغلبني، والله الذي لا اله الا هو، لو كان معه عدد نجوم السماء. لنلقظنهم واحدا واحدا حتى اقتلهم وعن آخرهم ، فقال مروان : الله الله في يا أمير المؤمنين. فان الله يعلم وأهل خراسان جميعا اني مازلت بريئا من أخي. ومما هو عليه منذ عشرين سنة، واني لاشير عليه بلزوم الطاعة، وترك ما هو بسبيله، فلا يقبل واني لملازم لمسجدي وصلاتي ومنزلي، فاتق الله في . وفي هذا الرجل ، فقال له قربته قطع الله لسانك ! أنا والله منذ كذا وكذا ندعو بالشهادة، فلما رزقناها على يدي شر خلقه، اخذت في الاعتذار ! فاغتاظ الرشيد من ذلك وقال : على بجزارين. فقال له قرابة مروان : افعل ما شئت ، فأنا نرجو ان يرزق الله الشهادة، ونقف نحن وانت بين يدي الله عز وجل في أقرب مدة فتعلم كيف يكون حالك، فنحيا، وأمر القوم بتفصيلهم عضوا عضوا، فوالله ما فرغ منهما حتى توفي الرشيد.

قال بكر : فأنا أتوقع خروج نفسي، حتى أناني غلام لأبي العتاهية قد بعث به الي مولاه، وكتب في راحته شيئا، فقرأته، فاذا هو :

هي الأيام والغدير وأمر الله ينتظر  
اتياس ان ترى فرجا فأين الله والقدر

فوثقت بالله عز وجل، ولم أفهم معناه، ثم سمعت ناعية، واذا بالفضل بن الربيع قد أقبل يريدني ، فلما قرب مني قال حلو عن أبي خليفة، فقلت، ليس هذا وقتا تكنيني فيه، فدعا بخلع. فخلعت على . ثم قال لي. اعظم الله اجرک في أمير المؤمنين، وأخذ بيدي ، فأدخلني بيتا وهو مسجى فيه، وكشف عن وجهه، فلما رأينته ميتا، قال لي هات الكتب التي معك، فاحضرت صندوقا للمطبخ، قد نقيت قوائمه. وجعلت الكتب فيها، وجعل الجلد فوقها .  
الجهشياري : كتاب الوزراء ص 220

### 39 - الأمين يستعد لخلع المأمون

قال عبيد الله بن الحسن بن سهل سمعت أبي يقول :

لما انتهى الى الفضل بن سهل خبر على بن عيسى، وخروجه من العراق، أمر الفواد كلهم بجمع أولادهم، فأتى الحسين بن مصعب بطاهر، فلما رأى طاهرا اعرض عن غيره، وكان أعور كريبه الوجه مشمرا، وجعل يقول: هو هو، ثم عقد له على الرى، فرمى الحسين بن مصعب نفسه بين يديه، واستعفاه من انفاذه. وقال له : انى لم أقل هذا اشفاقا عليه، ولكن خوفاً من أن يحدث عليك حادثة يعسر تلافيتها، فوالله لقد كنت أراه في ولاية على بن عيسى خراسان، وانه ليقف بين يديه في جملة خلق كثير، وفرائضه ترعد منه، ولعله أن ينظر اليه بتلك العين .

فقال له الفضل بن سهل : أمسك فقد عقدت له عقدا لا ينتقض نيفا وستين

سنة.

ولما عزم محمد على مكاتبة المأمون بأن يئزل له عن بعض أعماله، تقدم الى اسماعيل بن صبيح أن يكتب اليه في ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين أن مسألتك له الصبح عن بعض ما في يديه توكيد للظن، وتقوية للتهمة، ومدعاة للحذر ولكن تكتب اليه، وتعرفه حاجتك اليه، وشوقك إلى قربه، واثارك الاستعانة برأيه ومشورته، وتساله القدوم عليك، فان ذلك أحرى أن لا يوحشه فقال : أكتب بذلك، فكتب به، فلم يلتفت اليه المأمون، ولا اجابه عنه .

ثم ألح الفضل بن الربيع على محمد في خلع المأمون، وقوى عزمه فيه، وأعانته عليه على بن عيسى، فبايع لابنه بالعهد بعده، وسماه «الناطق بالحق»، وخلع المأمون والقاسم، وكتب الفضل بن الربيع عنه بذلك ، وبالنهي عن الدعاء لهما على المنابر، وأحضر عبد الله بن محمد أحد الحجة، وسأله التلطف في أخذ الكتابين اللذين كان الرشيد علقهما في بيت الله الحرام بالبيعة، ففعل ذلك وسرقهما وصار بهما إليه، فدفعهما الفضل إلى محمد فمزقهما .

وسارت الركبان في الآفاق بغدر محمد، وبحسن سيرة المأمون، فاستوحش

الناس منه، وانحرفوا عنه، وسكنوا الى المأمون، ومالوا إليه .

وكان محمد لما اجمع على خلع المأمون شاور يحيى بن سليمان في ذلك، فقال له وكيف بذلك يا أمير المؤمنين مع ما وكده الرشيد من بيعته، وتوثق في عهده عند خاصته وعامته؟ فقال له محمد ان ذلك كان فلتة وخطأ من رأى الرشيد، شبه عليه فيه جعفر بن يحيى بسحره، فغرس لنا غرس مكروه، لا ينفعنا ما نحن فيه الا بقطعه، وانت رجل مهذار، ولست بذى رأى مصيب : والرأي الى الشيخ الموفق،

والوزير الناصح. فم فالحق بمدادك وأقلامك، يعنى محمد بهذا القول الفضل بن الربيع .

الجهشياري : كتاب الوزراء ص 238

#### 40 - المأمون يرفض التنازل للمأمين

فأول ما بدا به محمد عن رأي الفضل بن الربيع فيما دبر من ذلك، ان كتب الى جميع العمال في الامصار كلها بالدعاء لابنه موسى بالامرة بعد الدعاء له وللمأمون والقاسم بن الرشيد، فذكر الفضل بن اسحاق بن سليمان أن المأمون لما بلغه ما أمر محمد من الدعاء لابنه موسى وعزله القاسم عما كان الرشيد ضم اليه من الأعمال واقدامه اياه مدينة السلام، علم انه يدبر عليه في خلع، فقطع البريد عن محمد، وأسقط اسمه من الطرز (والضرب) .

وكان رافع بن الليث بن نصر بن سيار لما انتهى من الخير عن المأمون وحسن سيرته في أهل عمله واحسانه اليهم، بعث في طلب الامان لنفسه، فسارع الى ذلك هرثمة وخرج رافع فلحق بالمأمون، وهثمته بعد مقيم بسمرقند فأكرم المأمون رافعا. وكان مع هرثمة في حصار رافع طاهر بن الحسين، فلما دخل رافع في الأمان، استأذن هرثمة المأمون في القدوم عليه، فعبر نهر بلخ بعسكره والنهر جامد، فتلقيه الناس، وولاه المأمون الحرس. فأنكر ذلك كله محمد، فبدأ بالتدبير على المأمون، فكان من التدبير انه كتب الى العباس بن عبد الله بن مالك - وهو عامل المأمون على الري - وأمره أن يبعث إليه بغرائب غروس الري - مريدا بذلك امتحانه - فبعث إليه ما أمره به، وكنتم المأمون وذا الرياستين. فبلغ ذلك من أمره المأمون، فوجه الحسن بن على المأمونى وأردفه بالرستمي على البريد، وعزل العباس بن عبد الله بن مالك، فذكر عن الرستمي انه لم ينزل عن دابته حتى اجتمع إليه ألف رجل من أهل الري .

ووجه محمد الى المأمون ثلاثة أنفس رسلا: أحدهم العباس بن موسى بن عيسى، والآخر صالح صاحب المصلى ، والثالث محمد بن عيسى بن نهيك، وكتب معهم كتابا الى صاحب الري، ان استقبلهم بالعدة والسلاح الظاهر. وكتب الى والى قومس، ونيسابور وسرخس بمثل ذلك ، ففعلوا. ثم وردت الرسل مرو، وقد اعد لهم من السلاح وضروب العدد والعتاد. ثم صاروا الى المأمون، فأبلغوه رسالة محمد بمسألته تقديم موسى على نفسه، ويذكر له انه سماه الناطق بالحق، وكان الذي

أشار عليه بذلك على بن عيسى بن ماهان، وكان يخبره أن أهل خراسان يطيعونه، فرد المأمون ذلك وأباه .

قال : فقال لى ذو الرئاستين : قال العباس بن موسى بن عيسى بن موسى : وما عليك أيها الأمير من ذلك، فهذا جدى عيسى بن موسى قد خلع فما ضره ذلك ، قال : فصحت به : اسكت، فان جدك كان في ايديهم أسيرا، وهذا بين أخواله وشيعته. قال: فانصرفوا، وأنزل كل واحد منهم منزلا. قال ذو الرئاستين : فأعجبني ما رأيت من ذكاء العباس بن موسى ، فخلوت به فقلت : أذهب عليك في فهمك وسنك أن تأخذ بحظك من الامام - وسمى المأمون في ذلك اليوم بالامام ولم يسم بالخلافة، وكان سبب ما سمي به الامام ما جاء من خلع محمد له، وقد كان محمد قال للذين ارسلهم: قد تسمى المأمون بالامام، فقال لي العباس : قد سميتموه الامام ! قال : قلت له : قد يكون أمام المسجد والقبيلة، فان وقتتم لم يضركم، وان غدرتم فهو ذاك. قال: ثم قلت للعباس : لك عندى ولاية الموسم، ولا ولاية اشرف منها، ولك من مواضع الاعمال بمصر ماشئت قال : فما برح حتى اخذت عليه البيعة للمأمون بالخلافة، فكان بعد ذلك يكتب إلينا بالاخبار، ويشير علينا بالرأي .

الطبرى 375/8

#### 41 - المأمون يحدد سياسته

ولما اجمع المأمون على المقام بخراسان، قال له الفضل بن سهل : ان هؤلاء الرؤساء كعبد الله بن مالك ويحيى بن معاد وغيرهما انفع لك منى، لما قد شهر وتقدم من رياستهم، وما عندهم من القوة على الحرب، فدعنى اكن خادما لك، حتى تصير إلى محبتك، وتجعل إليهم ظاهر الامر، فقال له افعل ما رأيت، فلفيهم الفضل بن سهل في منازلهم، وذكرهم البيعة، وما يجب عليهم من الوفاء بها. قال : فكنت كأنى أتيهم بجيفة على طبق لا يحل أكلها. فيذعننى بعضهم، ويقول بعضهم : ومن يدخل بين أمير المؤمنين وأخيه؟ فعرف المأمون ذلك، فقال له فقم أنت بالامر، فقال له الفضل : قد قرأت القرآن، وفهمت أمر الدين، والرأى أن تجمع الفقهاء، وتدعوهم إلى الحق، والعمل به، واحياء السنة، وأن تقعد على اللبود، وأن تواصل النظر في المظالم، وتكرم القواد والملوك، وأبناء الملوك ففعل ذلك .

وكان يقول للتميمي : نقيمك مقام موسى بن كعب، ويقول للربعى : نقيمك

مقام أبي داود : ويقول لليمانى نقيمك مقام قحطبة ومالك بن الهيثم، وحط عن خراسان ربع الخراج، فكانوا يقولون : ابن اختنا وابن عم رسول الله .

ولما رأى رافع بن الليث سيرة المأمون انقاد له . ودخيل في طاعته، في سنة أربع وتسعين ومائة، فأعطاه الأمان، فصار إليه، فأكرمه، وخص به .

ولما خص الفضل بن سهل بالمأمون، وتبين نجابته، ودلته النجوم على أنه يلي الخلافة، طالبه بأن يكتب له رقعة بخطه، فكتب له رقعة نسختها :

جعلت الله على نفسى أن استرعانى أمور المؤمنين، وقلدنى خلافته في خلقه. العمل فيهم بكتابه وسنة رسوله، محمد صلى الله عليه، ولا أسفك دما عمدا الا ما أحلته حدوده، وسفكته فروضه، وان لا أنال من أحد من المخلوقين مالا ولا أثاثا، غصبا ولا بحيلة تحرم على المسلمين، ولا أعمل في شيء من الاحكام بهواى ولا بغضبيى. الا ما كان منهما في الله عز وجل وله، وجعلت ذلك كله عهدا مؤكدا على أن أفى به، رغبة في زيادته اياى، ورهبة من مساءلته لى عنه فانه جك وعز يقول : « وأوفوا بالعهد ان العهد كان مستولا» فان حلت أو غيرت كنت للعن مستحقا، وللنكال متعرضا، وأعوذ بالله من سخطه، وأرغب اليه في المعونة لى على طاعته، والحوؤل بينى وبين معصيته، في عافية لى ولجماعة المسلمين، وان يسهل لى ما يجب وبرضى في جميع أمورى، انه قريب مجيب، وعلى ما يشاء قدير وكتبت بخطى .

الجهشياري : كتاب الوزراء ص 225

## 42 - الخلاف في معسكر الأمين

وفي هذه السنة خلع محمد بن هارون، وأخذت عليه البيعة لأخيه عبد الله المأمون ببغداد .

وفيهما حبس محمد بن هارون في قصر أبي جعفر مع أم جعفر بنت جعفر ابن أبي جعفر .

ذكر الخبر عن سبب خلعه :

ذكر عن داود بن سليمان أن عبد الملك بن صالح لما توفى بالرقعة، نادى الحسين بن على بن عيسى بن ماهان في الجند، فصير الرجالة في السفن والفرسان على الظهر ووصلهم. وقوى ضعفاءهم، ثم حملهم حتى اخرجهم من بلاد الجزيرة، وذلك في سنة ست وتسعين ومائة .



وذكر احمد بن عبد الله، انه كان فيمن شهد مع عبد الملك الجزيرة لما انصرف بهم الحسين بن علي ، وذلك في رجب من سنة ست وتسعين ومائة. وذكر انه تلقاه الابناء وأهل بغداد بالكرمة والتعظيم، وضربوا له القباب، واستقبله القواد والرؤساء والاشراف، ودخل منزله في أفضل كرامة وأحسن هيئة، فلما كان في جوف الليل بعث اليه محمد يأمره بالركوب اليه، فقال للرسول : والله ما أنا بمغن ولا بمسامر ولا مضحك ولا وليت له عملا، ولا جرى له على يدي مال ، فلأى شيء يريدني في هذه الساعة ! انصرف ، فاذا اصبحت غدوت اليه ان شاء الله .

فانصرف الرسول ، وأصبح الحسين فوافى باب الجسر، واجتمع اليه الناس، فأمر بإغلاق الباب الذي يخرج منه إلى قصر عبد الله بن علي وباب سوق يحيى، وقال : يامعشر الأبناء، ان خلافة الله لاتجاوز بالبطر، ونعمه لاتستصحب بالتكبر، وان محمدا يريد اديانكم، وينكت بيعتكم، ويفرق جمعكم، وينقل عزكم الى غيركم، وهو صاحب الزوايق بالامس، وبالله ان طالت به مدة وراجع من أمره قوة، سيرجعن وبالك ذلك عليكم، وليعرفن ضرره ومكروهه في دولتكم ودعوتكم، فاقطعوا أثره قبل أن يقطع آثاركم، وضعوا عزه قبل أن يضع عزكم، فوالله لاينصره منكم ناصر الا خذل، ولا يمنعه مانع الا قتل ، وما عند الله لأحد هوادة، ولا يراقب على الاستخفاف بعهوده والحنث بأيمانه. ثم أمر الناس بعبور الجسر فعبروا، حتى صاروا الى سكة باب خراسان، واجتمعت الحربية وأهل الارباض مما يلي باب الشام (وباب الانبار وشط الصراة مما يلي باب الكوفة. وتسارعت خيول من خيول محمد من الاعراب وغيرهم الى الحسين بن علي ، فاقتتلوا قتالا شديدا مليا من النهار، وأمر الحسين من كان معه من قواده وخاصة أصحابه بالنزول فنزلوا اليهم بالسيوف والرماح، وصد قوهم القتال، وكشفوهم حتى تفرقوا عن باب الخلد .

قال : فخلع الحسين بن علي محمدا يوم الأحد لاحدى عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وتسعين ومائة، وأخذ البيعة لعبد الله المأمون من غد يوم الاثنين الى الليل ، وغدا الى محمد يوم الثلاثاء، فوثب بعد الواقعة التي كانت بين الحسين وبين أصحاب محمد العباس بن موسى بن عيسى الهاشمي على محمد، ودخل عليه فأخرجه من قصر الخلد الى قصر أبي جعفر ، فحيسه هناك الى صلاة الظهر، ثم وثب العباس بن موسى بن عيسى على ام جعفر فأمرها بالخروج من قصرها إلى مدينة أبي جعفر ، فأبت ، فدعا لها بكرسى ، وأمرها بالجلوس فيه، فقنعهما بالسوط وساءها، وأغلظ لها القول، فجلست فيه، ثم أمر بها فادخلت المدينة مع ابنها وولدها. فلما أصبح الناس من الغد طلبوا من الحسين بن علي الارزاق وماج الناس بعضهم في

بعض، وقام محمد بن أبي خالد بباب الشام، فقال : أيها الناس، والله ما ادري بأي سبب يتأمر الحسين بن علي علينا ، ويتولى هذا الأمر دوننا ! ماهو بأكبرنا سناً، ولا أكرمنا حسباً، ولا أعظمتنا منزلة، وان فينا من لايرضى بالدنية، ولا يقاد بالمخادعة .

الطبرى : 428/8

#### 43 - العصبية بين العرب والخراسانيين

وفي هذه السنة نsar عبد الملك بن صالح الى الشام، فلما بلغ أقلام بها. وانفذ رسله وكتبه الى رؤساء اجناد أهل الشام بجمع الرجال بها ، وامداد محمد بهم لحرب طاهر .

قد تقدم ذكرى سبب توجيه محمد اياه لذلك ، فذكر داود بن سليمان انه لما قدم عبد الملك الرقة، انفذ رسله، وكتب الى رؤساء اجناد الشام ووجوه الجزيرة. فلم يبق أحد ممن يرجى ويذكر بأسه وغناؤه الا وعده وبسط له في امله وامنيته، فقدموا عليه رئيساً بعد رئيس، وجماعة بعد جماعة، فكان لايدخل عليه احد الا اجازته وخلع عليه وحمله، فأتاه أهل الشأن : الزواقيب والاعراب من كل فج، واجتمعوا عنده حتى كثروا. ثم ان بعض جند أهل خراسان نظر الى دابة كانت اخذت منه في وقعة سليمان بن أبي جعفر تحت بعض الزواقيب، فتعلق بها، فجرى الأمر بينهما الى أن اختلفا، واجتمعت جماعة من الزواقيب والجند، فتلاحموا، واعان كل فريق منهم صاحبه، وتلاطموا وتضاربوا بالايدي، ومشى بعض الأبناء الى بعض ، فاجتمعوا الى محمد بن أبي خالد، فقالوا : انت شيخنا وفارسنا، وقد ركب الزواقيب منا ماقد بلغك، فاجمع امرنا والا استذلونا، وطمعوا فينا، وركبوا بمثل هذا في كل يوم. فقال : ما كنت : لا دخل في شغب، ولا اشاهدكم على مثل الحالة، فاستعد الأبناء وتهيئوا، وأتوا الزواقيب وهم غارون، فوضعوا فيهم السيوف ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وذبحوهم في رحالهم، وتنادى الزواقيب ، فركبوا خيولهم، ولبسوا اسلحتهم، ونشبت الحرب بينهم. وبلغ ذلك عبد الملك بن صالح، فوجه اليهم رسولا يأمرهم بالكف ووضع السلاح، فرموه بالحجارة، واقتتلوا يومهم ذلك قتالا شديداً، واكثرت الأبناء القتل في الزواقيب ، فأخبر عبد الملك بكثرة من قتل - وكان مريضاً مدنفاً - فغضب جيده على يد، ثم قال : واذاه ! تستضام العرب في دارها ومحلها وبلادها. فغضب من كان امسك عن الشر من الابناء، ونفاقه الأمر فيما بينهم، وقام بأمر الابناء الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان، وأصبح الزواقيب ، فاجتمعوا بالرقة، واجتمع الأبناء

وأهل خراسان بالرافقة، وقام رجل من أهل حمص، فقال : يا أهل حمص ، الهرب أهون من العطب . والموت أهون من الذك ، انكم بعدتم عن بلادكم، وخرجتم من أقاليمكم، ترجون الكثرة بعد القلة والعزة بعد الذلة ! الا وفي الشر وقعتم، والى حومة الموت انختم. ان المنايا في شوارب المسوحة وقلانسهم. النفير النفير، قبل أن ينقطع السبيل ، وينزل الأمر الجليل، ويفوت المطلب ، ويعسر المذهب، ويبعد العمل ، ويقترب الأجل !

الطبرى : تاريخ 425/8

#### 44 - النزاعات الشخصية في بلاط المأمون

وكان المأمون قال للفضل : ينبغي أن تحضر نعيم بن حازم، فإنه وجه من الوجوه، وله سابقة وجمالة ورياسة، فتناظره فيما اجمعناه من هذا الأمر. فاحضره الفضل بحضرة المأمون. وعرفه بما عزم عليه، ورغبه فيه. وذكره ما يلزم من الانقياد له، فأبى ذلك نعيم ، وذكر ما كان منه، ومن سلفه في نصرة الدولة الهاشمية، وما وصلوا اليه بها من العز والامن والثروة والجاه، وما بلغوه فيها من الحماية. وبذل المهجة ومقارعة الاعداء. وأنه لا يقبل الضيم، ولا يسمح بطاعة من كان يسفك دمه، ويدفعه بما يلتمسه ويقارعه دونه. فكلمه الفضل في ذلك ، وخط له ليئا وغلظة. فقال له نعيم: انك تريد (أن) تزك الملك عن بنى العباس الى ولد علي، ثم تحتال عليهم فتصير الملك كسرويا، ولولا انك اردت ذلك لما عدلت عن لبسة على وولده وهي البياض، الى الخضرة وهي لباس كسرى والمجوس، ثم اقبل على المأمون فقال : الله الله يا امير المؤمنين، لا يخذعك عن دينك وملكك، فان أهل خراسان لا يجيبون الى بيعة رجل تقطر سيوفهم من دمه، فقال له المأمون : انصرف ، ولم يظهر له غضبا .

وأقبل على الفضل ، فقال له : ما ترى ؟ قال : أرى أن تخرج هذا عن خراسان، فلا خير في مقامه معنا، فقال له افلا اقتله ؟

فقال له : يا امير المؤمنين، انك قتلت بالأمس هرثمة، وقدره في الناس قدره واطهرت موته، وقد تيقن الناس قتلك اياه، وضربت عنق يحيى بن عامر صبرا، وأمرت بحمل عبد الله بن مالك ، وضربت اسننه كما يضرب الصبيان، واتخوف ان قتلت هذا أن يكون لأهل خراسان في أمره حركة، ولكننا نوجهه في عدة قليلة، ونأمره بمحاربة ابن شكلة ونكتب الى كل عامل يجتاز به يترك اراحة عله، وقلة الالتفات اليه .

فقال : انى أكره أن يصير الى ابن شكلة : فقال له : ذلك أهون على في أمره .  
فقال له افعل، ففعل ذلك .

فصار نعيم بن حازم الى ابن شكلة، ولم يزل معه الى أن استنتر ابراهيم . ثم ظفر  
به، وصير به الى الحسن بن سهل .

فذكر محمد بن الجهم أن نعيما ادخل حافيا حاسرا، وقد كان الحسن جلس  
مجلسا عاما، فلما وقف بين يديه اقبل يقول : ذنبى اعظم من السماء، ذنبى اعظم  
من الهواء، ذنبى اعظم من الماء ! فقال له الحسن على رسلك ، فقد تقدمت منك  
طاعة، وكان آخر أمرى إلى توبة، وليس للذنب بينهما مذهب ، وما ذنبك في  
الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين عنك في العفو، وقد اقالك الله، وعفا عنك .

وحكى ثمامة : أن الناس اجتمعوا جميعا : القواد، والقضاة، والفقهاء ووجوه  
العامّة، وجلس الفضل على فرش مرتفعة، فلما وصلوا إليه قام فخطب ، فحمد الله،  
وأثنى عليه، ثم ابتدأ في الواقعة في عبد الله بن مالك ، وذكر انه كان يدعى  
(علي) الرشيد في حكايته دخول بيوت القيان، وهو كاذب في ذلك ، وهو الذي  
كان يأتى المواخير والدساكر، لا يرفع عن ذلك نفسه، ولا يأنف من فجره ولا يصون  
عرضه عن قذره .

قال ثمامة : ثم اقبل علي فقال وان أيا معن ليعلم ذلك ، ويعرف ما أقول .  
فتكرت . تشييع قوله بالتصديق ، وأطرقت الى الأرض، ودخلتني العصبية لعبد الله  
بن مالك، للعربية أولا، ثم لنفسه أخرى .

الجيشياري : كتاب الوزراء ص 256

#### 45 - نظرة عن الحالة عند تولى المامون

#### خلافة المامون عبد الله بن هارون

وفي هذه السنة وضعت الحرب - بين محمد وعبد الله ابني هارون الرشيد  
- أوزارها، واستوسق الناس بالمشرق والعراق والحجاز لعبد الله المأمون بالطاعة .  
وفيها خرج الحسن الهرش في ذي الحجة منها يدعو إلى الرضى من آل محمد  
- بزعمه - في سفلة الناس، وجماعة كثيرة من الاعراب ، حتى أتى النيل . فجبى  
الاموال و أغار على التجار، وانتهب القرى، واستاق المواشي

وفيها ولى المأمون كل ما كان طاهر بن الحسين افتتحه من كور الجباك وفارس والاهواز والبصرة والكوفة والحجاز واليمن الحسن بن سهل اخا الفضل ابن سهل . وذلك بعد مقتل محمد المخلوع ودخول الناس في طاعة المأمون .

وفيها كتب المأمون الى طاهر بن الحسين، وهو مقيم ببغداد بتسليم جميع ما بيده من الأعمال في البلدان كلها الى خلفاء الحسن بن سهل، وان يشخص عن ذلك كله الى الرقة، وجعل اليه حرب نصر بن شيبث . وولاه الموصل والجزيرة والشأم والمغرب .

وفيها قدم على بن أبي سعيد العراف خليفة للحسن بن سهل على خراجها، فدافع طاهر عليها بتسليم الخراج اليه، حتى وفي الجند ارزاقهم، فلما فاهم سلم اليه العمل .

وفيها كتب المأمون الى هرثمة يأمره بالشخوص الى خراسان .

\* \* \*

وحج بالناس في هذه السنة العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي .

الطبرى 527/8

## 46 - عودة المأمون الى لبس السواد

ذكر جماعة من الرواة منهم : اسحاق بن سليمان الهاشمي وأبو حسان الزيادى وابن شبانة المروزى فيما حملوا من كتب التاريخ واتفقوا جميعاً عليه ان دخول المأمون بغداد مقدمه من خراسان كان في يوم السبت ارتفاع النهار لاربع عشرة ليلة بقيت من صفر سنة أربع ومائتين . وكان لباسه ولباس اصحابه جميعاً أقبيتهم وقلانسهم وطراداتهم واعلامهم الخضرة .

قالوا : فلما قدم نزل الرصافة وقد كان قبل ذلك قدم الى النهروان يوم السبت فأقام به ثمانية أيام وخرج الى أهل بيته ووجوه أهله ببغداد فسلموا عليه . فلما كان يوم السبت الآخر دخل الى بغداد . وكان قد كتب إلى طاهر بن الحسين، وكان بالرقة، أن يوافيه بالنهروان . فقدمه طاهر ودخل عليه . وأمره ان ينزل بالخيزرانية هو واصحابه .

يوم السبت الآخر دخل إلى بغداد. وكان قد كتب إلى طاهر بن الحسين، وكان بالرقعة، أن يوافيه بالنهروان. فقدم طاهر ودخل عليه. وأمره أن ينزك بالخيزرانية هو وأصحابه. ثم انه تحول فنزل قصره على شاطئ دجلة. وأمر حميد بن عبد الحميد وعلي بن هشام وكل من كان في عساكرهما أن ينزلوا في عسكره .

قالوا جميعاً : فكانوا يختلفون الى المأمون في كل يوم مسلمين ولباسهم الثياب الخضراء ، ولم يكن أحد يدخل عليه الا في خضرة. ولبس ذلك أهل بغداد اجمعون، وكانوا يخرقون كل شيء رأوه من السواد على أحد الا الفلانس، فان الواحد بعد الواحد كان يلبسها متخوفاً ووجلاً. فأما قباء أو علم، فلم يكن أحد يجترئ أن يلبس شيئاً من ذلك ، ولا يحمله. فمكثوا بذلك ثمانية أيام، وتكلم فيها بنو هاشم من ولد العباس خاصة وقالوا له : ياأمير المؤمنين تركت لباس أهل بيتك ودولتهم ولبست الخضرة .

قالوا : وكتب إليه في ذلك قواد أهل خراسان، وتكلم في ذلك دون الناس جميعاً لما قدم طاهر بن الحسين. فأظهر له الاجابة ولما يفعل. ولما رأى طاعتهم له في لباس الخضرة وكرامتهم لها، جلس يوم السبت وعليه ثياب خضر. فلما اجتبعوا عنده، دعا بسواد فلبسه ودعا بخضرة سوداء فكساها طاهر بن الحسين وخلع على عدة من قواده أقبية وقلانس سوداء. فلما خرجوا من عنده وعليهم السواد، طرح سائر القواد الخضرة ولبسوا السواد .

ابن طاهر : كتاب بغداد ص 9

#### 47 - المأمون يمهّد للتصالح مع البغداديين

وكانت تلك الايام أيام فتن ووقائع وحروب فلما بلغ المأمون ذلك قام وقعد فقتل الفضل بن سهل ومات بعده على بن موسى من أكل عنب ففيل أن المأمون رأى انكار الناس ببغداد لما فعله من نقل الخلافة الى بنى على وانهم نسبوا ذلك الى الفضل بن سهل فقتلوه في الحمام ثم اخذهم وقدمهم ليضرب اعناقهم فقالوا له انت امرتنا بذلك ثم تقتلنا فقال لهم أنا اقتلكم باقراركم. وأما ما ادعيتموه على من أتى امرتك بذلك فدعوى ليس لها بينة. ثم ضرب اعناقهم وحمل رؤوسهم الى الحسن بن بهك وكتب يعزيه ويوليه مكانه وانضم الى ذلك أمور أخرى سنذكرها عند ذكر وزارة الفضل ثم دس الى على بن موسى الرضى عليه السلام سما في عنب وكان يحب العنّب فأكل منه واستكثر فمات من ساعته. ثم كتب الى بنى العباس

ببغداد يقول لهم أن الذي انكرتموه من أمر علي بن موسى قد زال وان الرجل مات فأجابوه اغلظ جواب ، وكان الفضل بن سهل قد استولى على المأمون ومث امتاننا كثيرة بقيامه في أمره واجتهاده في أخذ الخلافة له فكان قد قطع الأخبار عنه ومثى علم ان احدا قد دخل عليه أو علمه بخبر سعى في مكروهه وعاقبه. فامتنع الناس من كلام المأمون فانطوت الأخبار عنه .

من كتاب الفخرى لابن طباطبا

## 48 - ذكر اتصال يحيى بن أكثم بالمأمون والسبب الذي له استوزره

قال حدثني احمد بن صالح الاضخم. قال. هك تدري ما كان سبب يحيى بن أكثم؟ قلت : لا. واني أحب أن أعرفه. قال : يحيى بن خاقان هو وصله بالحسن ابن سهل وقربه من قلبه، وكبره، في صدره حتى ولاه قضاء البصرة ثم استوزره المأمون فغلب عليه .

وحدثني عبد الله بن أبي مروان الفارسي. قال : كان ثمامة سبب يحيى بن أكثم في قضاء البصرة مرتين، وسبب تخلصه من الخادم الذي أمر بتكسيفه بالبصرة. ويقال انه سطع خصيته في تعذيبه بالقصب ثم عزل من البصرة فنزل على ثمامة حتى ارتاد له دارا بحضرته ومات أحمد بن أبي خالد الاحول احتيج الى من يقوم مقامه. قال : فأراد المأمون ثمامة على اللزوم للخدمة فامتنع واعتك عليه وكره ذلك منه. قال : فأريد لي رجلا يصلح للخدمة. قال : ثمامة فذكرت يحيى في نفسى ولم ابد ذلك للمأمون حتى لقيت يحيى فعقدت عليه أن لا يغدر وأن لا ينسأها لي ان حسنت به حاله، ولطفت له منزلة. قال : فقال يحيى يا أبا معن أنا صنيعك وابن عمك. فخيرني سراج خادم ثمامة انه بلغ من مقاربة يحيى لثمامة وطلب المنزلة عنده انه جعل يتعلم القول بالاعتزال قال : فلما حسن حال يحيى ووقع بينه وبين ثمامة ما وقع من الشر والمباينة والمحادثات عند المأمون فجرى لهم من المجالس في الكلام والخلاف ما قد اثر وكتب قال يحيى يوما يا أمير المؤمنين. بلغني أن رجلا يزعم انه يفرق بين ما اختلفت فيه الأمة في حرفين. فقال له ثمامة يا أمير المؤمنين اياي اعترى ولى في قوله غناء. نعم أنا أفرق بين ما اختلفت فيه الأمة بحرفين الا أنى ازداد حرفا ثالثا لتفهمه مع الخاصة. فقال المأمون: فقل. فما أراك بخارج منها. قال : يا أمير المؤمنين : لا تخلو افعال العباد وما اختلف الناس فيه

من ذلك أن تكون من الله ليس للعباد فيها صنع أو بعضها من الله وبعضها من العباد، فإن زعم أنها من الله ليس للعباد فيها صنع كفر ونسب إلى الله كك فعل قبيح. وان زعم أنها من الله ومن العباد جعل الخلق شركاء لله في فعل الفواحش والكفر وان زعم أنها من العباد ليس لله فيها صنع صار إلى ما أقوله. قال : فما أجاب يحيى جواباً .

ابن طاهر : كتاب بغداد ص 139

#### 49 - الحالة في مصر في أول القرن الثالث ذكر الخبر عن فتح عبد الله بن طاهر الاسكندرية

وفي هذه السنة فتح عبد الله بن طاهر الاسكندرية - وقيل كان فتحه اياها في سنة احدى عشرة ومائتين - وأجلى من كان تغلب عليها من أهل الأندلس عنها ذكر الخبر عن أمره وأمرهم :

حدثني غير واحد من أهل مصر، ان مراكب اقبلت من بحر الروم من قبل الأندلس فيها جماعة كبيرة أيام شغل الناس قبلهم بفتنة الجروى وابن السرى. حتى ارسوا مراكبهم بالاسكندرية. ورئيسهم يومئذ رجل يدعى أبا حفص، فلم يزالوا بها مقيين حتى قدم عبد الله بن طاهر مصر. قال لي يونس بن عبد الاعلى : قدم علينا من قبل المشرق فتى حدث - يعنى عبد الله بن طاهر - والدنيا عندنا مفتونة. قد غلب على كل ناحية من بلادنا غالب، والناس منهم في بلاء، فأصلح الدنيا، وأمن البرىء. وأخاف السقيم، واستوسقت له الرعية بالطاعة. ثم قال : أخبرنا عبد الله بن وهب، قال : أخبرنى عبد الله بن لهيعة، قال : لا أدرى رفعه الى قبل أم لا ! فلم نجد فيما قرأنا من الكتب ان لله بالمشرق جندا لم يطغ عليه احد من خلقه الا بعثهم عليه، وانتقم بهم منه - أو كلاما هذا معناه - فلما دخل عبد الله بن طاهر بن الحسين مصر، ارسل الى من كان بها من الاندلسيين، والى من كان انصوى اليهم، يؤذنه بالحرب ان هم لم يدخلوا في الطاعة، فأخبرونى انهم اجابوه الى الطاعة. وسألوه الامان، على أن يرحلوا من الاسكندرية الى بعض أطراف الروم التي ليست من بلاد الاسلام، فأعطاهم الامان على ذلك ، وأنهم رحلوا عنها، فنزلوا جزيرة من جزائر البحر، يقال لها اقريطش، فاستوطنوها وأقاموا بها، وفيها بقايا أولادهم الى اليوم .

الطبري : تاريخ 613/8



## 50 - تنحية القاسم من ولاية العهد

قال : وكان القاسم بن الرشيد ساقط الهمة دنىء النفس، وكان المأمون على ان يعهد اليه ويؤكد له ما كان الرشيد جعله له من ولاية العهد. وكان لا يزال يبلغه عنه ما يكره مرة في نفسه وأخرى في حشمه، قال: فرفع اليه في الخبر يوما أند قال لقوام حمامه : نورووا الناس بالمجان. ففعلوا ذلك فلم يبق محتاج الا جاء يتنور. فلما علم انهم كثروا اخرج عليهم. شي الاسد من باب كان يدخل منه الى الحمام فخرج الناس عراة مغمى عليهم مع ما عليهم من النورة هاربين من الاسد فصاروا الى شارع قصره وقد اشرف عليهم وهو يضحك، فحدثنا الحسن بن قريش قال : دعانى المأمون وقال : يا هذا ما لى ولهذا الفتى ، الى كم احتمل منه هذا الاذى ؟ قال : فقلت قومه يا امير المؤمنين ان رأيت في ذلك صلاحا. قال : نعم. فقلت: يا سيدي انه عضو منك وأنت أولى الناس بتقويمه، قال : فجعل بينها ويأبى لا ينتهي. فلما كثر هذا من فعله عزم على خلعه فكتب الى هزيمة بن اعين في ذلك كتابا نسخته: أما بعد فان امير المؤمنين. يستوفى الله جك وعز في جميع أموره ويستخيره فيها خاصها وعامتها، لطيفها وجليلها. استخارة من يوقن ان البركة وخيرة البدء والعاقبة في قضائه وما يلهمه من ارشاد وتسييد رأى واثبات صواب، وقد رأى أمير المؤمنين عندما استخار الله تبارك اسمه فيه من أمر القاسم بن الرشيد فيما كان اليه من ولاية العهد خلعه عن ذلك وصرفه عنه، فأظهر ذلك فيمن بحضرتك وأمر بالكتاب الى العمال في نواحي عملك وثلغورك وولاية الامصار، فقد أمل أمير المؤمنين أن يكون ذلك توفيقا من الله تبارك اسمه ورشدا ألهمه اياه اذ كان به توفيقه وعليه معوله واليه رجوعه فيما يبره ويمضى فامتلك ما حده لك أمير المؤمنين وانته اليه واكتب بما يكون منك فيه ان شاء الله .

البيهقى : المحاسن 173

## 51 - نهاية بابك

واشدد أمر بابك الخرمى ببلاد الران والبيلقان، وكثرت غنثته في تلك البلاد وسار عساكره نحو تلك الامصار ففرق الجيوش وهزم العساكر وقتل الولاة وأقنى الناس، فسير اليه المعتصم الجيوش وعليها الافشين، وكثرت حروبه، واتصلت وضاق بابك في بلاده حتى انفض جمعه، وقتل رجاله وامتنع بالجبل المعروف بالبدين من أرض الران، وهي بلاد بابك، وبه يعرف هذا الموضع الى هذا الوقت، فلما استشعر

بابك منازل به وأشرف عليه هرب من موضعه، وزال عن مكانه، فتنكر هو وأخوه وولده وأهله ومن تبعه من خواصه، وقد تزيا بزبي السفر وأهلك التجارة والقوافل، فنزل موضعا من بلاد أرمينية من أعمال سهل بن سنباط من بطارقة أرمينية على بعض المياه. وبالقرب منهم راعي غنم، فابتاعوا منه شاة، وساموا شراء شيء من الزاد لهم، فمضى من فوره الى سهل بن سنباط الأرميني، فأخبره الخبر، وقال: هو بابك لاشك فيه. وقد كان الافشين لما هرب بابك من موضعه وزال عن جبله خشى أن يعتصم ببعض الجبال المنيعه، أو يتحصن ببعض القلاع، أو يضاف الى بعض الامم القاطنة ببعض تلك الديار فيكثر جمعه ويضاف اليه فلاك عسكره فيرجع الى ماكان من أمره فأخذ الطرف، وكاتب البطارقة في الحصون والمواضع من بلاد أرمينية واذربيجان والران والبيلقان، وضمن في ذلك الرغائب، فلما سمع سهل بن سنباط من الراعي ماأخبره به سار من فوره فيمن حضره من عدده وأصحابه حتى أتى الموضع الذي فيه بابك، فترجل له، ودنا منه، وسلم عليه بالملك، وقال له : أيها الملك، قم الى قصرك الذي فيه وليك وموضع يمنحك الله فيه عدوك، فسار معه الى أن أتى قلعته، وأجلسه على سريبه، ورفع منزلته، ووطأ له منزله ومن معه، وقدمت المائدة، وقعد سهل يأكل معه فقال له بابك بجعله وقلة معرفته بما هو فيه ومدافع اليه : أمثلك يأكل معي؟ فقام سهل عن المائدة، وقال : أخطأت أيها الملك، وأنت أحق من احتمل عبده، اذ كانت منزلتي ليست بمنزلة من يأكل مع الملوك، وجاءه بحداد، وقال له : مد رجلك أيها الملك، وأوثقه بالحديد، فقال له بابك : اغدرا ياسهل؟ ! قال: ياابن الخبيثة، انما أنت راعي غنم وبقر، ماأنت والتدبير للملك ونظم السياسات وتدبير الجيوش؟! وقيد من كان معه، وأرسل الى الافشين يخبره الخبر، وأن الرجل عنده ، فسرح اليه الافشين أربعة آلاف فارس عليهم الحديد، وعليهم خليقة يقال له بوماده. فتسلموا بابك ومن معه، وأتى به الى الافشين ومعه سهل بن سنباط فرفع الافشين منزلة سهل، وخلع عليه، وجمله، وتوجه وقاد بين يديه، وأسقط عنه الخراج، فأطلقه، وأطلقت الطيور الى المعتصم، وكتب اليه بالفتح، فلما وصل اليه ذلك ضج الناس بالتكبير، وعمهم الفرح، وأظهروا السرور، وكتبت الكتب الى الامصار بالفتح، وقد كان أفنى عساكر السلطان، فسار الافشين ببابك، وتنقل بالعساكر، حتى أتى سر من رأى، وذلك سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وتلقى الافشين هرون ابن المعتصم وأهلك بيت الخلافة ورجال الدولة، ونزل بالموضع المعروف بالقاطول على خمسة فراسخ من سامرا، وبعث اليه

بالفيك الأشهب، وكان قد حمله بعض ملوك الهند الى المامون، وكان فيلا عظيما قد جلك بالديباج الاحمر والاخضر وأنواع الحرير الملون، ومعه ناقة عظيمة بختية قد جللت بما وصفنا، وحمل الى الافشين دراعة من الديباج الاحمر منسوجة بالذهب قد رصع صدرها بأنواع الياقوت والجوهر، ودراعة دونها وقلنسوة عظيمة كالبرنس ذات سفاسك بألوان مختلفة، وقد نظم على القلنسوة كثير من اللؤلؤ والجوهر، وألبس بابك الدراعة الجليلة، وألبس أخوه الاخرى، وجعلت القلنسوة على رأس بابك وعلى رأس أخيه نحوها. وقدم اليه الفيك، والى أخيه الناقة. فلما رأى صورة الفيك استعظمه وقال: ماهذه. الدابة العظيمة؟ واستحسن الدراعة، وقال: هذه كرامة ملك عظيم جليل، الى أسير فقد العز ذليل. اخطأته الاقدار، وزالت عنه الجدود، وتورطته المحن، انها لفرحة تقتضي ترحه، وضرب له المصاف صفيين في الخيك والرجال والسلاح والحديد والرايات والبنود، من القاطول الى سامرا، مدد واحد متصل غير منفصل، وبابك على الفيك وأخوه وراءه على الناقة، والفيك يخطر بين الصفيين به، وبابك ينظر الى ذات اليمين وذات الشمال، ويميز الرجال والعدد، ويظهر الاسف والحنين على مافاته من سفك دمائهم، غير مستعظم لما يرى من كثرتهم، وذلك يوم الخميس ليلتين خلتا من صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين، ولم ير الناس مثل ذلك اليوم، ولا مثل تلك الزينة، ودخل الافشين على المعتصم، فرفع منزلته، وأعلى مكانه، وأتى ببابك فطوف به بين يديه، فقال له المعتصم: انت بابك؟ فلم يجب، وكررها عليه مرارا، وبابك ساكت، فمال اليه الافشين وقال: الويك لك! أمير المؤمنين يخاطبك وأنت ساكت؟ فقال: نعم أنا بابك، فسجد المعتصم عند ذلك، وأمر بقطع يديه ورجليه.

قال المسعودي: ورأيت في كتاب أخبار بغداد أنه لما وقف بابك بين يديه لم يكلمه مليا، ثم قال له: أنت بابك؟ قال: نعم، أنا عبدك وغلماك، وكان اسم بابك الحسن، واسم أخيه عبد الله، قال: جردوه، فسلبه الخدام ماعليه من الزينة، وقطعت يمينه، وضرب بها وجهه، وفعل مثلك بيساره، وثلث برجليه، وهو يتمرغ في النطح في دمه، وقد كان تكلم بكلام كثير يرغب في أموال عظيمة قبله، فلم يلتفت الى قوله، وأقبل يضرب بما بقى من زنديه وجهه، وأمر المعتصم السيف أن يدخل السيف بين ضلعين من أضلاعه أسفل من القلب ليكون أطول لعذابه، ففعل، ثم أمر بجز لسانه وطلب أطرافه مع جسده فطلب ثم حمل الرأس الى مدينة السلام، ونصب على الجسر، وحمل الى خراسان بعد ذلك يطاف به كل مدينة من مدنها وكورها، لما كان في نفوس الناس من استفحال أمره وعظم شأنه وكثرة جنوده

واشرافه على ازالة ملك وقلب ملة وتبديلها، وحمل أخوه عبد الله مع الرأس الى مدينة السلام، ففعل به اسحق بن ابراهيم أميرها ما فعل بأخيه بابك بسامرا. وصلت جثة بابك على خشبة بطويلة في أقاصي سامرا، وموضعه مشهور الى هذه الغاية يعرف بخشبة بابك، وان كانت سامرا في هذا الوقت قد خلا منها ساكنها وبلن عنها قاطنها، الا يسيرا من الناس في بعض المواضع بها.

المسعودي : مروج 4 - 55

## 52 - ثورة المازيار

وكان المازيار، وهو محمد بن قارن بن بندااد هرمز، اصبهيد طبرستان، قد قدم على المأمون، بعد وفاة أبيه وتصيير مملكة طبرستان الى عمه، فملكه المأمون على مدينتين من مدن طبرستان، وكتب الى عمه في تسليمهما اليه، وخرج متوجها، فلما بلغ عمه ذلك أعاظه وبلغ منه، فخرج كأنه يتلقاه. وكان مع المازيار مولى لابييه له دراية، فقال: ان عمك لم يخرج في هذه الهيئة الا ليفتك بك، فاذا قربت منه، وانفردت عن أصحابك، فاني أدفع اليك الحربة، فضعها في صدره، ففعل ذلك، فقتل عمه، واجتمعت عليه المملكة، وضبط البلاد، وكتب الى المأمون بأن عمه كان مخالفا لملكه على البلاد.

فلما عظم أمره كتب من جيلان اصبهيد (اصبهيدان بشوار خرشاد) محمد بن قارن مولى أمير المؤمنين، ثم ذهب بنفسه أن يقول : موالى أمير المؤمنين، ثم تفاقم أمره حتى أظهر المعصية، وخلع، ويقال أن الافشين كاتبه، وحمله على الخلع، فوجه المعتصم محمد بن ابراهيم لمحاربته في جيش، فنفذ وكتب الى عبد الله بن طاهر أن يمدّه بالجيوش، فحاربه وألح عليه عبد الله بالبعثة اليه بالجيوش، فحاربه، فقطعوا الأودية والحزونة وخرج ليلا، فوضع يده في يد قرابة لعبد الله، وقدم به سنة 226، فضرب بالسياط حتى مات، وصلب الى جانب بابك.

فحدثني محمد بن عيسى قال : قدم بالمازيار، وقد حبس الافشين في ذلك الوقت، فجمع ابن داود بينه وبين المازيار، وقال له : هذا الافشين الذي زعمت أنه حملك على المعصية. فقال له الافشين : والله أن الكذب بالسوقة لقبيح، فكيف بالملوك؟ والله ماينجيك كذبيك من القتل، فلاتجعل الكذب خاتمة أمرك. فقال

المازيار : والله ماكتب الي، ولا راسلني، الا أن أبا الحارث وكيلى أخبرني أنه لما قدم عليه بره وأكرمه، فرد الافشين الى الحبس، فضرب المازيار حتى قتل.

اليعقوبي : تاريخ 2 - 477

### 53 - الأحوال في عهد الواصل

وسخط الواصل على ابراهيم بن رباح، وكان ابراهيم مقدما عنده بمكانه منه. أيام امرته، فولاه ديوان الضياع، فتشاغل باللهو، وفوض أمره الى نجاح بن سلمة كاتبه، والى يمان بن .... النصراني، وتجافيا للناس عن أموال كثيرة، فكثروا عليه عند الواصل، فأمر بقبض ضياعه وأمواله، وصير ماكان اليه الى عمر بن فرج الرخجي.

وكان أحمد بن الخصيب كاتب اشناس التركي، وهو يلي أعمال الجزيرة، والشامات، ومصر، والمغرب، والمدبر لذلك أحمد، فرفع الى الواصل أنه قد حاز أموالا عظيمة، فسخط عليه، وقبض أمواله وأموال أخيه ابراهيم، وعذبا، وعذبت أمهما.

وتوفي اشناس في هذه السنة، فصيرت مرتبته وأكثر أعماله الى ايناخ التركي. وتركت ضياعه وأمواله بحالها لولده، ورد القيام بها الى عبد الله بن صاعد، فلم يزل يقوم بها الى أن توفي.

وانتفضت أرمينية، وتحرك بها قوم من العرب والبطارقة والمتغلبين، وتغلب ملوك الجبال والباب والابواب على مايليهم، وضعف أمر السلطان، فولى الواصل خالد بن يزيد بن مزيد، وأمره بالنفوذ، وضم اليه كورا من كور ديار ربيعة، فسار في جيش عظيم، فلما بلغ المتغلبين بتلك البلاد خبره هابوه، وكتب أكثرهم يذكر أنه لم يزل في الطاعة، ووجهوا بالهدايا، فقال : لاأقبل الا هدية من جاني، فزاد ذلك في وحشتهم، وكتب الى اسحاق بن اسماعيل يأمره أن يقدم عليه، فلم يفعل، فزحف اليه، فكاد أن يعطى اسحاق بيده .

اليعقوبي : تاريخ 2 - 481



الباب الرابع

الصراع مع البيزنطيين





## 54 - غزوة هارون بن المهدي الصائفة ببلاد الروم

فمن ذلك غزوة هارون بن محمد المهدي الصائفة، ووجهه أبوه - فيما ذكر - يوم السبت لاحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة غازيا الى بلاد الروم، وضم اليه الربيع مولاه، فوغل هارون في بلاد الروم، فافتتح ماجدة، ولقيته خيول نقيطا قومس القوامسة، فبارزه يزيد من مزيد، فأرجل يزيد، ثم سقط نقيطا، فضر به يزيد حتى اثخته . وانهزمت الروم، وغلب يزيد على عسكرهم. وسار الى الدمستق بنقمودية وهو صاحب المسالحي، وسار هارون في خمسة وتسعين ألفا وسبعمائة وثلاثة وتسعين رجلاه وحمل لهم من العين مائة ألف دينار وأربعة وتسعين ألفا وأربعمائة وخمسين دينارا، ومن الورق أحدا وعشرين ألف ألف وأربعمائة ألف وأربعة عشر ألفا وثمانمائة درهم. وسار هارون حتى بلغ خليج البحر الذي على القسطنطينية، وصاحب الروم يومئذ أعطسه امرأة اليون، وذلك أن ابنها كان صغيرا قد هلك أبوه وهو في حجرها، فحرت بينهما وبين هارون بن المهدي الرسل والسفراء في طلب الصلح والموادعة واعطائه الفدية، فقبل ذلك منها هارون، وشرط عليها الوفاء بما أعطت له، وأن تقيم له الادلاء والاسواق في طريقه، وذلك أنه دخل مدخلا صعبا مخوفا على المسلمين، فأجابته الى ما سأل، والذي وقع عليه الصلح بينه وبينها تسعون أو سبعون الف دينار، تؤديها في نيسان الاول في كل سنة، وفي حزيران، فقبل ذلك منها، فاقامت له الاسواق في منصرفه، ووجهت معه رسولا الى المهدي بما بذلت على أن تؤدي ماتيسر من الذهب والفضة والعرض، وكتبوا كتاب الهدنة الى ثلاث سنين، وسلمت الاسارى. وكان الذي أفاء الله على هارون الى أن أذغت الروم بالجزية خمسة آلاف وستمائة وثلاثة وأربعين رأسا، وقتل من الروم في الوقائع أربعة وخمسون ألفا، وقتل من الاسارى صدرا ألفان وتسعون أسيرا. ومما أفاء الله عليه من الدواب ذلك بأدراتها عشرون ألف دابة، وذبح من البقر والغنم مائة ألف رأس. وكانت المرتزقة سوى المطوعة وأهل الاسواق مائة ألف، وبيع البرذون بدرهم، والبغل بأقل من عشرة دراهم، والدرع بأقل من درهم وعشرين سيفا بدرهم، فقال مروان بن أبي حفصة في ذلك :

أطفت بقسطنطينة الروم مسندا      إليها القنا حتى اكتسى الذك سورها  
ومارنتها حتى أنتك ملوكها      بجزيتها، والحرب تغلى قدورها

الطبرى 8 - 152

55 - من رسالة أبى الربيع محمد بن الليث التي

كتبها الرشيد الى قسطنطين ملك الروم

.. ومن أسباب ما يريد الله من الانتقام منكم، ما قد أزعج أمير المؤمنين وعزم عليه، وقذف الله في قلبه، من الارادة والنية والرغبة في ايطاء الجيوش بلادكم، واستبءاء المقاتلة أرضكم، والتفرغ لكم من كل شغل، والايثار لجهادكم عن كل عمل، حتى تؤمنوا بالله وأنتم طائعون أو كارهون، وتؤدوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، فكونوا على عدة من الجزية، وبيقين من الانتجاع الذي لاطاقة لكم ان شاء الله به، ولاصبر لكم باذن الله عليه، فان جنود أمير المؤمنين فارغة كثيرة، وخزائنه عامرة وافرة، ونفسه سخية بالانفاق، ويده مطلقة باليدل، والمسلمون نشاط اليكم، منقلبون عليكم، قد عودهم الله في لقاءكم عادة يرجون انتظار مثلها، وأبلاهم في قتالكم بلاء من أمثالها، ان شاء الله.

وكتاب أمير المؤمنين نذيره بين يدي جنوده، ومقدمة ان شاء الله من جيوشه، الا أن تؤدوا الجزية عن التي دعاك أمير المؤمنين إليها، وحداك ومن قبلك عليها، رحمة للضعفاء الذين لاترحمهم، وتوجعا للمساكين مما لاتوجع منه لهم من الجلاء والسبأ والقتل والاسر والقهر، وقساوة من قلوبكم، وأثرة لانفسكم، واعتصاما بخواصكم، واجلاء لعوامكم الضعفاء الفقراء المساكين الذين لاتمنعونهم بقوة، ولاتدفعون عنهم بحيلة، ولاتراقبون في الرحمة لهم والتعطف عليهم، أدب المسيح اياكم، وقوله في الكتاب لكم : « طوبى للذين يرحمون الناس، فان أولئك أصفياء الله ونور بنى آدم».

وأيم الله لو يعلم من قبلك من المساكين والزراعيين والفقراء والضعفاء والعملة بأيديهم، مالم عند أمير المؤمنين لتحذروا عليه وأقبلوا اليه، من ايوانهم، وانزالهم الارض الواسعة، وامكانهم من مسايل المياه السائحة، والعدل عليهم بما لا تبلغه أنت ولاتقاربه، رفقا بهم ونظرا لهم واحسانا اليهم، مع تخليته اياهم واديانهم، لا يكرههم

على خلفها ولا يجبرهم على غيرها، ولا اختاروا قرب أمير المؤمنين على قربك وجواره على جوارك. ولأنقذوا أنفسهم وأموالهم وأولادهم وأزواجهم وعيالاتهم، مما يحل بهم في كل عام ويلقون من كل غزاة. فاتق الله واقبل ما عرض عليك من الجزية، ولا يمنعك ما فيه الحظ لك ولاهك مملكتك. ونحن على رجاء أن الله لا يؤخر ذلك منكم ويدفعه عنكم الا ليجعله على يد أهل بيت النبوة والرحمة، ولاهك الوراثة فيهم للكتاب والحكمة، الذين لا يدخل في الأذعان لهم وأداء الجزية حمية ولا نقیصة ولا عار، والذين يفون لكم بما يعقدون، ويتبعون فعلهم ما يقولون.

ثم أمير المؤمنين بخاصة لما جعل الله عليه رأيه وفيه نظره من البر والرحمة والاقساط والوفاء بالعقود والعهود والشروط نظرا لدينه وخوفا من ربه، ولما قذف الله في قلبه وقلوب المسلمين من المحبة والطاعة والاثرة، ولما جعلهم الله عليه من اجتماع الكلمة، واتفاق الافئدة، والنصائح في السر والعلانية، وما عوده الله ممن نصب له بمجادبة ورماه بمكايده، وعراه بحيلة، من النصر العزيز، والفتح القريب، والظفر المبين. فابذل من الجزية ما شئت وسم منها ماهويت، واعلم أن أمير المؤمنين ليس يحدوك عليها لحاجة به اليها ولللمسلمين، ولكن طاعة لربه وأثرة لحقه، وليجعلها سببا لما يريد أن يجري فيما بينه وبينكم. وانه انما كان قبول المهدي، رحمه الله، الفدية منكم، بطلبة أمير المؤمنين كانت اليه، والحاجة كانت فيها عليه، ولم يكن من رغبة فيها، ولا حاجة اليها، ولا استعظام لها. ولقد كان يعطي في المجلس الواحد مرارا أمثالها. ولكن ذلك كان رأي أمير المؤمنين يومئذ فيكم. فأما اليوم اذ استبان له غدركم ونقضكم ونكتكم واستخفافكم بدينكم وجرأتكم على ربكم، فليس بين أمير المؤمنين وبينكم الا الاسلام، أو الحرب المجلبة، ان شاء الله، ولا حول بأمر المؤمنين ولا قوة الا بالله، عليه يتوكل وبه يثق واياه يستعين، والسلام على من اتبع الهدى.

ابن طيفور : اختيار المنظوم والمنشور

نقلا عن كتاب عصر المامون

للدكتور أحمد فريد الرفاعي ج 2 - 235

## 56 - الخبر عن نقض الروم للصلح

وفي هذه السنة نقض صاحب الروم الصلح الذي كان جرى بين الذي قبله وبين المسلمين، ومنع ما كان ضمنه الملك لهم قبله.

ذكر الخبر عن سبب نقضهم ذلك :

وكان سبب ذلك أن الصلح كان جرى بين المسلمين وصاحب الروم وصاحبتهم يومئذ ريني - وقد ذكرنا قبل سبب الصلح الذي كان بين المسلمين وبينها - فعادت الروم على ريني فخلعتها، وملكت عليها نقفور. والروم تذكر أن نقفور هذا من أولاد جفنة من غسان، وأنه قبل الملك كان يلي ديوان الخراج، ثم ماتت ريني بعد خمسة أشهر من خلع الروم إياها، فذكر أن نقفور لما ملك واستوسقت له الروم بالطاعة، كتب إلى الرشيد :

من نقفور ملك الروم، إلى هارون ملك العرب، أما بعد : فإن الملكة التي كانت قبلي، أقامتني مقام الرخ. وأقامت نفسها مقام البيدق، فحملت اليك من أموالها ماكنت حقيقا بحمل أمثالها إليها، لكن ذاك ضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأت كتابي فأردد ماحصل قبلك من أموالها، وأفتد نفسك بما يقع به المصادرة لك، والا فالسيف بيننا وبينك.

قال : فلما قرأ الرشيد الكتاب، استغزه الغضب حتى لم يمكن أحدا أن ينظر إليه دون أن يخاطبه، وتفرق جلساؤه خوفا من زيادة قول أو فعل يكون منهم، واستعجم الرأي على الوزير من أن يشير عليه أو يتركه يستبد برأيه دونه، فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم. من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور ملك الروم، قد قرأت كتابك يابن الكافرة، والجواب ماتراه دون أن تسمعه. والسلام.

ثم شخص من يومه، وسار حتى أناخ بباب هرقل، ففتح وغنم، واصطفى وأفاد. وخرب وحرق، واصطلم. فطلب نقفور المoadعة على خراج يؤديه في كل سنة، فأجابه إلى ذلك، فلما رجع من غزونه، وصار بالرقعة نقض نقفور العهد، وخان الميثاق. وكان البرد شديدا، فيئس نقفور من رجعه إليه، أخذ وجاء الخبر بارتداده عما أخذ عليه، فما تهيأ لأحد أخباره بذلك اشفاقا عليه وعلى أنفسهم من الكرة في مثل تلك الايام، فاحتيل له بشاعر من أهل خرة يكنى أبا محمد عبد الله بن يوسف - ويقال : هو الحجاج بن يوسف التيمي، فقال :

نقض الذي أعطيته نقفور  
أبشر أمير المؤمنين فإنه  
فلقد تياشرت الرعية أن أتى  
وعليه دائرة البوار تدور  
غنم أتاك به الاله كبير  
بالنقض عنه وافد وبشير

ورجت يمينك أن تعجب غزوة  
أعطاك جزيته وطأطأ خده  
فتح يزيده على الفتوح يؤمنا  
فأجرته من وقعها وكأنها  
وصرفت بالطول العساكر قافلا  
نقفور انك حين تغدر ان نأى  
أظننت حين غدرت أنك مفلت  
ألقاك حينك في زواجر بحره  
ان الامام على اقتسارك قادر  
ليس الامام وان غفلنا غافلا  
ملك تجرد للجهاد بنفسه  
يامن يريد رضا الاله بسعيه  
لانصح ينفع من يغش أمامه  
نصح الامام على الانام فريضة

تشفى النفوس مكانها مذكور  
حذر الصوارم والردى محذور  
بالنصر فيه لبواؤك المنصور  
بأفنا شعل الضرام تطير  
عنه وجارك أمن مسرور  
عنك الامام لجاهل مغرور  
هبلتك أمك ماظننت غرور  
فطمت عليك من الامام بحور  
قربت ديارك أم نأت بك دور  
عما يسوس بحزمه ويدير  
فعدوه أبدا به مقهور  
والله لا يخفى عليه ضمير  
والنصح من نصائح مشكور  
ولا لها كفارة وطهور

وفي ذلك يقول اسماعيل بن القاسم أبو العتاهية :

أمام الهدى أصبحت بالدين معنيا  
لك اسمان شفا من رشاد ومن هدى  
اذا ماسخت الشيء كان مسخطا  
بسطت لنا شرقا وغربا يد العلا  
ووشيت وجه الارض بالجود والندى  
قضى الله أن يصفو لهارون ملكه  
تحلبت الدنيا لهارون بالرضا

وأصحت تسقى كل مستمطر ريبا  
فأنت الذي تدعى رشيدا ومهديا  
وان ترض شيئا كان في الناس مرضيا  
فأوسعت شرقيا وأوسعت غربيا  
فأصبح وجه الارض بالجود موشيا  
وكان قضاء الله في الخلق مقضيا  
فأصبح نقفور لهارون ذميا

فلما فرغ من إنشاده، قال : أوقد فعل نقفور ذلك ! وعلم أن الوزراء قد احتالوا  
له في ذلك فكر راجعا في أشد محنة وأغلظ كلفة حتى اتاح بفنائهم. فلم يبرح حتى  
رضى وبلغ ما أراد .

الطبري : تاريخ 307/8

## 57 - فتح الرشيد هرقله

وفيها فتح الرشيد هرقله، وبث الجيوش والسرايا بأرض الروم، وكان دخلها - فيما قيل - في مائة ألف وخمسة وثلاثين ألف مرتزق، سوى الاتباع وسوى المطوعة وسوى من لاديوان له، وأتاح عبد الله بن مالك على ذى الكلاع ووجه داود بن عيسى بن موسى سائحا في أرض الروم في سبعين ألفا. وافتتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالية ودبسة، وافتتح زيد بن مخلد الصفاف وملقوبية - وكان فتح الرشيد هرقله في شوال - وأخربها وسبى أهلها بعد مقام ثلاثين يوما عليها، وولى حميد بن معيوف سواحل بحر الشام الى مصر، فبلغ حميد قبرس، فهدم وحرق وسبى من أهلها ستة عشر ألفا، فأقدمهم الرافقة، فتولى بيعهم أبو البخترى القاضي. فبلغ أسقف قبرس الفي دينار.

وكان شخوص هارون الى بلاد الروم لعشر بقين من رجب، واتخذ قلنسوة مكتوبا عليها «غاز حاج»، فكان يلبسها، فقال أبو المعالي الكلابي :

فمن يطلب لقاءك أو يردده	فبالحرمين أو أقصى الثغور
ففي أرض العدو على طمر	وفي أرض الترفه فوق كور
وماحاز الثغور سواك خلق	من المتخلفين على الامور

ثم صار الرشيد الى الطوانة، فعسكر بها، ثم رحل عنها، وخلف عليها عقبة بن جعفر، وأمره ببناء منزل هنالك، وبعث نقفور الى الرشيد بالخراج والجزية، عن رأسه وولى عهده وبطارقته وسائر أهل بلده خمسين ألف دينار، منها عن رأسه أربعة دنانير، وعن رأس ابنه استبراق دينارين. وكتب نقفور مع بطريقين من عطاء بطارقته في جارية من سبى هرقله كتابا نسخته :

لعبد الله هارون أمير المؤمنين من نقفور ملك الروم. سلام عليكم، أما بعد أيها الملك، ان لي اليك حاجة لاتضرك. في دينك ولادنياك، هينة يسيرة أن تهب لابني جارية من بنات أهل هرقله، كنت قد خطبتها على ابني. فان رأيت أن تسعفني بحاجتي فعلت. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

واستهداه أيضا طيبا وسرادقا من سرادقاته، فأمر الرشيد بطلب الجارية فأحضرت وزينت وأجلست على سرير في مضربه الذي كان نازلا فيه، وسلمت الجارية والمضرب بما فيه من الأنية والمتاع الى رسول نقفور، وبعث اليه بما سأك من العطر.

وبعث اليه من التمرور والاحبسة والزبيبي والترياق، فسلم ذلك كله اليه رسول الرشيد. فأعطاه نقفور وقر دراهم اسلامية على بردون كميت كان مبلغه خمسين ألف درهم، ومائة ثوب ديباج ومائتي ثوب بزيون، واثنني عشر بازيا، وأربعة أكلب من كلاب الصيد، وثلاثة براذين.

الطبري : تاريخ 8 - 320

## 58 - العلاقات بين المأمون وتوفيق البيزنطي

### كتاب توفيق الى المامون ورد المأمون عليه

وفيهما كتب توفيق صاحب الروم الى المأمون يسأله الصلح، وبدأ بنفسه في كتابه. وقدمه بالكتاب الفصل وزير توفيق يطلب الصلح، وعرض الفدية.

وكانت نسخة كتاب توفيق الى المامون :

أما بعد، فإن اجتماع المختلفين على حظهما أولى بهما في الرأي مما عاد بالضرر عليهما، ولست حريا أن تدع لحظ يصل الى غيرك حظا تحوزه الى نفسك، وفي علمك كاف عن اخبارك، وقد كنت كتبت اليك داعيا الى المسالمة، راغبا في فضيلة المهادنة، لتضع أوزار الحرب عنا، ونكون لك واحد لك واحد وليا وحزبا، مع اتصال المرافق والفسح في المتاجر، وفك المسنأسر، وأمن الطرق والبيضة، فإن أبيت فلا ادب لك في الخمر، ولازخرف لك في القول، فاني لخائض اليك غمارها، أخذ عليك اسدادها، شأن خيلها ورجالها وان أفعل فبعد أن قدمت المعذرة، وأقمت بيني وبينك علم الحجة. والسلام.

فكتب اليه المامون :

أما بعد، فقد بلغني كتابك فيما سألت من الهدنة، ودعوت اليه من المودعة، وخطت فيه من اللين والشدة، مما استعطفت به، من شرح المتاجر واتصال المرافق، وفك الاسارى، ورفع القتل والقتال، فلولا ما رجعت اليه من أعمال التؤدة والاخذ بالحظ في تقليب الفكرة، والا اعتقد الرأي في مستقبله الا في استصلاح ماؤثره في معتقبيه، لجعلت جواب كتابك خيلا تحمل رجالا من أهل البأس والنجدة والبصيرة ينازعونكم عن ثكلكم وينتقربون الى الله بدمائكم، ويستقلون في ذات الله مانالهم من ألم شوكتكم، ثم أوص اليهم من الامداد، وأبلغ لهم كافيا من العدة والعناد، هم أظما الى موارد المنايا منكم الى السلامة من مخوف معرفتهم عليكم،

موعدهم احدى الحسنيين : عاجل غلبة، أو كريم منقلب، غير أنى رأيت أن أتقدم اليك بالموعظة التي يثبت الله بها عليك الحجة، من الدعاء لك ولمن معك الى الوحدانية والشريعة الحنيفية، فان أبيت ففدية توجب ذمة، وتثبت نظرة ، وان تركت ذلك، ففي يقين المعايينة لنعونتنا مايغنى عن الابلاغ في القول والاعراف في الصفة. والسلام على من اتبع الهدى.

الطبري : تاريخ 8 - 629

## 59 - وقعة عمورية

ودخلت الروم زبطرة سنة 223، فقتلوا وأسروا كل من فيها، وأخرجوهم فلما انتهى الخبر الى المعتصم قام من مجلسه نافرا، حتى جلس على الارض، وندب الناس للخروج، ووضع الاعطاء، وعسكر من يومه بموضع يعرف بالعيون من غربى دجلة، وقدم اشناس التركي على مقدمته، وخرج يوم الخميس لست خلون من جمادى الاولى سنة 223، ودخل أرض الروم، فقصد أرض عمورية، وكانت من أعظم مدائنهم. وأكثرها عدة ورجالا، فحاصرها حصارا شديدا.

وبلغ طاغية الروم فزحف في خلق عظيم، فلما دنا وجه المعتصم بالافشين في جيش عظيم، فلقى الطاغية، وأوقع به وهزمه، وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة، فأوفد طاغية الروم من قبله وفدا الى المعتصم يقول : ان الذين فعلوا بزبطرة ما فعلوا تعدوا أمرى، وأنا أبنيتها بمالي ورجالي، وأرد من أخذ من أهلها، وأخلى جملة من في بلد الروم من الاسارى، وأبعث اليك بالقوم الذين فعلوا بزبطرة على رقاب البطارقة.

وفتحت عمورية يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة 223، فقتل وسبى جميع من فيها وأخذ ياطس خال ملك الروم، وأخرب وأحرق كل ما اجناز به من بلادهم، وانصرف، فلما صار بأذنه حبس العباس ابن المأمون لما كان بلغه من المعصية والخلاف واجتماع من اجتمع اليه من القواد. ووجد له مائة الف وستة عشر ألف دينار، فأمر أن تفرق على الجند. ويؤمروا أن يلعنوه، فأحصوا، فوجدوا ثمانين ألف مرتزق، فدفع اليهم دينارين دينارين، وتم ذلك المعتصم من عنده، ودفع العباس الى الافشين مقيدا ليسيره، فلما صار يحمد رأس توفي، وقيل أن الافشين أطعمه طعاما كثير الملح في يوم شديد الحر، ومنعه الماء. فحمل الى منبج، فدفن بها، وسخط المعتصم على عجيف بن عنيسة لانه كان سبب معصيته. وحمله من



أذنة في الحديد الثقيل. في فيه لبود قد خيبت عليه. وفي عنقه غل عظيم. فلما  
صا. بموضع يقال له باعيناثا. على مرحلة من نصيبين. مات. ودفن بها. وسأل ابنه  
صالح بن عجيف أن لا ينسب إليه. وأن يدعى صالحا المعتصم ولعنه. وبريء منه.

اليقوبي : تاريخ 2 - 475



الباب الخامس

التنظيمات السياسية والادارية



## 60 - كيف ينظر المنصور الى منصب الخلافة

وذكر عمر بن شبة ان محمد بن عبد الوهاب المهلبى، حدثه، قال : سمعت اسحاق بن عيسى يقول : لم يكن أحد من بني العباس يتكلم فيبلغ حاجته على البديهة غير ابي جعفر وداود بن علي والعباس بن محمد.

وذكر عن أحمد بن خالد، قال : حدثني اسماعيل بن ابراهيم الفهري، قال : خطب المنصور ببغداد في يوم عرفة - وقال قوم : بل خطب في أيام منى - فقال في خطبته : أيها الناس، انما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه وتسيديته، وأنا خازنه على فيئه، أعلم بمشيئته، وأقسمه بارادته، وأعطيه بأذنه، قد جعلني الله عليه قفلاً، اذا شاء ان يفتحنى لاعطياتكم وقسم فيئكم وأرزاقكم فتحنى، واذا شاء أن يقفلني أقفلني، فارغبوا الى الله أيها الناس، وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم فيه من فضله ما أعلمكم به في كتابه، اذ يقول تبارك وتعالى : «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً» ان يوفقني للصواب ويسددني للرشاد، ويلهمني الرأفة بكم والاحسان اليكم، ويفتحني لاعطياتكم.

الطبري 8 - 89

## 61 - المأمون يدافع عن حقه في الخلافة

وكان يحيى بن أكثم يقول : كان المأمون يجلس للمناظرة في الفقه يوم الثلاثاء فإذا حضر الفقهاء ومن يناظره من سائر أهل المقالات ادخلوا حجرة مفروشة، وقيل لهم: انزعوا أخفافكم، ثم أحضرت الموائد، وقيل لهم : اصيبوا من الطعام والشراب وحددوا الوضوء، ومن خفه ضيق فلينزعه، ومن ثقلت عليه قلنسوته فليضعها ، فإذا فرغوا أتوا بالمجامر فبخروا وطيبوا، ثم خرجوا فاستدناهم حتى يدنوا منه، ويناضرهم أحسن مناظرة، وأنصفها وأبعدها من مناظرة المتجبرين، فلا يزالون كذلك الى أن

تزول الشمس، ثم تنصب المواثد الثانية فيطعمون وينصرفون، قال : فانه يوما لجالس اذ دخل عليه علي بن صالح الحاجب فقال : يا أمير المؤمنين ، رجع واقف بالباب عليه ثياب بيض غلاظ مشمرة ويطلب الدخول للمناظرة، فقلت : انه بعض الصوفية فأردت بأن أشير أن لا يؤذن له، فبدأ المأمون فقال : أتذن له، فدخل رجع عليه ثياب قد شمرها ونعله في يده، فوقف على طرف البساط فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال المأمون : وعليك السلام، فقال : أتأذن لي في الدنو منك ؟ قال : ادن، فدنا، ثم قال : اجلس، فجلس، ثم قال : أتأذن لي في كلامك ؟ فقال : تكلم بما تعلم أن لله فيه رضا، قال : أخبرني عن هذا المجلس الذي انت قد جلسته باجتماع من المسلمين عليك ورضا منك أم بالمغالبة لهم والقوة عليهم بسطانك ؟ قال : لم أجلسه باجتماع منهم ولا بمغالبة لهم، انما كان يتولى أمر المسلمين سلطان قبلي احمده المسلمون اما على رضا واما على كره فعقد لى ولاخر معي ولاية هذا الأمر بعده في اعناق من حضره من المسلمين، فأخذ على من حضر بيت الله الحرام من الحاج البيعة لى ولاخر معي فأعطوه ذلك اما طائعين واما كارهين، فمضى الذي عقد له معي على هذا السبيل التي مضى عليها، فلما صار الأمر الى علمت اني احتاج الى اجتماع كلمة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على الرضا، ثم نظرت فرأيت أني متى تخليت عن المسلمين اضطرب حبل الاسلام ومرج عهدهم، وانتقضت اطرافه، وغلب الهرج والفتنة ووقع التنازع، فتعطلت أحكام الله سبحانه وتعالى، ولم يحج احد بيته، ولم يجاهد في سبيله، ولم يكن لهم سلطان يجمعهم ويسوسهم، وانقطعت السبل، ولم يؤخذ للمظلوم من ظالم، فقامت بهذا الأمر حياة للمسلمين، ومجاهدا لعدوهم ، وضابطا لسبلهم، وأخذوا على أيديهم، الى أن يجتمع المسلمون على رجع تتفق كلمتهم على الرضا به فأسلم الأمر اليه، وأكون كرجل من المسلمين، وأنت أيها الرجل رسولي الى جماعة المسلمين، فمتى اجتمعوا على رجع ورضوا به خرجت اليه من هذا الأمر، فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وقام ، فأمر المأمون على ابن صالح الحاجب بأن ينفذ في طلبه من يعرف مقصده، ففعل ذلك ثم رجع وقال : وجهت يا أمير المؤمنين من اتبع الرجل فمضى الي مسجد فيه خمسة عشر رجلا في هيئته وزيه فقالوا له : لقيت الرجل؟ فقال: نعم! قالوا: فما قال لك؟ قال: ما قال لى الا خيرا ذكر انه ضبط أمور المسلمين الى أن تأمن سبلهم ويقوم بالحج والجهاد في سبيل الله ويأخذ للمظلوم من الظالم ولا يعطك الأحكام، فإذا رضي المسلمون برجل سلم الأمر اليه وخرج اليه منه، قالوا : ما نرى بهذا بأسا، وافترقوا، فأقبل المأمون على

يحيى فقال : كفيينا مؤنة هؤلاء بأيسر الخطب، فقلت : الحمد لله الذي الهك يا أمير المؤمنين الصواب والسداد في القول والفعل.

المسعودي : مروج 4 - 19

## 62 - رأي في الخلافتين الأموية والعباسية

وأما خلافة بني أمية، فكانت قد عظمت وتنفخ أمرها وعرضت ممتلكاتها، ولكن طاعتهم لم تكن كطاعة هؤلاء، كان بنو أمية في الشام، وكان ينو هاشم بالمدينة لا يلتفتون اليهم، وإذا دخل الرجل الهاشمي على الخليفة من بني أمية، أسمعه غليظ الكلام وقال له كل قول صعب.

وأما الدولة العباسية، فلم تبلغ طاعة الناس لها ما بلغت هذه الدولة، مع أن مدتها طالت حتى تجاوزت خمسمائة سنة، ومملكتها عرضت حتى أن بعضهم جبي معظم الدنيا، وستقع الاشارة الى ذلك عند الكلام على دولة بني العباس. وحاصل الدنيا في أيام الرشيد في حسبة جامعة تشتمل عليها كتب التاريخ يدل على ذلك. فأما اوائلم فجبوا شطرا صالحا من الدنيا وقويت شوكتهم كالمصور والمهدي والرشيد والمأمون والمعتصم والمعتضد والمتوكل. ومع ذلك، فلم تكن دلوتم تخلو من ضعف ووهن من عدة جهات، منها امتناع الروم عليهم، وقيام الحرب بينهم وبين ملوكها النصارى في كل سنة على ساق. ومع ذلك، فكانت جبايتها تستصعب عليهم، وملوكها لا يزالون علمي الامتناع منهم. وقد كان من أمر المعتصم وعمورية ما بلغك. ولعل طرفا منه يبلغك في هذا الكتاب، عند الكلام في الدولة العباسية.

ابن طباطبا : الفخري ص 25

## 63 - ادارة المنصور

ولما نكب أبو جعفر أبا أيوب في سنة ثلاث وخمسين ومائة قلد الخاتم الفضل بن سليمان الطوسي، وقلد كتابة الرسائل والسر، ابان ابن صدقة، وقلد ضياعه صاعدا مولاه، وفي صاعد ومطر مولى ابي جعفر، يقول أبو الأسد الأعرابي :

سألني فعندي حقيقة الخبر  
والخير يأتيك من يدي مطر  
ليس لانثى يدعى ولا ذكر  
كانه ادم أبو البشر

وسألك عن حمارى كيف حالهما  
لا خير في صاعد فتطلبه  
واي خير يأتيك من رجل  
ليس له غير نفسه نسب

وقلد ديوان خراج البصرة ونواحيها عمارة بن حمزة، وقلد ديوان خراج الكوفة وأرضها عمرو بن كيلخ في سنة خمس وخمسين ومائة، ثم صرفه عنه وقلده ثابت بن موسى، وحبس عمرو بن كيلخ، واستخلف ثابت محمد بن جميل لمصاهرة كانت بينه وبينه، وأمره بالعرض على المنصور اذا لم يحضر. فخف على قلب المنصور فأقام معه مقام ثابت، وكان ثبت يقول اذا مر به محمد ابن جميل فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وكان محمد بن جميل في غاية الحذف والخفة.

وقلد الربيع مولاة نفقاته والعرض عليه، وهو الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة، واسم ابي فروة كيسان مولى الحارث الحفار مولى عثمان بن عفان.

وكان يونس بن محمد شاربا شاطرا بالمدينة، فعلق أمة لقوم بالمدينة، فوقع عليها فجاءت بالربيع واستعبد، ولم يكن ليونس حال فيبتاعه، فابتاعه زياد بن عبد الله الحارثي خال أبي العباس، وأهداه اليه فخدمه وخف على قلبه، ثم خدم أبا جعفر فخص به.

ولما عزم المنصور على تقليد الربيع العرض عليه قال اجلس في بيتك حتى يأتيك رسولي، فاغتم لذلك، فصار اليه الرسول بدراعة وطيلسان وشاشية، فقال له البس هذا واركب بهذا الزي فركب، فأمر الفراش ان يطرح له مرفقة تحت البساط تقصيرا به عن منزله المهدي وعيسى بن علي لانه كان يطرح لهما مرفقتين ظاهرتين.

فلما وصل اليه قال له، قد وليتك الوزارة والعرض، ووليت ابنك الفضل الحجابة، فدخل عليه الربيع يوما والفضل يمشي خلفه، فأخذ الربيع بيده وقال ان الحاجب لا يمشي خلف انسان، فقال له المنصور بلى يا ربيع هذا معك أنت وحدك.

وكانت ارزاق الكتاب والعمال في زمان ابي جعفر للرؤساء ثلاثمائة درهم للرجل ونحو ذلك، وكذلك كانت في أيام بني أمية، وعلى ذلك جرت الى أيام المأمون، فان الفضل بن سهل وسع الجاري.

الجهشياري : كتاب انوزراء ص 88



## 64 - أول وزراء العباسيين

وكان أول من وقع عليه اسم الوزارة في دولة بني العباس أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمداني، مولى لسبيح، وكان في نفس أبي العباس منه شيء لأنه كان حاول في رد الأمر عنهم إلى غيرهم، فكتب أبو مسلم إلى السفاح يشير عليه بقتله، ويقول له : قد احل الله لك دمه، لأنه قد نكث وغير وبدل. فقال السفاح : ما كنت لافتتح دولتي بقتل رجل من شيعتي. لاسيما مثل أبي سلمة، وهو صاحب هذه الدعوة، وقد عرض نفسه، وبذل مهجته، وأنفق ماله. وناصر أمامه. وجاهد عدوه. وكلمه أبو جعفر أخوه وداود بن علي عمه في ذلك . وقد كان أبو مسلم كتب اليهما يسألهما أن يشيرا على السفاح بقتله، فقال أبو العباس : ما كانت لافسد كثير احسانه وعظيم. بلائه وصالح ايامه بزلة كانت منه، وهي خثرة من خطرات الشيطان. وغفلة من غفلات الانسان. فقالا له : فينبغي يا امير المؤمنين أن تحترس منه. فإننا لا نأمنه عليك، فقال : كلا انى لآمنه في ليلى ونهاري وسري وجهري ووحديتي وجماعتي فلما اتصل هذا القول من أبي العباس بأبي مسلم أكبره وأعظمه. وخاف من ناحية أبي سلمة أن يقصده بمكرهه، فوجه جماعة من ثقات أصحابه في أعمال الحيلة في قتل أبي سلمة، وقد كان أبو العباس يأنس بأبي سلمة ويسمر عنده. وكان أبو سلمة فكها ممتعاً اديباً عالماً بالسياسة والتدبير، فيقال : ان ابا سلمة انصرف ليلة من عند السفاح من مدينته بالانباروليس معه أحد، فوثب عليه أصحاب أبي مسلم فقتلوه .

المسعودي : مروج 3 - 284

## 65 - وزارة يحيى البرمكي

ولما تقلد هارون الخلافة دعى يحيى بن خالد ، وكان يخاطبه بالأبوة، وعلى ذلك أجره في خلافته، فقال له : يا أبتى أنت اجلسنتي هذا المجلس ببركة رأيك، وحسن تدبيرك ، وقد قلدتك أمر الرعية، وأخرجته من عنقي اليك، فاحكم بما ترى، واستعمل من شئت، واعزل من رأيت، وافرض من رأيت، واسقط من رأيت، فاني غير ناظر معك في شيء فكان يحيى وابناه الفضل وجعفر يجلسون للناس جلوسا عاما في كل يوم الى انتصاف النهار، ينظرون في أمور الناس وحوادثهم لا يحجب

أحد، ولا يلقى لهم ستر. وقام يحيى بالأمور، وكان يعرض على الخيزران، ويورد ويصدر عن أمرها، واحتقر القاطول، واستخرج نهرا سماه أبا الحيك، وأنفق عليه عشرين ألف ألف.

وقلد ثابت بن موسى ديوان العراقيين وخراج الشام، وأمر باجراء القمح على أهل الحرمين، وتقدم بحمله من مصر اليهم، وأجرى على المهاجرين والأنصار وعلى وجوه أهل الأمصار، وعلى أهل الدين والآداب والمروءات.

واتخذ كتاتيب لليتامى. وكانت الدواوين كلها الى يحيى بن خالد مع الوزارة سوى ديوان الخاتم، فإنه كان الى أبي العباس الطوسي.

وكان يحيى أول من أمر من الوزراء. وكان أول من زاد في الكتب : «وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله» وأنشأ في ذلك كتابا، وذكر فيه فضل الأنبياء عليهم السلام.

وكان الرشيد ساخطا على ابراهيم بن ذكوان الحراني. فحبسه وقبض أمواله، فحبسه يحيى في داره، وكفه عنه، وتلطف الى أن استكتبه لمحمد بن سليمان بن أبي جعفر، وكان يلي البصرة فأشخصه.

وأمرت الخيزران ان يقنك من كان تسرع الى خلع الرشيد، ودعا الى بيعة جعفر بن الهادي، فقال لها يحيى : أو خير من ذلك ؟ قالت : وما هو ؟ قال : يرمي بهم في نحور الأعداء ، فان دفعوا عن أنفسهم كان لهم في الدفع عنها شغل، وان أصابهم العدو كنت قد استرحت منهم، فأذنت له في ذلك، فتخلص القوم جميعا.

وكانت الكتب التي تنفذ من ديوان الخراج تؤرخ باسم يحيى بن خالد، ولم تكن تنفذ الا عن الخليفة.

وكان أبو العباس الطوسي يتعقد في ختم الكتب، فشكا يحيى الى الرشيد تأخر الكتب، فأمره ان يكايب العمال عن نفسه، وأمر كتابه ان يكتب عنه في المهم، وأن يؤرخ الكتب باسم الكاتب.

قال الفضل بن مروان : وأحسب الكاتب كان منصور بن زياد، وقرب يحيى بن خالد منصور بن زياد هذا واخته، حتى كان الناس ربما توسلوا به في حوائجهم.

وكان من كتأبه يوسف بن سليمان، وأبو صالح يحيى بن عبد الرحمن، ويحيى بن سليمان، ومحمد بن أعين، وعبد الله به عبدة.

وحكى ان أصحاب الحوائج كانوا يكثرون القعود على دكان، على باب يحيى ابن خالد. وكان يحيى إذا رآهم وقف عليهم، ولقيهم ببشر وطلاقة.

الجهشياري : كتاب الوزراء ص 143

## 66 - تقليد الفضل بن سهل سلطات واسعة

ولما استقامت الأمور للمأمون رد التدبير الى ذي الرياستين، ومضاهها على رأيه، وكتب الى طاهر وهرثمة بتسليم ما في أيديهما من العمل الى علي بن أبي سعيد، ابى خالة الفضل بن سهل، وكان يعرف بذى القلمين.

وكان علي بن ابي سعيد كريما متكبرا، قليل الضحك، وذكر الاصمعي انه اجتهد في أن يضحكه فما ضحك الا مرة متبسما، قال : ولقد اضحكت الرشيد ويحيى بن خالد فمن دونهما، قال وأمر لي مرة بطيلسان، فلما ألقاه الغلام علي، لزمته الذي كان علي بيدي جميعا، فقال لعلامه : ألبسه فوقه، فألقاه فوق طيلساني، فمسسته بيدي، فقال لي كأنه تسترقه ؟ قلت نعم. فأمر لي بطيلسان اصفق منه، فلما ذهب الغلام ليلقيه علي، أمسك الطيلسانين الأولين بيدي، فقال للغلام : ألبسه فوقهما، فألقاه علي، فقامت وعلي ثلاثة طيالسة، فتبسم حينئذ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم.

ثم قلد المأمون الحسن بن سهل خلفته، وأنفذه الى العراق، فلما خرج من حضرته خرج معه مودعا له، فلما بلغ غاية المشيع قال له : أذكر يا أبا محمد حاجة ان كان لك، فقال له، نعم يا أمير المؤمنين ، احفظ علي من قلبك ما لا أستطيع حفظه الا بك.

ولقب المأمون الفضل بن سهل «ذا الرياستين» ومعنى ذلك رئاسة الحرب ورئاسة التدبير، وعقد له على سنان ذي شعبتين، واعطاه مع العقد علما قد كتب عليه لقبه، فحمل العقد على بن هشام، وحمل العلم نعيم بن حازم.

وكان الفضل يؤمر مع الوزارة، وهو أول وزير لقب، وأول وزير اجتمع له اللقب والتأمير.

وذكر عيسى بن محمد بن حميد أنه رأى توقيعها بخط المأمون للفضل بن سهل: «أغنيت يا فضل بن سهل بمعاونتك اياي على طاعة الله، واقامة سلطاني، فرأيت ان اغنيك ، وسبقت الناس من الحاضر كان لي، والغائب كان عني، فأحببت أن

اسبق الى الكتاب لك بخطي، بما رأيته على نفسي، وأنا أساك الله تمامه، فان حولي وقوتي ومقدرتي وقبضي وبسطي به. لا شريك له، وقد اقطعتك السيب بأرض العراق، على حيازة تميم مولى أمير المؤمنين. عطاء لك ولعقبك، لما انت عليه من النزاهة عن أموال رعيتي، ولما قمت به من حق الله وحقى، فلم تأخذك في لومة لائم، ولم تراقب ذا سلطان ولا غيره، وقد جعلت لك بعد ذلك مرتبة من يقول في كل شيء فيسمع منه، ولا تتقدمك مرتبة أحد ما لزمك من أمرتك به، من العمل لله ولنبيه، والقيام بصلاح دولة انت ولي بقيامها، وجعلت ذلك كله لك بشهادة الله، وجعلته لك كفيلا على عهدي. وكتبت بخطى سنة ست وتسعين ومائة.

وكان ذو الرياستين يقول لكتابه : قاربوا بين الحروف، لئلا يسافر البصر سفرا بعيدا في حروف قليلة.

قال الفضل بن مروان : قال لي المأمون : جهدت بالفضل بن سهل الجهد كله أن أزوجه بعض بناتي، فأبى، وقال : لو سلبتني ما فعلت.

وكان الفضل بن سهل سخيا سريا، نبيل النفس، كثير الأفضال، يذهب مذاهب البرامكة في ذلك، وكان غليظ العقوبة اذا عاقب، مقدما اذا انكر، حسن الرجوع اذا استعطف، وكان حسن البلاغة، مستقلا بما يحتاج اليه من حل محله.

وحكى أنه كان ربما انكر على بعض اصحابه شيئا، فاذا تقرب اليه بخدمة او مناولة شيء، أو ملازمة، زال ما في نفسه.

الجهشياري : ص 250

## 67 - الوزارة عند العباسيين

فلما جاءت دولة بني العباس واستفحل الملك وعظمت مراتبه وارتفعت عظم شأن الوزير وصر اليه النيابة في انفاذ الحل والعقد وتعيينت مرتبته في الدولة وعنت لها الوجوه وخضعت لها الرقاب وجعل لها النظر في ديوان الحساب لما تحتاج اليه خطته من قسم الأعطيات في الجند، فاحتاج الى النظر الى جمعه وتفريقه وأضيف اليه النظر فيه ثم جعل لها النظر في القلم والترسيل لصون أسرار السلطان ولحفظ البلاغة لما كان اللسان قد فسد عند الجمهور وجعل الخاتم لسجلات السلطان ليحفظها من الذبايح والشياح ودفع اليه فصار اسم الوزير جامعا لخطتي السلف والقلم

وسائر معاني الوزارة والمعونة حتى لقد دعى جعفر بن يحيى بالسلطان أيام الرشيد اشارة الى عموم نظره وقيامه بالدولة ولم يخرج عنه من الرتب السلطانية كلها الا الحجابة التي هي القيام على الباب. فلم تكن له لاستنكافه عن مثل ذلك.

ابن خلدون

كتاب العبر ط. بيروت 1967 ص 422

## 68 - استعلامات المنصور

علي بن بريهة الهاشمي قال : قال صاحب عذاب أبي جعفر : دعاني أبو جعفر المنصور ذات يوم واذا بين يديه جارية صفراء وقد دعا لها بأنواع العذاب وهو يقول لها : ويلك اصدقيني فوالله ما أريد الا الالفة ولئن صدقتني لاصن الرحم ولاتابعن البر اليه، واذا هو يسألها عن محمد بن عبد الله وهي تقول : ما أعرف مكانه، ودعا بالدهق وأمر به فوضع عليها فلما كادت نفسها ان تتلف قال : أمسكوا عنها، وكره ما رأى وقال لاصحاب العذاب : ما دواء مثلها اذا صار الى مثل حالها ؟ قالوا : الطيب تشمه والماء البارد يصب على وجهها وتسقى السويق، فأمر لها بذلك وعالج بعضه بيده وقال لاصحاب العذاب : ألا أعلمتموني بما ينالها فأكف عنها ؟ قالوا : قد علمنا أنها لاتقوى على هذا ولكننا هبناك، فما زالوا يردون عليها نفسها حتى أفاق، وأعاد عليها المسألة فأبى الا الجحود، فقال لها: أتعرفين فلانة الحجامة؟ فأسود. وجهها وتغيرت، فقالت : نعم يا أمير المؤمنين تلك في بني سليم، قال : صدقت: هي والله أمتي ابتعتها بالملي وورقي يجري عليها؛ في كل شهر وكسوة شتائها وصيفها، أمرتها ان تدخل منازلكم وتحجمكم وتتعرف ثم قال : أوتعرفين فلانا البقال ؟ قالت : نعم هو في بني فلان. قال : هو والله جهاربي بخمسة دنانير أمرته ان يبتاع بها كل ما يحتاج اليه من البيوع فأخبرني ان أمة لكم يوم كذا وكذا من شهر كذا صلاة المغرب جاءت تسأله حناء وورقا، فقال لها : ما تصنعين بهذا ؟ فقالت : كان محمد بن عبد الله في بعض ضياعه بناحية البقيع وهو يدخل الليلة فأردنا هذا لنتخذ منه النساء ما يحتجن اليه عند دخول أزواجهن من المغيب، فأسقط في يدها واذعنت بكل ما أراد.

البيهقي : المحاسن والمساوئ - 148

قال ابراهيم بن السندي : بعث الى المأمون فأتيته فقال : يا ابراهيم اني اريدك لامر جليل والله ما شاورت فيه أحدا ولا أشار بك احد، فاتق الله ولا تفضخني . فقلت : ياسيدي لو كنت شر خلف الله ما تركت موضع قادح فكيف ونييتي في طاعة امير المؤمنين نية العبد الذليل لمولاه ؟ قال : قد رأيت ان اوليك خبر ما وراء باب داري فانظر ان تعمل بما يجب عليك لله جل عز وجل ولي ولا تراقب أحدا، فقلت : ياسيدي اني استعين بالله عز وجل على مرضاته ومرضاتك ، فبعثت اصحاب الاخبار في الارباع ببغداد فرفع الي بعضهم أن صاحب ربع الحوض أخذ امرأة مسلمة مع رجل نصراني من تجار الكوخ فافتدى نفسه بألف دينار، فرفعت اليه ذلك فدعا عبد الله بن طاهر فقال له : انظر في هذا الذي رفعه الي صاحب الخير، فقراه وقال : رفع يا امير المؤمنين اليك الكذب وتحملني على عمالي ؟ فكتبت رقعة دفعتها الي فتح الخادم ليوصلها اليه . قلت فيها : انما يحضر الاخبار في الأرباع المرأة والطفل وابن السبيل وغير ذلك، ولو كانت الاخبار لا ترفع الا بشهود عدوك ما صح خبر ولا كتب به، ولكن مجرى الاخبار ان يحضرها قوم على غير توطؤ، فان امرني امير المؤمنين أن لا أكتب اليه بخبر الا بعددك وبرهان فعلت ذلك، وعلى هذا فلا يرتفع في السنة خبر واحد. فلما قرأ الرقعة فكر فيها ليلته وجاءني رسوله مع طلوع الشمس، فأتيته من باب الحمام فلما رأيته قال : اطمان. وقام فصلى ركعتين أطال فيهما ثم سلم والتفت الي وليمس في المجلس غيري فقال : يا ابراهيم انما قمت للصلاة ليسكن بهرك ويقوى متنك ويفرخ روعك فتمكن في قعودك، وكنت قاعدا على ركبتي، فقلت : لا أضع قدر الخلافة يا سيدي ولا أجلس الا جلوس العبد بين يدي مولاه. ثم قام فصلى ركعتين دون الاوليين ثم قال : هذه رقعتك تحت رأسي قد قرأتها اربع مرات وقد صدقت في ما كتبت به ولكني امرؤ اداري عمالي مداراة الخائف وبالله ما أجد الي أن احملهم على المحجة البيضاء سبيلا، فاعمل على حسب ذلك ولن لهم تسلم منهم وفي حفظ الله اذا شئت. فانصرفت فدعوت اصحاب الاخبار فتقدمت اليهم في مداراة القوم والرفق بهم واللين لهم.

## 70 - الحجابة في عهد العباسيين

قال : وقال المهدي للفضل بن الربيع حين ولاه الحجابة : اني موليك ستر وجهي وكشفه فلا تجعل الستر بيني وبين الناس سبب اراقة دمائهم بعبوس وجهك في وجوههم فان لهم دالة الحرمة وحرمة الاتصاك وقدم أبناء الدعوة وثن بالاولياء واجعل للعامّة وقتا اذا وصلوا اعجلهم ضيقه عن التلبث والتمكث، وكان اول من حجبه الحسن بن عثمان ثم الفضل بن الربيع، وكان الهادي ولي حجبته الفضل بن الربيع بعد الربيع وقال له : لا تحجب عني الناس فان ذلك يزيك عني التزكية ولا تلق الى أمرا اذا كشفته وجدته باطلا فان ذلك يوهن الملك ويضر بالرعية.

قي : وقال الواثق لابن ابي دؤاد : من أولى الناس بالحجابة؟ فقال : مولى شفيق يصون بطلاقة وجهه من ولاه ويستعبد الناس لمولاه، فنظر الى ايتاخ وكان واقفا على رأسه فقال : قد ولاك أبو عبد الله الحجابة . فكان ايتاخ يعرف ذلك له وينقدم بين يديه الى أن يبلغ مرتبته.

وكان ليحيى بن خالد حاجب قبل الوزارة ، فلما صار الى الوزارة رأى كأنه تتأقلم عن حجابته فقيله له : لو اتخذت حاجبا غيره، قال : كلا . هذا يعرف اخواني القدماء، وقال الشاعر في مثله :

متى اذا نزل الوفود ببابه      سهك الحجاب مؤدب الخدام  
واذا رأيت شقيقه وصديقه      لم تر أيهما أخو الأرحام

البيهقي : المحاسن : 160

## 71 - مشاكل القضاء

ومما ينظر امير المؤمنين فيه من أمر هذين المصريين وغيرهما من الأمصار والنواحي اختلاف هذه الأحكام المتناقضة التي قد بلغ اختلالها أمرا عظيما في الدماء والفروج والأموال. فيستحل الدم والفرج بالحيرة. وهما يحرمان بالكوفة، ويكون مثلك ذلك الاختلاف في جوف الكوفة، فيستحل في ناحية منها ما يحرم في ناحية أخرى، غير أنه على كثرة الوانه نافذ على المسلمين في دمائهم وحرّمهم، يقضى به قضاة جائز امرهم وحكمهم. مع أنه ليس ممن ينظر في ذلك من أهل العراق وأهل الحجاز فريف الا قد لج بهم العجب بما في ايديهم، والاستخفاف بمن سواهم، فأقحمهم ذلك في الأمور التي يتبئخ بها من سمعها من ذوي الألباب.

اما من يدعي لزوم السنة منهم فيجعل ما ليس سنة سنة. حتى يبلغ ذلك به الى ان يسفك الدم بغير بينة ولا حجة على الأمر الذي يزعم انه سنة. واذا سئل عن ذلك لم يستطع ان يقول هريق فيه دم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ائمة الهدى من بعده. واذا قيل له: اي دم سفك على هذه السنة التي تزعمون؟ قال: مثل ذلك عبد الملك بن مروان أو أمير من بعض اولئك الأمراء. وانما يأخذ بالرأي فيبلغ به الاعتزام على رأيه أن يقول في الأمر الجسم من أمر المسلمين قولاً لا يوافق عليه أحد من المسلمين. ثم لا يستوحش لانفراده بذلك وامضائه الحكم عليه. وهو مقر انه رأى منه لا يحتج بكتاب ولا سنة.

فلو رأى أمير المؤمنين أن يأمر بهذه الأقضية والسير المختلفة فترفع اليه في كتاب، ويرفع معها ما يحتج به كل قوم من سنة أو قياس، ثم نظر في ذلك أمير المؤمنين وأمضى في كل قضية رأيه الذي يلهمه الله، ويعزم عليه عزماً وينهى عن القضاء بخلافه، وكتب بذلك كتاباً جامعاً، ولرجونا ان يجعل الله هذه الأحكام المختلطة الصواب بالخطأ حكماً واحداً صواباً، لرجونا أن يكون اجتماع السير قرينة لاجتماع الأمر برأي أمير المؤمنين وعلى لسانه، ثم يكون ذلك من أمام آخر الدهر ان شاء الله.

فأما اختلاف الأحكام، اما شيء ماثور عن السلف غير مجمع عليه، يديره قوم على وجه ويديره آخرون على وجه آخر. فينظر فيه الى أحق الفريقين بالتصديق، وأشبه الأمرين بالعدل، واما رأى أجراه أهله على القياس فاختلف وانتشر، بغلط في أصل المقايمة، وابتداء أمر على غير مثاله واما لطول ملازمته القياس، فان من أراد ان يلزم القياس ولا يفارقه أبداً في أمر الدين والحكم، وقع في الورطات، ومضى على الشبهات، وغمض على القبيح الذي يعرفه ويبصره، فأبى ان يتركه كراهة ترك القياس، وانما القياس دليل يستدل به على المحاسن، فاذا كان ما يقود اليه حسناً معروفاً اخذ به، واذا قاد الى القبيح المستنكر ترك. لان المبتغى ليس عين القياس يبغي. ولكن محاسن الأمور ومعروفها وما ألحق الحق بأهله. ولو أن شيئاً مستقيماً على الناس ومنقاداً حيث قيد لكان الصدق هو ذلك، ولا يعتبر بالمقاييس؛ فانه لو أراد ان يقوده الصدق لم ينقد له، وذلك ان رجلاً لو قال: اتأمرني ان اصدق فلا أكذب كذبة أبداً؟ لكان جوابه ان تقول: نعم. ثم لو التمس منه قول ذلك، فقال: أصدق في كذا وكذا؟ حتى تبلغ به أن يقول الصدق في رجب هارب استدله عليه



طالب ليظلمه فيقتله، لكسر عليه قياده. وكان الرأي له ان يتترك ذلك وينصرف الى المجمع عليه المعروف المستحسن .

ابن المقفع : رسالة الصحابة

## 72 - تحرى المأمون في القضاء

قال بشر بن الوليد : كان والله المأمون الملك حقا، ما رأيت خليفة قط كان الكذب عليه أشد منه على المأمون. وكان يحتمل كل آفة تكون بالانسان الا الكذب. قال : فقال لي يوما : صف لي أبا يوسف القاضي فاني لم اراه. فوصفته له، فاستحسن صفته وقال : وددت ان مثل هذا بحضرتنا فنتزن به، ثم أقبل على وقال : ما في الخلافة شيء الا وأنا احسن ان ادبره وأبلغ منه حيث اريد وأقوى عليه الا أمر اصحابك، يعني القضاة، وما ظنك بشيء يتخرج منه علي بن هشام ويتوقى سوء عاقبته ويكالب عليه الفقهاء وأهلك التصنع ؟ قال قلت : يا أمير المؤمنين ما ادري ما تقصده فأجيب عنه ؟ قال لكني أدريه وأدريك ولا والله ما تجيبيني عنه ولا فيه بجواب مقنع ! قال : ولينا رجلا اشترت به قضاء الابلية واجرينا عليه في الشهر الف درهم وما له صناعة ولا تجارة ولا كان له مال قبل ولا يتنا اياه .. وولينا رجلا آخر قضاء دمشق وأجرينا عليه ألف درهم في الشهر أشار به الى محمد بن سماعة، فأقام بها أربعة عشر شهرا، فوجهننا من يتبع امواله في السر والعلانية ويتعرف حاله، فأخبر انه وجد ما ظهر من ماله هذا المقدار من دابة وغلان وجارية وفرش وأثاث قيمته ثلاثة الاف دينار، وولينا رجلا أشار به الى فلان نهاوند فأقام بها اربعة وعشرين شهرا، فوجهننا من يتبع امواله فأخبرنا ان في منزله خدما وخصيانا بقيمة الف وخمسائة دينار سوى نتاج قد اتخذه، فهات ما عندك من الجواب ! فقلت : ما عندي يا أمير المؤمنين جواب. قال : ألم اعلمك ؟ ثم قال : وأكبر من هذا وأطم اني فزعت الى علي بن هشام في رجل أوليه القضاء فقال : قد أصبت واحدا والله يشهد انه سرني ورجوت ان يكون بحيث أحب، قلت : فاغد به على ، قال : افعل، ثم غدا ، فقلت : اين الرجل ؟ فقال : لم أجده في الفقه بالموضوع الذي يجب ان يتصل صاحبه بأمر المؤمنين. قال : فأنكرت عليه وأظهرت الغضب. فقال : يا أمير المؤمنين ان الرجل الذي ذكرته لك بالامس هو علي بن مقاتل وكان عندي من أهل العفاف والستر، فانصرفت بالامس على أن أحضره، فوجهت اليه وأنا لا أشك انه سيظهر الكراهية في

ما اراد له أمير المؤمنين وان كان يستبطن غيرها ويستعفى كفعل من يتصنع أو يكره ذلك بالحقيقة، فلما جاءني القيت اليه الذي اردته له فما تمالك أن وثب فتقبل رأسي، فعلمت انه لا خير عنده وأنه لو كان من أهل الفضل والخير لعد الذي دعى اليه احدى المصائب، فلم ار لنفسي ان احضره ولا أن يستعان بمثله، فقلت : جزاك الله خيرا عن امامك احسن ما جرى أمراً عن امامه وعن دينك ونفسك، قال بشر : فبهت وانقطعت ولم احر كلمة.. فقال : لا ولكن ان أردت العفيف النظيف الزاكي التقى الطاهر فقاضى الربى هو بالحجة التي فارقته عليها والله ما غير ولا بدل، فأما قولكم في يحيى بن أكثم فما ندرني ما عيبه الا أن ظاهره أنه اعف خلق الله عن الصفراء والبيضاء، ميك الينا من اموال الحشوية أربعمائة ألف دينار، فأبي نفس تسخو بهذا ؟

البيهقي : المحاسن - 151

### 73 - نظام البريد العباسي

قال ابو الفرج : يحتاج في البريد الى ديوان يكون مفردا ويكون الكتب المنفذة من جميع النواحي مقصودا بها صاحبه ليكون هو المنفذ لكل شيء منها الى الموضع المرسوم بالنفوذ اليه. ويتولى عرض كتب اصحاب البريد والأخبار في جميع النواحي على الخليفة او عمل جوامع لها. ويكون اليه النظر في امر الفرانقيين والموقعين والمرتبين في السكك وتنجز ارزاقهم وتقليد اصحاب الخرائط في سائر الأمصار. والذي يحتاج اليه في صاحب هذا الديوان هو ان يكون ثقة اما في نفسه او عند الخليفة القائم بالأمر في وقته. لان هذا الديوان ليس فيه من العمل ما يحتاج الى الكافي المتصفح، وانما يحتاج الى الثقة المتحفظ والرسوم التي يحتاج اليها من امر الديوان هي ما يقارب الرسوم التي بينها في غيره مما يضبط به اعماله واحواله. فأما غير ذلك من أمر الظرف ومواضع السكك والمسالك الى جميع النواحي، فاننا لم نذكره ، ولا غنى بصاحب هذا الديوان ان يكون معه منه ما لا يحتاج في الرجوع فيه الي غيره، وما ان سألته عنه الخليفة وقت الحاجة الى شخوصه وانفاذ جيش يهيم امره وغير ذلك مما تدعو الضرورة علم الطرق بسببه يوجد عتيدا عنده ومضبوطا قبله ولم يحتج الى تكلف عمله والمسألة عنه.

قدامة بن جعفر : كتاب الخراج

.. ان هذه الثغور منها برية تلقاها بلاد العدو وتقاربها من جهة البر ومنها بحرية تلقاها وتواجهها من جهة البحر ومنها ما يجتمع فيه الأمان وتقع المغازي من أهله في البر والبحر. والثغور البحرية على الاطلاق سواحل الشام ومصر كلها. والمجتمع فيه الأمان غزو البر والبحر الثغور المعروفة بالشامية. فلنبدأ بذكرها وهي طرسوس واذنه والمصيصة وعين زربة والكنيسة والهارونية وبياس ونقابلس. وارتفاعها نحو مائة الف دينار ينفق في مصالحها وسائر وجوه شأنها، وفي المراقب والحرس والفوائير والركاضة والموكلين بالدروب والمخايض والحصون وغير ذلك مما جانسه من الأمور والأحوال. ويحتاج الى شحنتها من الجند والصعاليك. وراتب مغازيها الصوائف والشواتي في البر والبحر في السنة على التقريب مائتا الف دينار، وعلى المبالغة يتسع ثلثمائة الف دينار. والذي يلقاها من بلاد العدو ويتصل بها اما من جهة البر فالغبار ويقرب منها الناظليق ومن جهة البحر سلوقية، وعواصم هذه الثغور وماوراءها الينا من بلدان الاسلام، وانما سمي كل واحد منها عاصما لانه يعصم الثغر ويمدده في اوقات النفير، ثم ينفر اليه من أهل انطاكية والجومة والقورس..

ثم نتبع ذلك بوصف أيام الغزوات ليكون علم ذلك محصلا محفوظا فنقول : ان اجهدها مما يعرفه اهل الخبرة من الثغريين ان تقع الغزاة التي تسمى الربيعية لعشرة ايام تخلو من ايار. بعد ان يكون الناس قد اربعوا دوابهم وحسنت احوال خيولهم فيقيمون ثلاثين يوما وهي بقية ايار وعشرة من حزيران، فانهم يجدون الكلاء في بلد الروم ممكنا وكان دوابهم ترتبع ربيعا ثانيا، ثم يقفلون، فيقيمون الى خمسة وعشرين يوما وهي بقية حزيران وخمسة من تموز حتى يقوى ويسمن الظهر ويجمع الناس لغزو الصائفة ثم يغزون لعشر تخلو من تموز فيقيمون الى وقت قفولهم ستين يوما. فأما الشواتي، فاني رأيتهم جميعا يقولون ان كان لا بد منها، فليكن مما لا يبعد فيه ولا يوغل، وليكن مسيره عشرين ليلة بمقدار ما يحمل الرجل لفرسه ما يكفيه على ظهره وان يكون ذلك في آخر شباط، فيقيم الغزاة الى أيام تمضي من اذار، فانهم يجدون العدو في ذلك الوقت اضعف ما يكون نفسا ودواب ويجدون مواشيهم كثيرة، ثم يرجعون ويربعون دوابهم يتسابقون .

قدامة : كتاب الخراج

فمن الأمور التي يذكر بها أمير المؤمنين ، أمتع الله به، امر هذا الجند من أهل خراسان فانهم جند لم يدرك مثلهم في الاسلام، وفيهم صفة بها يتم فضلهم ان شاء الله اما هـ فأهل بصر بالطاعة ، وفضل عند الناس، وعفاف نفوس وفروج، وكف عن الفساد وذلك للولاة فهذه حال لا نعلمها توجد عند احد غيرهم، وأما ما يحتاجون فيه الى النعمة من ذلك تقويم ايديهم ورأيهم وكلامهم، فان في ذلك القوم اخلاطا من رأس مفرط غاك. وتابع متحير شاك. ومن كان انما يصول على الناس بقوم لا يعرف منهم الموافقة في الرأي والقول والسيره، فهو كراكب الأسد الذي يوجل من رآه. والراكب أشد وجلا . فلو أن أمير المؤمنين كتب أمانا معروفا بليغا وجيزا محيطا بكل شيء يجب ان يعملوا فيه او يكفوا عنه، بالغا في الحجة قاصرا عن الغلو، يحفظه رؤساؤهم، حتى يقودوا به دهاءهم، ويتعبدوا به منهم من دونهم من عرض الناس، لكان ذلك ان شاء الله برأيهم صلاحا، وعلى من سواهم حجة، وعند الله عذرا، فان كثيرا من المتكلمين من قواد امير المؤمنين اليوم انما عامة كلامهم، فيما يأمر الأمر ويزعم الزاعم، ان امير المؤمنين لو أمر الجبال ان تنسير سارت ، ولو امر ان تستدير القبلة بالصلاة فعل ذلك، وهذا كلام قل ان يسمعه من كان مخالفا، وقلما يرد في سمع السامع الا احداث في قلبه ربيبة وشكا.

والذي يقول أهل القصد من المسلمين هو اقوى للامر، واعز للسلطان وأقمع للمخالف، وأرضى للموافق، وأثبت للعذر عند الله عز وجل.

ابن المقفع : رسالة الصحابة

وولى أبو جعفر أهل بيته البلدان، فولى اسماعيل بن على فارس، وسليمان ابن على البصرة، وعيسى بن موسى الكوفة، وصالح بن على قنسرين والعواصم والعباس بن محمد الجزيرة، وعبد الله بن صالح حمص، والفضل بن صالح دمشق. ومحمد بن ابراهيم الاردن، وعبد الوهاب بن ابراهيم فلسطين. والسرى بن عبد الله بن تمام بن العباس بن عبد المطلب مكة، وجعفر بن سليمان المدينة. ويحيى بن محمد الموصل ، ثم صرفه وولى ابنه جعفرا، وصير معه هشام بن عمرو .

وكان عماله من العرب يزيد بن حاتم المهليي، ومحمد بن الأشعث الخزاعي،  
 وزباد بن عبيد الله الحارثي، ومعن بن زائدة الشيباني، وخازم بن خزيمه التميمي.  
 وعقبة بن سلم الهنائي، ويزيد بن أسيد السلمي. وروح بن حاتم المهليي، والمسيب  
 بن زهير الضبي. وعمر بن حفص المهليي. والحسن بن قحطبة الطائي. وسلم بن  
 قتيبة الباهلي، وجعفر بن جنظلة البهراني. والربيع ابن زياد الحارثي، وهشام بن  
 عمرو التغلبي. فكان ينقل هؤلاء في أعماله لثقتهم به واعتماده عليهم. وكان عماله  
 من مواليه : عمارة بن حمزة، ومرزوقا ابا الخصيب، وواضحا، ومنارة، والعلاء، ورزينا،  
 وغزوان، وعطية، وصاعدا، ومريدا، وأسدا، والربيع.

اليعقوبي : تاريخ 2 - 384

## 77 - من وصية طاهر بن الحسين

### عند توليته لابنه عبد الله على ديار بكر

واعلم أنك جعلت بولايتك خازنا وحافظا ذراعيا. وانما سمي اهل عملك  
 رعيتك لأنك راعيهم وقيمهم تأخذ منهم ما اعطوك من عفوهم ومقدرتهم. وتنفقهم في  
 قوام أمرهم وصلاحهم. وتقويم أودهم. فاستعمل عليهم في كور عملك ذوى الرأي  
 والتدبير، والتجربة، والخبرة بالعمل . والعلم بالسياسة والعفاف ووسع عليهم في  
 الرزق . فان ذلك من الحقوق الأزمة لك فيما تقلدت وأسند اليك . ولا يشغلنك عنه  
 شاغل. ولا يصرفنك عنه صارف. فانك متى اثرتهم وقمت فيه بالواجب استدعيت به  
 زيادة النعمة من ربك، وحسن الاحدوثة في عملك واحترزت المحبة من رعيتك  
 واعنت على الاصلاح. فدرت الخيرات ببلدك. وفشت العمارة بناحيتك. وظهر  
 الخصب في كورك، فكثرت خراجك . وتوفرت اموالك . وقويت بذلك على ارتباط  
 جنودك، وارضاء العامة باضافة العطاء فيهم من نفسك. وكنت محمود السياسة.  
 ومرضى العدل في ذلك عند عدوك. وكنت في امورك كلها ذا عدل وقوة وآلة  
 وعدة. فنافس في هذا ولا تقدم عليه شيئا تجد مغبة امرك ان شاء الله. واجعل  
 في كل كورة من عملك أمينا يخبرك اخبار عما لك . ويكتب إليك بسيرهم وأعمالهم  
 حتى كأنك مع كل عامل في عمله معين لأموره كلها. وان أردت ان تأمره بأمر فانظر  
 في عواقب ما أردت من ذلك . فان رأيت السلامة فيه والعافية. ورجوت فيه حسن  
 الدفاع والنصح والصنع، فأمضه، والا فتوقف عنه. وراجع اهل البصر والعلم، ثم خذ فيه

عدته. فانه ربما نظر الرجل في أمر من أمره. قد واثاه على ما يهوى . فقواه على ذلك وأعجبه. وان لم ينظر في عواقبه أهلكه. ونقض عليه أمره .

فاستعم الحزم في كل ما أردت وباشره بعد عون الله بالقوة، وأكثر استخارة بك في جميع أمورك. وافرغ من عمل يومك ولا تؤخره لغدك، وأكثر مباشرته بنفسك. فان لغد أموراً وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذي أخرت. واعلم أن اليوم اذا مضى ذهب بما فيه. واذا أخرت عمله اجتمع عليك امر يومين، فشعلك ذلك حتى تعرض عنه. فاذا أمضيت لك يوم عمله. أرحت نفسك وبدنك، وأحكمت أمور سلطانك. وانظر أحرار الناس وذوى الشرف منهم. ثم استيقن صفاء طويتهم، وتهذيب مودتهم لك. ومظاهرتهم بالنصح والمحافظة على أمرك، فاستخلصهم، وأحسن اليهم، وتعاهد اهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة، فاحتمل مؤونتهم واصلح حالهم. حتى لا يجدوا لخلتهم مسا. وأفرد نفسك للنظر في أمور الفقراء والمساكين، ومن لا يفدر على رفع مظلمة النيك، والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه. فاسأل عنه أخفى مسألة. ووك بأمثاله اهل الصلاح من رعيتك، ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم اليك، لتتنظر فيها بما يصلح الله به أمرهم. وتعاهد ذوى البأساء وبتاماهم وأراملهم. واجعل لهم ارزاقاً من بيت المال اقتداءً بأمير المؤمنين اعزه الله في العطف عليهم والصلة لهم. ليصلح الله بذلك عيشهم. ويزرقتك به بركة وزيادة. وأجر للأضراء من بيت المال. وقدم حملة القراءان منهم والحافظين لأكثره في الجراية على غيرهم. وانصب لمرضى المسلمين دوراً تؤويهم. وقواماً يرفقون بهم. وأطباء يعالجون اسقامهم. وأسعفهم بشهواتهم ما لم يؤد ذلك الى سرف في بيت المال .

ابن طاهر : كتاب بغداد ص 31

## 78 - الأجر والاسعار

وذكر عن يحيى بن الحسن بن عبد الخالق، قال : كان ارزاق الكتاب والعمال أيام أبي جعفر ثلثمائة درهم، فلما كانت كذلك لم تزل على حالها الى ايام المأمون، فكان اول من سن زيادة الأرزاق الفضل بن سهل. فاما في ايام بني أمية وبني العباس فلم تزل الأرزاق من الثلثمائة الى ما دونها، كان الحجاج يجري على يزيد بن ابي مسلم ثلثمائة درهم في الشهر.

وذكر ابراهيم بن موسى بن عيسى بن موسى، أن ولاية البريد في الآفاق كلها

كانوا يكتبون الى المنصور أيام خلافته في كل يوم بسعر القمح والحبوب والادم، وبسعر كل مأكول، وبك ما يقضى به القاضي في نواحيهم ، وبما يعمل به الوالي وبما يرد بيت المال من المال، وكل حدث، وكانوا اذا صلوا المغرب يكتبون اليه بما كان في كل ليلة اذا صلوا الغداة، فاذا وردت كتبهم نظر فيها، فاذا رأى الأسعار على حالها امسك، وأن تغير شيء منها عن حالة كتب الى الوالي والعامل هناك، وسأل عن العلة التي نقلت ذاك عن سعره، فاذا ورد الجواب بالعلة تلتف لذلك برفقه حتى يعود سعره ذلك إلى حاله، وان شك في شيء مما قضى به القاضي كتب اليه بذلك، وسأل من بحضوره عن عمله، فان انكر شيئاً عمل به كتب اليه يوبخه ويلومه.

الطبري : تاريخ 8 - 95





الباب السادس

ملاح من الحياة

الاقتصادية والاجتماعية



## 79 - مداخيل الدولة في عهد الرشيد

وجدت في كتاب عمله ابو الفضل محمد بن أحمد بن عبد الحميد الكاتب، في أخبار خلفاء بني العباس، بخط ابي الفضل ، يقول : انفذ الى أبو القاسم جعفر بن محمد بن حفص رقعة، انتسخها من دواوين الخراج الكاتب، ذكر فيها ان أبا الوزير عمر بن مطرف الكاتب من أهل مرو، وأنه كان يتلقد ديوان المشرف للمهدي، وهو ولي عهد، ثم كتب له في خلافته، ولموسى ولهارون، وانه عمل في أيام الرشيد تقديرا عرضه على يحيى بن خالد، لما يحمل الى بيت المال بالحضرة من جميع النواحي، من المال والأمتعة ، نسخته :

أثمان غلات السواد :

ثمانون الف ألف، وسبعمائة ألف ، وثمانون ألف درهم.

أبواب المال بالسواد :

أربعة عشر الف ألف، وثمانمائة الف درهم.

الحلك النجرانية : مائتا حلة،

الطين للخنم : مائتان وأربعون رطلا.

كسكر :

أحد عشر ألف ألف وستمائة ألف درهم.

كور دجلة :

عشرون ألف ألف وثمانمائة ألف درهم.

حلوان :

اربعة الاف ألف وثمانمائة ألف درهم.

الأهواز :

خمسة وعشرون ألف ألف درهم.

السكر : ثلاثون ألف رطل.

فارس :

سبعة وعشرون ألف ألف درهم.

ماء الزبيب الأسود : عشرون ألف رطل.

الزمان والسفرجل : مائتا ألف وخمسون ألفا.

ماء الورد : ثلاثون ألف قارورة.

الانبيجات : خمسة عشر الف رطل.

الطين السيراقي : خمسون ألف رطل.

الزبيب - بالكر الهاشمي - ثلاثة اكرار.

كرمان :

اربعة آلاف ومائتا ألف درهم.

المتاع اليمني والخيصي : خمسمائة ثوب.

التمر عشرون ألف رطل.

الكمون مائة رطل.

مكران :

اربعمائة ألف درهم.

السند وما يليها :

احد عشر ألف ألف، وخمسمائة الف درهم.

الطعام بالفقيز الكيرخ : الف ألف قفيز.

الفيلة : ثلاثة افيلة.

الثياب الحشيشيه : ألفا ثوب .

الفوط : اربعة الاف فوطة.

العود الهندي : مائة وخمسون منا.

ومن سائر اصناف العود مائة وخمسون منا.

النعال : الفا زوج.

وذلك سوى القرنفل والجوزبوا.

### سجستان :

أربعة آلاف ألف، وستمائة الف درهم.  
الثياب المعينة : ثلاثمائة ثوب.  
الفانيد : عشرون ألف رطل.

### خراسان :

ثمانية وعشرون ألف ألف درهم.  
نقر الفضة، الامناء : ألفا نقرة.  
البرادين : أربعة آلاف برذون.  
الرقيف ألف رأس.  
المتاع : سبعة وعشرون ألف ثوب.  
الاهليلج : ثلاثمائة رطل.

### جرجان :

اثنا عشر الف ألف درهم.  
الابريسم : ألف منا .

### قومنس :

ألف ألف وخمسمائة الف درهم.  
نقر الفضة الامناء : ألفا نقرة.  
الاكسية : سبعون كساء.  
الرمان : اربعون ألف رمانة.

### طبرستان، والدوبان، ودينباوند :

سته آلاف ألف، وثلاثمائة ألف درهم.  
الفرش الطبري : ستمائة قطعة.  
الاكسية : مائتا كساء.  
الثياب : خمسمائة ثوب.  
المناديل : ثلاثمائة منديل.  
الجمامات : ستمائة جام.

السرى :

اثنا عشر ألف درهم.

الرمان : مائة ألف ألف رمانة.

الخوخ : ألف رطل.

أصفهان :

سوى خمتش ورساتيف عيسى واويس :

أحد عشر الف الف درهم

العسل : عشرون ألف رطل

الشمع : عشرون الف رطل.

همدان ودستبى :

أحد عشر ألف ألف وثمانمئة ألف درهم.

رب والريباس : ألف منا.

العسل الأروندي : عشرون ألف رطل

ما هي البصرة والكوفة :

عشرون الف ألف وسبعمائة الف درهم.

شهرزور وما يليها :

أربعة وعشرون ألف ألف درهم.

الموصل وما يليها :

أربعة وعشرون ألف ألف درهم.

العسل الابيض : عشرون ألف رطل.

الجزيرة والديارات والفرات :

اربعة وثلاثون ألف ألف درهم.

أذربيجان :

أربعة آلاف ألف درهم.

موقان وكرخ :

ثلاثمئة ألف درهم.

جیلان :

من الرقیف : مائة رأس.

القتر والطیلسان :

من العسل : اثنا عشر زقا.

ومن البزاة : عشرة بزاة.

ومن الاكسية : عشرون كساء.

أرمينية :

ثلاثة عشر ألف ألف درهم.

البسط المحفورة : عشرون بساطا.

الرقم : خمسمائة وثمانون قطعة.

المالح المنبوذ ما هي : عشرة آلاف رطل.

الطريخ : عشرة آلاف رطل.

البزاة : ثلاثون بازيا.

البغال : مائتا بغل.

قنسرین والعواصم :

أربعمائة الف وتسعون الف دينار

حمص :

ثلاثمائة ألف وعشرون الف دينار.

الزبيب : ألف راحلة.

دمشق :

اربعمائة الف وعشرون ألف دينار

الأردن :

سنة وتسعون ألف دينار.

فلسطين :

ثلاثمائة ألف وعشرون الف دينار

ومن جميع اجناد الشام من الزبيب : ثلاثمائة ألف رطل.

مصر :

سوى تنبیس ودمياط والاشمونين - فان هذه وقفت للنفقات ألف ألف. وتسع  
مائة وعشرون ألف دينار.

برقة :

ألف ألف درهم.

أفريقية :

ثلاثة عشر ألف ألف درهم

ومن البسط : مائة وعشرون بساطا.

اليمن :

سوى النياب - ثمانمائة ألف ، وسبعون ألف دينار

مكة والمدينة :

ثلاثمائة ألف دينار.



فذلك العين خمسة آلاف ألف دينار ، قيمتها حسب اثنين وعشرين درهما  
بدينار ... مائة ألف ألف درهم، وخمسة وعشرون ألف ألف. وخمسمائة ، وأثنان وثلاثون  
ألف درهم.

الورق : أربعمائة ألف ألف، وأربعة آلاف ألف. وسبعمائة ألف. وثمانية آلاف  
درهم.

يكون الورق مع قيمة العين - خمسمائة ألف ألف ، وثلاثين ألف ألف. وثلاثمائة  
ألف، واثنى عشر ألف درهم.

الجهشياري : كتاب الوزراء ص 227

## 80 - الجبايا في عهد المأمون

وكذلك وجد بخط احمد بن محمد بن عبد الحميد عمل بما يحمل الى بيت  
الملك ببغداد أيام المأمون، من جميع النواحي نقلته من جراب الدولة.



## غلات السواد :

سبع وعشرون ألف ألف درهم مرتين وثمانمائة ألف درهم ومن الحلك النجرانية مائتا حلة ومن طين الختم مائتان وأربعون رطلا.

## كنكر :

أحد عشر ألف ألف درهم مرتين وستمائة ألف درهم.

## كور دجلة :

عشرون ألف ألف درهم وثمانية دراهم.

## حلبوان :

أربعة الاف ألف درهم مرتين وثمانمائة ألف درهم .

## اللاهواز :

خمس وعشرون ألف درهم مرة ومن السكر ثلاثون الف رطل.

## فارس :

سبعة وعشرون ألف ألف درهم ومن ماء الورد ثلاثون ألف قارورة ومن الزيت الأسود عشرون ألف رطل.

## كرمان :

أربعة آلاف ألف درهم مرتين ومائتا ألف درهم ومن المتاع اليماني خمسمائة ثوب ومن النمر عشرون الف رطل.

## مكران :

أربعمائة ألف درهم مرة.

## السند وما يليه :

احد عشر ألف ألف درهم مرتين وخمسمائة الف درهم ومن العود الهندي مائة وخمسون رطلا.

## حجستان :

اربعة الاف ألف درهم مرتين ومن الثياب المعينة ثلاثمائة ثوب ومن الفانيذ عشرون رطلا.

خراسان :

ثمانية وعشرون ألف ألف درهم مرتين ومن نقر الفضة ألفا نقرة ومن البراذين اربعة الاف ومن الرقيق ألف رأس ومن المتاع عشرون ألف ثوب ومن الاهليج ثلاثون ألف رطل .

جرجان :

اثنا عشر ألف ألف درهم مرتين ومن الابرسيم الف شقة.

قومس :

ألف ألف درهم مرتين وخمسمائة ألف من نقر الفضة.

طبرستان والروبان ونهاوند :

سنة آلاف ألف درهم مرتين وثلاثمائة ألف من الفرش الطبري سنمائة قطعة ومن الاكسية مائتان ومن الثياب خمسمائة ثوب ومن المناديل ثلاثمائة ومن الجامات ثلاثمائة.

الري :

اثنا عشر ألف ألف درهم مرتين ومن العسل عشرون ألف رطل .

همدان :

أحد عشر ألف ألف درهم مرتين وثلاثمائة ألف ومن رب الرمان ألف رطل ومن العسل اثنا عشر ألف رطل .

ما بين البصرة والكوفة :

عشرة الاف ألف درهم مرتين وسبعمائة الف درهم.

ماسبذان والدينار :

أربعة آلاف ألف درهم مرتين.

شهرزور :

سنة الاف ألف درهم مرتين وسبعمائة الف درهم.

الموصل وما اليها :

اربعة وعشرون ألف ألف درهم مرتين ومن العسل الأبيض عشرون ألف ألف رطل.

أذربيجان :

أربعة آلاف ألف درهم مرتين.

الجزيرة وما يليها من أعمال الفرات :

أربعة وثلاثون ألف ألف درهم مرتين ومن الرقيق ألف رأس ومن العسل اثنا عشر ألف زق ومن البزاة عشرة ومن الأكسية عشرون.

أرمينية :

ثلاثة عشر ألف ألف درهم مرتين ومن القسط المحفور عشرون ومن الزقم خمسمائة وثلاثون رطلا ومن المسايح السور ما هي عشرة آلاف رطل ومن الصونج عشرة آلاف رطل ومن البغال مائتان ومن المهرة ثلاثون.

قنسرين :

أربعمائة ألف دينار ومن الزيت ألف حمل.

دمشق :

أربعمائة الف دينار وعشرون الف دينار.

الأردن :

سبعة وتسعون ألف دينار.

فلسطين :

ثلاثمائة ألف دينار وعشرة آلاف دينار ومن الزيت ثلاثمائة ألف رطل.

مصر :

ألف ألف دينار وتسعمائة ألف دينار وعشرون ألف دينار.

برقة :

ألف ألف درهم مرتين.

أفريقية :

ثلاثة عشر ألف ألف درهم مرتين ومن البسط مائة وعشرون.

اليمن :

ثلاثمائة ألف دينار وسبعون ألف دينار سوى المتاع.

الحجاز :

ثلاثمائة ألف دينار.

وأما الاندلس فالذي ذكره الثقات من مؤرخيها ان عبد الرحمان الناصر خلف في بيوت امواله خمسة الاف الف دينار مكررة ثلاث مرات يكون جملتها بالقناطير خمسمائة الف قنطار .

ورأيت في بعض تواريخ الرشيد ان المحمول الى بيت المال في ايامه سبعة الاف قنطار وخمسمائة قنطار في كل سنة فاعتبر ذلك في نسب الدول بعضها من بعض ولا تنكرن ما ليس بمعهود عندك ولا في عصرك شيء من امثاله فتضييق حوصلتك عند ملتقط الممكنات فكثير من الخواص اذا سمعوا امثال هذه الأخبار عن الدول السالفة بادر بالانكار وليس ذلك من الصواب فان احوال الوجود وال عمران متفاوتة ومن ادرك منها رتبة سفلى أو وسطى فلا يحصر المدارك كلها فيها.

ابن خلدون: المقدمة

ط. بيروت 1/318

## 81 - النقد عند العباسيين

وأنت دولة بني العباس فضرب أمير المؤمنين عبد الله بن محمد السفاح الدراهم بالأنبار وعملها على نقش الدنانير وكتب عليها السكة العباسية وقطع منها ونقصها حبة ثم نقصها حبتين.

فلما قام من بعده أبو جعفر المنصور نقصها ثلاث حبات وسميت تلك الدراهم ثلاثة أرباع قيراط لان القيراط أربع حبات فكانت الدراهم كذلك وحدثت الهاشمية على المثقال البصري فكان يقطع على المثاقيل الميالة الوازنة التامة فأقامت الهاشمية على المثاقيل والعنتق على نقصان ثلاثة أرباع قيراط مدة أيام أبي جعفر المنصور والى سنة ثمان وخمسين ومائة فضرب المهدي محمد ابن أبي جعفر فيها سكة مدورة فيها نقطة ولم يكن لموسى الهادي بن محمد المهدي سكة تعرف وتمادى الأمر على ذلك الى شهر رجب من سنة ثمان وسبعين ومائة فصار نقصانها قيراطا غير ربع حبة .

فلما صير أمير المؤمنين هارون الرشيد السكك الى جعفر بن يحيى البرمكي

كتب اسمه بمدينة السلام والمحمدية من الرى على الدنانير والدرهم وصير نقصان الدرهم قيراطا الا حبة.

وضرب المأمون دنانير ودرهم واسقط منها اسم اخيه محمد الأمين فلم تجز مدة وسميت الرباعيات وكان ضربه لذلك وهو بمر و قبل قتل أخيه.

وهارون الرشيد اول خليفة ترفع عن مباشرة العيار بنفسه وكان الخلفاء من قبله يتولون النظر في عيار الدرهم والدنانير بأنفسهم وكان هذا ما نوه باسم جعفر بن يحيى اذ هو شيء لم يتشرف به أحد قبله.

وأستمر الأمر كما ذكر الى شهر رمضان سنة أربع وثمانين ومائة فصار النقص اربعة قراريط وحبة ونصف حبة وصارت لا تجوز الا في المجموعة او بما فيها. ثم بطلت فلما قتل هارون الرشيد جعفرا صير السكك الى السندي ابن شاهك فضرب الدرهم على مقدار الدنانير وكان سيبك الدنانير في جميع ما تقدم ذكره سيبك الدرهم وكان خلاص السندي جيدا اشد الناس خلاصا للذهب والفضة.

فلما كان شهر رجب سنة احدى وتسعين ومائة نقصت الدنانير الهاشمية نصف حبة وما زال الأمر في ذلك كله عصرا تجوز المئات. ثم ردت الى وزنها حتى كان أيام الأمين محمد بن هارون الرشيد فصير دور الضرب الى العباس بن الفضل بن الربيع فنقش في السكة بأعلى السطر : ربي الله، ومن اسفلها : العباس بن الفضل.

فلما عهد الأمين الى ابنه موسى ولقبه الناطق بالحق المظفر بالله، ضرب الدنانير والدرهم باسمه وجعل زنة كل واحد عشرة ونقش عليه : خفيف.

كـكـ عـزـ و مـفـخـر  
فـلـمـوسـى المـظـفـر  
مـلـك خـصـ ذـكـرـه  
فـي الكـتـابـ المسـطـر

فلما قتل الأمين واجتمع الأمر لعبد الله المأمون لم يجد احدا ينقش الدرهم فنقشت بالمخراط كما تنقش الخواتيم.

وما برحت النقود على ما ذكر أيام المأمون والمعتمد والواثق والمتوكل. فلما قتل المتوكل وتغلبت الموالي من الأتراك وتناثر سلك الخلافة وتفتنت الدولة العباسية في الترف وقوى عامل كل جهة على ما يليه وكثرت النفقات وقلت المجابي بتغلب الولاة على الأطراف حدثت بدع كثيرة من حينئذ ومن جملتها غش الدرهم.

ويقال ان أول من غش الدرهم وضربها زيوفاً عبيد الله بن زياد حين فر من

البصرة في سنة اربع وستين من الهجرة ثم فشت في الامصار أيام دولة العجم من بني بويه وبني سلجوق. والله أعلم.

المقريزي : شذور العقود

## 82 - مقارنة بين الدولتين العباسيين والبيزنطية

أخبر الواقدي قال : مات رسول ملك الروم بدمشق في زمن معاوية. فوجد في جيبه لوح ذهب مكتوب فيه حفرا : اذا ذهب الوفاء نزل البلاء، واذا مات الاعتصام عاش الانتقام، واذا ظهرت الخيانات قلت البركات.

وجد في سيرة المعتصم ان باسيل ملك الروم أرسل اليه رسولا وكتب اليه : «من باسيل بن فلان - حتى انتسب الى ثلاثة آباء أو اربعة ملوك - الى اخيه المعتصم.

«ان الملوك لم تزل يغزو بعضها بعضا، ويعلو بعضها على بعض. وربما أتيت من وزراء السوء. وقد كان منا بيزطرة ما كان وتبينت وجه الخطأ فيه. وقد كنت لي بالصاع اصوعا فيما فعلت بجمورية. وأنا أسألك بالطينة المباركة التي أنت منها ان تنعم على باطلاق بطارقتي، فانهم مائة وخمسون بطريقا. وأنا أفندي كل واحد منهم بمائة من المسلمين. وقد تهادت الملوك قبلنا. وقد وجهت مع رسولي من الثياب الديباج المذهبة أربعين ثوبا، طول كل ثوب منها اربعون ذراعا في عرض عشرين». وذكر سائر ما أهدها وصفته، وأرسل بذلك بطريقا وخداما وجماعة معهما. فلما صلوا أخذ محمد بن عبد الملك الكتب وتوصل الى علم ما تضمنت، وردها بخواتيمها وقال : أمير المؤمنين مشغول عنها. فكانت الهدية موقوفة ستة اشهر ثم أذن للرسول فدخل على الملك، فلما رآه المعتصم قال : أرانا قد أضربنا بك لطول مقامك ! قال : كلا، ان طول المقام أوجب لي الذمام. ولم نزل نسمع من حكماؤنا ان ابطاء الرسول يؤذن بالنجاح. وما ضربي مقام قرب منك، واشهدني نعم الله عندك. فأعجب المعتصم بما ترجم له من كلام الرسول وقبل هديته.

فأقبل عليه محمد بن عبد الملك الزياد فقال له : كم خراج بلدكم ؟ قال : اقل من مائة ألف دينار. فقال محمد : هذا غلة بعض ضياع أمير المؤمنين. فقال الرسول : نحن احزم وأحكم في باب الخراج منكم. انتم تستخرجون من الناس مالا فتكسبون عداوتهم. وتوغرون صدورهم. ويسرق المالك عمالكم ويعطون عليه الأرزاق،

ثم يحمل من بلد الى بلد آخر. فيذهب ويتخرم في الطريق. وتحتاجون ان يسلم الى خزنة وحراس. ثم تخرجه الى رجالكم. ونحن جعلنا خراجنا رجالا، فكفينا هذه المؤنة، وصيرنا هذا المقدار الذي ذكرته لك رسماً للخراج لئلا يبطل اسمه، فأما عداوة الناس وحفظنا المال وكفينا ما أنتم فيه.

قال المؤلف : فسكت محمد بن عبد الملك الزيات، ولم يحر جوابا الى الرسول. وقد كان الجواب ممكنا والحجة متوجهة عليه والخطأ في القول لازما له. وذلك ان رجال الحرب بمثابة الجوارح التي لا يجوز ان تمرن بعمل من الأعمال، ولا مهنة من المهن غير اختطاف للأرواح وصيد الرجال وأعمال الحيلة في التسليم من اللقاء والكر والفر، وفي الإقامة والتحيز، فلما صارت الروم أهل تنائية واصحاب فدان وزراعة ومهن وصناعة، نشأ الابناء على ما عليه الآباء فركنوا الى الدعة وهابوا الحروب، ونكصوا عن نقاء الأعداء وصيد الرجال. وصاروا جمع العصا وخشوا الفلوس، فحينئذ صار الرجل الواحد من المسلمين لا يهاب لقاء الجمع الكثير من الروم، وله تسلط عليهم واقتدار على تفريق جماعتهم، هذا مضاف الى ما وعد الله به في كتابه من النصر، وان المائة منهم غالبية للمائتين، بعد ان زال حكم الواحد بعشرة رحمة وتخفيفا. ثم صار الملك منهم لا تتعلق به رغبة، اذ هو قليل المال، نزر الجباية. فلما احست الروم بعدم الرغبة امتنعت من الخطار بأنفسها، وقل من يعمل لآخرة منهم، وانما تخاطر التماسا للمثوبة والجزاء. وتحقق العلاج منهم أنه اذا أسر وحصل في بلاد الاسلام، يؤمر او يقود، ويعفى من كد التعب ودأب النصب ويصير بعد الذل عزيزا وبعد المهنة والاذلة وادعا مكرما. وصار ما بأيدي الروم من الضياع والاقطاع كأنما هو كالملك لهم، يرثه خلف عن سلف، والحق الذي لا يجب لغيره شيء فيه، وان غير او بدل على ما سنتهم الان جارية من البدل، فانما ينقل من مشتى الى مصيف أو ربيع الى خريف، وصار الملك اذا دعت ضرورة الى انتزاع ما في ايديهم كانوا العدو الحاضر المشارك في الدار، غير المأمون الضرر والغوائل، المطالب بالذحول والطوائف، الواضح الفساد العديم الرشاد، فكيف صار احكم من فعل المسلمين في الخراج ؟

وقد كنت اعرف عن الروم ان اخس الرتب والمنازل عندهم رتبة الكاتب وان الشاكري اجل رتبة منه، حتى علمت الان قلة احتياجهم الى من يحفظ الارتفاع ويحمل اعباء الملك. وتساوى كافتهم في البلادة. وقلة المعلوم. ولعمري ان نوازع الروم واغراضهم ودواعيهم وأوطارهم اقل من نفقات المسلمين ودواعيهم. ولو الزم ملك الروم من في بلاحة من المؤن والمغارم ما يلزم في بلاد المسلمين، لما قامت لهم قائمة،

ولاحتاجوا الى أحد امرين : اما اجتياح اموال رعاياهم، أوه التسلط على من يجاورهم. وحيازة ما في ايديهم اليهم. والرومي اذا تجمل قطع الثوب الديباج الذي من عمل زوجته وابنته وأخته، يقيم على لابسه عشرين سنة اذا صانه من البذلة. ولا عهد الرومي بالشرب والعصب، والمعلم، والذهب، والمصنف، والمنير، ولا باستعمال للرومي والاصبهاني، ولا برفيع التونى الذي يودع أنابيب الذهب والفضة، هذا ما لاعدد لملوكلهم به. فكيف لوضائعهم. والملك منهم وغيره يتساويان في اللباس : انما هو الطلى والديباج والمسده. واوانيهم الذهب والفضة. ولو ابتاع احد ملوكلهم قحفا خزفيا بمائة دينار يلحقه الصدع فلا يساوي درهمًا، أو من مخروط البلور ورفيع المحفور ما اذا بات نديا من الماء او النبيذ في غلافه تصدع وعادت القطعة التي تساوي ألف دينار بالنز اليسير من الثمن. وكذلك الزجاج المحكم والقلب سليم وغرائب الصيني من الصحن البلق والمشمشي والسواد والزمردي والخافقيات الفائقات والرشيدي الشفاف، وملح الطرائف، هذا ما لا يمتلكون على الأمر الأكثر، انما يهدى اليهم ويسمعون بذكره، فأما الفروش عندهم فمن صنعتهم ايضا. انما هي الديباج والطنافس والقطف. والبزبون فأما طميم القرقوبي، ومذهب الديبقي، ورفيع الخسرواني، فتفرد بملكه ملوك الاسلام. وأغذية الروم الشواء والصليق. وأكثرها في صيدهم مما في مروجهم من الطير والدواب. ولولا الاطالة لاستقصيت القول في المصارفة والهداية الى طرق اللؤم والنذالة التي جعلها الله وقفا عليهم دون الامم فهي فيهم جمعة كثيرة.

ابن الفراء : رسل الملوك 34

### 83 - شهادة عن النشاط التجاري

هذا مسلك التجار اليهود الرذانية الذين يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية والافرنجية والانديسية والصقلية. انهم يسافرون من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق برا وبحرا يجلبون من المغرب الخدم والجواري والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسمور والسيوف ويركبون من فرنجة في البحر الغربي فيخرجون بالفرما ويحملون تجارتهم على الظهر الى القلزم وبينهما 25 فرسخا. ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم الى الجار وجة ثم يمضون الى السند والهند والصين فيحملون من الصين المسك والعود والكافور والدار صيني وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحي حتى يرجعوا الى القلزم ثم يحملونه الى الفرما ثم يركبون في البحر الغربي. فربما عدلوا



بتجاراتهم الى القسطنطينية فباعوها من الروم. وربما صاروا بها الى ملك فرنجة فيبيعونها هناك وان شأؤوا حملوا تجاراتهم من فرنجة في البحر الغربي فيخرجون بانطاكية ويبسرون على الأرض ثلاث مراحل الى الجابية. ثم يركبون في الفرات الى بغداد ثم يركبون في دجلة الى الابلة. ومن الابلة الى عمان والسند والهند والصين كل ذلك متصل بعضه ببعض.

ابن خرد اديه:  
المسالك والممالك

#### 84 - التجار والحرب المدنية

-وفي هذه السنة ضعف أمر محمد، وأيقن بالهلاك، وهرب عبد الله بن خازم بن خزيمة من بغداد الى المدائن، فذكر عن الحسين بن الضحاك ان عبد الله بن خازم بن خزيمة ظهرت له التهمة من محمد والتحامل عليه من السفلة والغوغاء، فهم على نفسه وماله، فلحق بالمدائن ليلا في السفن بعياله وولده، فأقام بها ولم يحضر شيئا من القتال.

وذكر غيره ان طاهرا كاتبه وحذره قبض ضياعه واستئصاله. فحذره ونجا من تلك الفتنة وسلم، فقال بعض قرائبه في ذلك :

وما جين ابن خازم من رعا  
ولكن خاف صولة ضيغمي  
وأوباش الطغام من الانام  
هصور الشد مشهور العرام

فداع أمره في الناس، ومشى تجار الكرخ بعضهم الى بعض، فقالوا : ينبغي لنا أن نشكف امرنا لظاهر ونظهر له براءتنا من المعونة عليه، فاجتمعوا وكتبوا كتابا اعلموه فيه انهم اهلك السمع والطاعة والحب له، لما يبلغهم من ايثاره طاعة الله والعمل بالحق، والأخذ على يد المريب، وأنهم غير مستحلي النظر الى الحرب، فضلا عن القتال، وأن الذي يكون حربه من جانبهم ليس منهم. قد ضاقت بهم طرق المسلمين حتى ان الرجال الذين يلو عن حربه من جانبهم ليس منهم، ولا لهم بالكرخ دور ولا عقار، وانما هم بين طرار وسواط ونطاق، وأهل السجون. وانما مأواهم الحمامات والمساجد، والتجار منهم انما هم باعة الطريق يتجرون في محقرات البيوع، قد ضاقت بهم طرق المسلمين، حتى ان الرجل ليستقبل المرأة في زخمة

الناس فيلتتان قبل التخلص وحتى ان الشيخ ليسقط لوجهه ضعفا. وحتى ان الحامل الكيس في حوزته وكفه ليطر منه، وما لنا بهم يدان ولا طاقة، ولا نملك لانفسنا منهم شيئا، وان بعضنا يرفع الحجر عن الطريق بما جاء فيه من الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، فكيف لو اقتدرنا على من في اقامته عن الطريق، وتخليده السجن وتنفيته عن البلاد وحسم الشر والشغب ونفي الزعارة والطر والسرق، وصلاح الدين والدنيا، وحاش الله ان يحاربك منا أحد.

فذكر انهم كتبوا بهذا قصة، واتعد قوم على الانسلاخ اليه بها، فقال لهم اهل الرأي منهم والحزم : لا تظنوا ان ظاهرا غيبي عن هذا او قصر عن اذكاء العيون فيكم وعليكم، حتى كأنه شاهدكم، والرأي الا تشهروا انفسكم بهذا، فانا لا نأمن ان راكم احد من السفلة ان يكون به هلاككم وذهاب اموالكم، والخوف من تعرضكم لهؤلاء السفلة اعظم من طلبكم براءة الساحة عند ظاهر خوفا، بك لو كنتم من اهل الآثام والذنوب لكنتم الى صفحه وتغمده وعفوه اقرب، فتوكلوا على الله تبارك وتعالى وامسكوا. فأجابوهم وأمسكوا. وقال ابن ابي طالب المكفوف :

دعوا أهل الطريق فعن قليل	تخالهم مخاليب النسور
فتهتك حجب افئدة شداد	وشيكا ما تصير الى القبور
فان الله مهلكهم جميعا	بأسباب التمني والفجور

الطبري : 8 - 467

## 85 - اخبار الصين والهند

### لجغرافي مجهول من القرن الثالث الهجري

«وذكر سليمان التاجر ان بخانفو وهو مجتمع التجار رجلا مسلما يوليه صاحب الصين بين المسلمين الذين يقصدون الى تلك الناحية بتوخى ملك الصين ذلك. واذا كان في العيد صلى بالمسلمين. وان التجار العراقيين لا ينكرون من ولايته شيئا في احكامه وعمله بالحق وبما في كتاب الله عز وجل وأحكام الاسلام.

فأما المواضع التي يردونها ويرقون اليها فذكروا ان أكثر السفن الصينية تحمل من سيراف، وأن المتاع تحمل من البصرة وعمان وغيرها الى سيراف، فيعبي في السفن الصينية بسيراف وذلك لكثرة الأمواج في هذا البحر وقلّة الماء في مواضع منه. والمسافة بين البصرة وسيراف في الماء مائة وعشرون فرسخا، فاذا عبي المتاع

بسيراف استعذبوا منها الماء وخطفوا - وهذه لفظة يستعملها اهل البحر : يعني يقلعون - الى موضع يقال له مسقط، وهو آخر عمل عمان : والمسافة من سيراف اليه نحو مائتي فرسخ. وفي شرقي هذا البحر فيما بين سيراف ومسقط من البلاد سيف بني الصفاق وجزيرة ابركاوان. وفي هذا البحر جبال عمان، وفيها الموضع الذي يسمى الدردور وهو مضيق بين جبلين تسلكه السفن الصغار ولا تسلكه السفن الصينية. وفيها الجبلان اللذان يقال لهما كسير وعوير وليس يظهر منهما فوق الماء الا اليسير : فاذا جاوزنا الجبال صرنا الى موضع يقال له صحار عمان فنستعذب الماء من مسقط من بئر بها، وهناك فقة غنم من بلاد عمان، فتخطف المراكب منها الى بلاد الند، وتقصد الى كولم ملي، والمسافة من مسقط الى كولم ملي شهر على اعتاك الريح، وفي كولم ملي مسلحة لبلاد كولم ملي تجبى السفن الصينية ، وبها ماء عذب من آبار، فيؤخذ من الصينية ألف درهم، ومن غيرها من السفن ما بين عشرة دنانير الى عشرين دينار. وبين مسقط وكولم ملي وبين هر كند نحو من شهر، وبكولم ملي يستعذبون الماء. ثم تخطف المراكب - أي تقلع - الى بحر هر كند، فاذا جاوزوه صاروا الى موضع يقال له لنجبالوس. لا يفهمون لغة العرب ولا ما يعرفه التجار من اللغات. وهم قوم لا يلبسون الثياب بيض كواسج. وذكروا انهم لم يروا منهم النساء وذلك ان رجالهم يخرجون اليهم من الجزيرة في زواريق منقورة من خشبة واحدة، ومعهم النارجيك وقصب السكر والموز وشراب النارجيك : وهو شراب أبيض، فاذا شرب ساعة يؤخذ من النارجيك فهو حلو مئك العسل، فاذا ترك ساعة صار شرابا. وان بقي أياما صار خلا، فيبيعون ذلك بالحديد، وربما وقع اليهم العنبر اليسير فيبيعونه بقطع الحديد، وانما يتبايعون بالاشارة يدا بيد اذ كانوا لا يفهمون اللغة. وهم حذاف بالسباحة فربما استلبوا من التجار الحديد ولا يعطونهم شيئا.

ثم تخطف المراكب الى موضع يقال له كلاه بار : المملكة والساحل كل يقال له بار ، وهي مملكة الزايح متيامنة عن بلاد الهند، يجمعهم ملك، ولباسهم الفوط : يلبس السرى والدنى منهم الفوطة الواحدة. ويستعذبون هناك الماء من آبار عذبة، وهم يؤثرون ماء الآبار علي مياه العيون والمطر...».

أخبار الهند والصين

نشر جان سوفاجيه بازيس 1948

وخاطب كلا على قدر ابهته وجلالته وعلوه وارتفاعه وتفطنه وانتباهه. واجعل طبقات الكلام على ثمانية اقسام : فأربعة منها للطبقة العلوية. وأربعة دونها، ولك طبقة منها درجة ، ولك قسمة حظ، لا يتسع للكاتب البليغ ان يقصر بأهلها عنها، ويقلب معناها الى غيرها. فالطبقة العليا، الخلافة التي اعلى الله شأنها عن مساواتها بأحد من أبناء الدنيا في التعظيم والتوقير، والمخاطبة والترسل. والطبقة الثانية الوزراء والكتاب الذين يخاطبون الخلفاء بعقولهم والسنتهم. ويرتقون الفتوف بأرائهم، ويتجملون بأدابهم. الثالثة امراء ثغورهم، وقواد جيوشهم، يخاطب كل امرئ منهم على قدره، وبما حمل من أعباء امورهم، وجلالك اعمالهم. الطبقة الرابعة القضاة، فانهم وان كان لهم تواضع العلماء ، وحلية الفضلاء، فمعهم ابهة السلطنة، وهيبة الامراء.

وأما الطبقات الأربع الأخرى، فالملوك الذي اوجبت نعمهم تعظيمهم في الكتب، وافضاهم تفضيلهم فيها. والثانية وزراءهم وكتابهم واتباعهم، الذين تفرع ابوابهم، وبعنائيتهم تستماح اموالهم. والثالثة هم العلماء الذين يجب توقيهم في الكتب لشرف العلم وعلو درجة اهل القدر والجلالة، والظرف والحلاوة، والعلم والأدب، فانهم يضطرونك بحدة اذهانهم، وشدة تمييزهم وانتقادهم، الى الاستقصاء على نفسك في مكاتبتهم.

واستغنيا عن الترتيب للتجار والسوقه والعوام رتبة لاستغنائهم بتجارتهن عن هذه الآلات ، واشتغالهم بمهامهم عن هذه الأدوات.

ولك طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك ان تراعيها في مراستك اليهم في كتبك، وترن كلامك في مخاطبتهم بميزانهم، وتعطيه قسمه، وتوفيه نصيبه، فانك متى اضعت ذلك لم آمن عليك ان تعدل بهم غير طريقهم، وتجري شعاع بلاغتك في غير مجراه، وتنظم جوهر كلامك في غير سلكه. فلا معتد بالمعنى الجزل ما لم تلبسه لفظا جزلا لا تقابله كاتبتة، ومشاها لمن ارسلته. فان لباسك المعنى، وان شرف وصلاح، لفظا مختلفا عن قدر المكتوب اليه لم تجز به عاداتهم، تهجين للمعنى واخلاق بقدره.

ابراهيم بن المدبر : الرسالة العذراء.

الباب السابع

ملاح من الحياة الفكرية والثقافية



جاء في سير المنصور بالله أنه ورد عليه من طاغية الروم رسل كثير، بلغ من ذهاء بعضهم وفطنتهم ان أخذ المنصور من رأيه واستعمل مشورته. واجتهد بعضهم في الصاق عيب بالمنصور في محاورته، فألهم الله المنصور من سداد الجواب وبيان الحجة، ماليس في وسع احد أن ينطق به الا عن الهام وتوفيق.

أما الأول، فان المنصور أمر بعض ثقافته أن يطوف معه فيريه مدينته ويوقفه على مبانيه وممالكه. فلما نظر الى ذلك كله، واعاده الى المنصور قال للرومي : كيف رأيت ماشاهدت؟ قال: كل مارأيت جليل نبيل، الا ثلاثة أشياء. قال: ماهي : قال: النفس خضراء ولاخضرة لك، والماء حياة ولاحياة لك، وعدوك معك - يعني السوقة - وكانت السوق مخالطة لقصره. قال المنصور : اما الخضرة فاني خلقت للجد للهلزل. وأما الماء فحسبي منه بك الشفة وروى الصدى. وأما مجاورة العوام، فما أباي أن يطلع على سري خاصتي وعامتي لاني لاني فيه واحصنه. فلما انصرف الرسول تعقب الرأي وتبينه، فعلم ان الصواب فيما قاله الرسول. فعمر العباسية، وكان يطل عليها. واجرى من كرخايا وغيره ماجراه. ونقل السوق الى الكرخ.

وأما الرسول الآخر فانه طيف به أيضا، فرأى (على) الجسر خلقا من ذوي الزمانة والعاهة يتصدقون ويسألون. فقال الرسول للربيع، وكان معه. مافي ملك صاحبك عيب غير أمر هؤلاء الزماني. وقد كان يجب أن يراعي امرهم حتى لايجتمع عليهم - مع الزمانة - الفقر والمسألة. فقال الربيع : لم يذهب (ذلك) عنه، ولكن بيوت الأموال لاتتنسع لذلك. وبلغ المنصور ماجرى بينهما، فأغتاظ على الربيع. فلما حضره الرسول قال : بلغني مقالك للربيع أنفا، وليس الأمر على مااجابك به. وقد كان في مالي مايسعهم ويوفي على سد مفاقرهم، ولكن أمير المؤمنين فكر في أمرهم، فأحب الإ يستأثر على سائر رعيته من صحح الله جسمه. وبسط يده بملك الدنيا والآخرة وثوابها. فترك لهم سيلا الى الصدقة واصطناع المعروف، ونصيبا في ابتغاء الثواب بالافضال. فعقد العلاج ثلاثين وقال وقد أومى الى الأرض : قالون، قالون».

ابن الفراء : رسل الملوك - 39

## 88 - أجرة السفير العباسي

جاء في سيرة المعتصم بالله انه وجه رسولا إلى ملك الروم. فلما اجتمع الرسول بالملك ورأى الملك هيبة الرسول. وكثرة تجمله. وما صحبه من الرحل والالات التي لا يكون مثلها الا لعظماء الملوك قال له : كم ترزق من مال سلطانك؟ قال : ارتزق انا وولدي في كل شهر عشرين ألف درهم أو نحوها. قال : فتحت فتحا، قط. كان السلطان به معنيا؟ قال الرسول : لا قال الملك : نازلت رجلا مشهورا بالفروسية من اعداء سلطانك فقتلته مجاولة. قال الرسول: فاستنقذت خليفة أو ولى عهد وقد لجم في مضيق أو معركة لم يظن الخلاص منها. فوجد باقدامك وقد احجم نظراؤك فرجه؟ قال الرسول : لا . قال الملك : فبأي شيء تستحق هذا الرزق الكثير؟ قال الرسول للملك : ان للخلفاء خدما يتصرفون في انحاء الخدم. لك طائفة مذهب يجتوبون له ويحتملون عليه. لا يكلفون سواه. ولا يراد منهم غيره. فمنهم من يعد للفتوح فهو يلبس السلاح ويقود الجيوش . ومنهم من يعد للقضاء فهو يلبس المبردات والدينيات. ومنهم مثلى من يصلح ان توفده الخلفاء للملوك. ويتحمل سائلهم الى مثلك من اهل الجلالة والقدر. والسناء والذكر. فلولا ثقتهم بي. وعلمهم بمناصحتي وصدقي فيما اورد واودى. صادرا وواردا. لما راوني اهلا للتوجه فيما توجهت فيه اليك. وقليل لمثلى هذا الرزق مع هذا التحمل ومع (هذا) المحل من الخلافة. وهي من الجلالة على ماهي. فسكت سكوت معترف ولم يقل في ذلك شيئا

ابن الفراء: رسل الملوك 32

## 89 - اسراف البرامكة في بناء القصور

وذكر يعقوب بن اسحاق ان ابراهيم بن المهدي. قال : أتيت جعفر بن يحيى في داره التي ابتناها، فقال لي : اما تعجبت من منصور بن زياد ؟ قال : قلت فيماذا ؟ قال : سألته : هل ترى في داري عيبا ؟ قال : نعم، ليس فيها لبنة ولا صنوبرة، قال ابراهيم : فقلت : الذي يعيبها عندي انك انفقت عليها نحوا من عشرين الف درهم. وهو شيء لا منه عليك غدا بين يدي امير المؤمنين. قال : هو يعلم انه قد وصلني بأكثر من ذلك وضعف ذلك، سوى ما عرضني له. قال : قلت :



ان العدو انما يأتيه في هذا من جهة ان يقول : يا أمير المؤمنين . اذا انفق على دار عشرين الف درهم، فأين نفقاته! وأين صلاته! وأين النوائب التي تنوبه! وما ظنك يا أمير المؤمنين بما وراء ذلك! وهذه جملة سريعة الى القلب، والمواقف على الحاصل منها صعب. قال: ان سمع مني قلت: ان لامير المؤمنين نعماً على قوم قد كفروها بالستر لها أو باظهار القليل من كثيرها، وأنا رجل نظرت الى نعمته عندي، فوضعنا في رأس جبل، ثم قلت للناس : تعالوا فانظروا.

الطبري 291/8

## 90 - حركة شعبية لمقاومة الفساد

(ذكر خبر خروج المطوعة للذكير على الفساد)

وفي هذه السنة تجردت المطوعة للذكير على الفساد ببغداد، ورئيسهم خالد الديوش وسهل بن سلامة الانصاري ابو حاتم من أهل خراسان.

ذكر الخبر عن السبب الذي من أجله فعلت المطوعة ما ذكرت :

كان السبب في ذلك ان فساد الحربية والشطار الذين كانوا ببغداد والكرخ اذوا الناس اذى شديداً، وأظهروا الفسق وقطع الطريق واخذ الغلمان والنساء علانية من الطريق، فكانوا يجتمعون فيأذون الرجل فيأخذون ابنه، فيذهبون به فلا يقدر ان يمتنع، وكانوا يجتمعون فيأتون القرى، فيكاثرون اهلها، ويأخذون ما قدروا عليه من متاع ومال وغير ذلك، لا سلطان يمنعهم. ولا يقدر على ذلك منهم، لان السلطان كان يعتز بهم، وكانوا بطانته، فلا يقدر ان يمنعهم من فسق بركبونه، وكانوا يجيبون المارة في الطرق وفي السفن وعلى الظهر ويحفرون البساتين. ويقطعون الطرق علانية، ولا أحد يعدو عليهم، وكان الناس منهم في بلاء عظيم. ثم كان آخر امرهم انه خرجوا الى قطرب. فانتهبوا علانية. واخذوا المتاع والذهب والفضة والغنم والبقر والحمير وغير ذلك، وادخلوها بغداد. وجعلوا يبيعونها علانية، وجاء اهلها فاستعدوا السلطان عليهم، فلم يمكن اعداؤهم عليهم. ولم يرد عليهم شيئاً مما كان اخذ منهم. وذلك آخر شعبان.

فلما رأى الناس ذلك وما قد أخذ منهم . وما يبيع من متاع الناس في اسواقهم وما قد اظهروا من الفساد في الأرض والظلم والبغي وقطع الطريق، وان السلطان لا

يغير عليهم، قام صلحاء كل ريبض وكل درب، فمشى بعضهم الى بعض، وقالوا : انما في الدرب الفاسق والفساقان الى العشرة. وقد غلبوكم وأنتم اكثر منهم، فلو اجتمعتم. حتى يكون امركم واحدا . لقمعتم هؤلاء الفساق، وصاروا لا يفعلون ما يفعلون من اظهار الفسق بين اظهركم.

فقام رجل من ناحية طريق الانبار يقال له خالد الدريوش، فدعا جيرانه واهل بيته وأهل محلته على أن يعاونوه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأجابوه الى ذلك. وشد على من يليه من الفساق والشطار. فمنعهم مما كانوا يصنعون ، فامتنعوا عليه، وادوا قتله، فقاتلهم واخذ بعضهم وحبسهم ورفعهم الى السلطان . الا أنه كان لا يرى ان يغير على السلطان شيئا. ثم قام من بعده رجل من أهل الحربية، يقال له سهل بن سلامة الانصاري من أهل خراسان. يكنى أبا حاتم، فدعا الناس الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . والعمل بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. وعلق مصحفا في عنقه، ثم بدأ بجيرانه وأهل محلته، فأمرهم ونهاهم فقبلوا منه. ثم دعا الناس جميعا الى ذلك، الشريف منهم والوضيع، بنى هاشم ومن دونهم، وجعل له ديوانا يثبت فيه اسم من اتاه منهم. فبايعه على ذلك، وقاتك من خالفه وخالف مادعا اليه كائنا من كان، فأتاه خلق كثير، فبايعوه.

ثم انه طاف ببغداد واسواقها وارباضها وطرقها. ومنع كل من يخفر ويجبي المارة والمختلفة، وقال : لا خفارة في الاسلام - والخفارة انه كان يأتي الرجل بعض اصحاب البساتين فيقول : بستانك في خفري. اذفع عنه من اراد بسوء ، ولي في عنقك كل شهر كذا وكذا درهما، فيعطيه ذلك شائبا وأبيا - فقوى على ذلك الا أن الدريوش خالفه، وقال: أنا لأعيب على السلطان شيئا ولا أغيره ولا أقاتله. ولا أمره بشيء ولا نهاه. وقال سهل بن سلامة: لكني اقاتك كل من خالف الكتاب والسنة كائنا من كان، سلطانا أو غيره، والحق قائم في الناس اجمعين. فمن بايعني على هذا قبلته، ومن خالفني قاتلته.

الطبري : تاريخ 551/8

## 91 - رأي أحد المسؤولين عن «العمامة»

قال ثمامة صاحب الكلام : كان المأمون قد هم بلعن معاوية وان يكتب بذلك كتابا في الطعن عليه، قال : ففتاه عن ذلك يحيى بن اكنه وقال : يا امير المؤمنين

العامّة لا تحتكم هذا ولا سيما اهل خراسان ولا تأمن ان يكون لهم نفرة ونبوة لا تستقال ولا يدري ما تكون عاقبتها. والرأي ان تدع الناس على ما هم عليه ولا تظهر لهم انك تميل الى فرقة من الفرق فان ذلك اصلح في السياسة وأمن في العاقبة وأجرى في التدبير، فركن الى قوله . فلما دخلت عليه قال : يا ثمامة قد علمت ما كنا دبرناه في امر معاوية وقد عارضنا رأيي هو اصلح في تدبير المملكة وابقى ذكرا في العامّة. ثم اخبرني ان يحيى بن اكثم حذره واخبره بنفور العامّة عن مثك هذا الرأي. فقلت : يا امير المؤمنين والعامّة عندك في هذا الوضع الذي وضعها فيه يحيى. والله لو بعثت، اليها انسانا على عاتقه سواد ومعه عصا لساق اليك منها عشرة الاف ! والله يا امير المؤمنين ما رضى الله عز وجل ان سواها بالانعام حتى جعلها اضل سبيلا، فقال تبارك وتعالى : «أم تحسب أن أكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا». والله لقد مررت يا امير المؤمنين منذ ايام في شارع الخلد وأنا اريد الدار فاذا انسان قد بسط كساءه وألقى عليه ادوية وهو قائم ينادي : هذا الدواء للبياض في العين والغشاوة والظلمة وضعف البصر. وان احدى عينيه لمطموسة والاخرى مؤلمة، وقد تألبوا عليه واحتفلوا اليه، فنزلت عن دابتي ودخلت بين تلك الجماعة فقلت : يا هذا ارى عينيك احوج الاعين الى العلاج وانت تصف هذا الدواء وتخبر انه شفاء! فما بالك يا هذا لا تستعمله ؟ قال : انا في هذا الموضوع منذ عشرين سنة ما رايت شيئا قط اجهل منك ولا احمق ! قلت : وكيف ذلك ؟ قال : يا جاهل اندري اين اشتكت عيني ؟ قلت : لا . قال : بمصر، فأقبل على الجماعة فقلت : صدق والله انت جاهل، وهموا بي، فقلت : والله ما علمت ان عينه اشتكت بمصر. فتخلصت منهم بهذه الحجة. قال : فضحك المأمون وقال : ما لقيت من الله جل ذكره من سوء الثناء وقبح الذكر اكثر. قلت: أجل.

البيهقي : المحاسن والمساوي : 141

## 92 - الآراء عن الامامة

. والذي ذهب الى أن الامامة قد تجوز في قريش وغيرهم من الناس هو المعتزلة باسرها، وجماعة من الزيدية مثل الحسن بن صالح بن يحيى، ومن قال بقوله. على حسب ما قدمنا من ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب في اخبار هشام.

ويوافق الخوارج، فزعموا ان الامامة غير واجب نصبها. ووافقهم على هذا القول اناس من المعتزلة ممن تقدمه وتأخر، الا أنهم قالوا : ان عدلت الامة ولم يكن فيها فاسق لم يحتج الى امام، وذهب من قال بهذا القول الى دلائك ذكرها منها قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو أن سالما حي ما دخلتني فيه الظنون، وذلك حين فوض الأمر الى اهل الشورى. قالوا : وسالم مولى امرأة من الانصار، فلو لم يعلم عمر ان الامامة جائزة في سائر المؤمنين لم يطلق هذا القول ولم يتأسف على موت سالم مولى ابي حذيفة.

قالوا : وقد صح بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم اخبار كثيرة، منها قوله «اسمعوا واطيعوا ولو لعبد اجدع» وقد قال الله عز وجل : (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) .

وذهب ابو حنيفة . وأكثر المرجئة، وأكثر الزيدية من الجارودية وغيرها، وسائر فرق الشيعة والرافضة والراوندية، الى أن الامامة لا تجوز في قريش (فقط) لقول النبي صلى الله عليه وسلم «الامامة في قريش» وقوله عليه السلام «قدموا قريشا ولا تقدموها» ولما احتج المهاجرون به على الانصار يوم سقيفة بنى ساعدة من ان الامامة في قريش لأنهم اذا ولو عدلوا، ولرجوع كثير من الأنصار إلى ذلك ولما انفرد به أهل الامامة من أن الامامة لا تكون الا نصا من الله ورسوله على عين الامام واسمه واشتهاره كذلك، وفي سائر الأعصار لا تخلو الناس من حجة الله فيهم ظاهرا وباطنا، على حسب استعماله التقية والخوف على نفسه، واستدلوا بالنص على الامامة، وبدلائك كثيرة من العقول وجوامع من النصوص في وجوبها، وفي النص عليهم، من ذلك قوله عز وجل مخبرا عن ابراهيم (انى جاعلك للناس اماما) ومسألة ابراهيم بقوله (ومن ذريتي) وإجابته له بأنه (لاينال عهدي الظالمين) .

قالوا : ففيه تلونا دلائك على أن الامامة نص من الله، ولو كان نصها الى الناس ما كان لمسألة ابراهيم ربه وجه، ولما كان الله قد اعلمه انه اختاره، وقوله (لا ينال عهدي الظالمين) دلالة على أن عهده يناله من ليس بظالم.

ووصف هؤلاء الامام فقالوا : نعت الامام في نفسه ان يكون معصوما من الذنوب، لانه ان لم يكن معصوما لم يؤمن ان يدخل فيما يدخل فيه غيره من الذنوب، فيحتاج ان يقام عليه الحد، كما يقيمه هو على غيره، فيحتاج الامام الى امام، الى غير نهاية، ولم يؤمن عليه ايضا ان يكون في الباطن فاسقا فاجرا كافرا، وان

يكون اعلم الخليقة، لأنه إن لم يكن عالمًا لم يؤمن عليه أن يقلب شرائع الله واحكامه. فيقطع من يجب عليه الحد، ويحد من يجب عليه القطع، ويضع الأحكام في غير المواضع التي وضعها الله، وأن يكون اشجع الخلق، لأنهم يرجعون اليه في الحرب. فان جبن وهرب يكون (قد) باء بغضب من الله، وان يكون اسخى الخلق، لأنه خازن المسلمين وأمينهم، فان لم يكن سخيا تآقت نفسه الى أموالهم، وشرعت إلى ما في ايديهم، وفي ذلك الوعيد (الشديد) بالنار، وذكروا خلاصا كثيرة ينال بها أعلى درجات الفضل لا يشاركه فيها أحد، وان ذلك كله وجد في علي بن أبي طالب وولده رضى الله عنهم : في السبق إلى الايمان والهجرة والقرباة والحكم بالعدل والجهاد في سبيل الله والورع والزهد .. وان الله قد أخبر عن بواطنهم وموافقته لظواهرهم بقوله عز وجل، ووصفه لهم فيما صنعوه من الاطعام للمسكين واليتيم والأسير، وان ذلك لوجه تعالى خالصا ( لا أنهم ابدوه بألسنتهم فقط) واخبر عن أمرهم في المنقلب، وحسن الموتل، في المحشر ، ثم أخباره عز وجل عما اذهب عنهم من الرجس، وفعل بهم من التطهير، وغير ذلك مما أوردوه دلائل لما قالوه، وان عليا نص على ابنه الحسن، ثم الحسين، والحسين على علي بن الحسن، وكذلك من بعده الى صاحب الوقت الثاني عشر، على حسب ما ذكرناه وسمينا في غير هذا الموضوع من هذا الكتاب .

ولاهل الامامة من فرق الشيعة في هذا الوقت - وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة - كلام كثير في الغيبة واستعمال التقية، وما يذكرونه من ابواب الأئمة والأوصياء . لايسعنا ايراد في هذا الكتاب، اذ كان كتاب خبير، وانما تغلغل بنا الكلام الى ايراد لمع من هذه المذاهب والآراء.

المسعودي : مروج 3/236

### 93 - مبادئ المعتزلة

كان يزيد بن الوليد احوط، وكان يلقب ببيزيد الناقص، ولم يكن ناقصا في جسمه ولا عقله، وانما نقص بعض الجند من ارزاقهم، فقالوا : يزيد الناقص، وكان يذهب الى قول المعتزلة وما يذهبون اليه في الأصول الخمسة : من التوحيد، والعدل والوعيد، والأسماء، والأحكام، وهو القول بالمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وتفسير قولهم فيما ذهبوا اليه من الباب الأول - وهو باب التوحيد - وهو ما اجتمعت عليه المعتزلة من البصريين والبناديين وغيرهم، وان كانوا في غير ذلك من فروعهم متباينين، من أن الله عز وجل لا كالأشياء، وأنه ليس بجسم ولا عرض ولا عنصر ولا جزء ولا جوهر، بل هو الخالق للجسم والعرض والعنصر والجزء والجوهر، وان شيئاً من الحواس لا يدركه في الدنيا ولا في الآخرة، وأنه لا يحصره المكان، ولا تحويه الأقطار، بل هو الذي لم يزل ولا (له) زمان ولا مكان ولا نهاية ولا أحد، وأنه الخالق للأشياء المبدع لها لا من شيء، وأنه القديم، وان ما سواه محدث.

وأما القول بالعدل - وهو الأصل الثاني - فهو أن الله لا يجب الفساد، ولا يخلق أفعال العباد، بل يفعلون ما امروا به ونهوا عنه بالقدرة التي جعلها الله لهم وركبها فيهم وأنه لم يأمر الا بما أراد ولم ينه الا عما كره وأنه ولي كل حسنة أمر بها . بريء من كل سيئة نهى عنها ، لم يكلفهم مالا يطيقونه، ولا أراد منهم مالا يتقرون عليه، وان أحدا لا يقدر على قبض ولا بسط الا بقدرة الله التي أعطاهم اياها، وهو المالك لها دونهم، يفتيها اذا شاء، ويبقيها اذا شاء، ولو شاء لجبر الخلق على طاعته، ومنعهم عن معصيته، وكان على ذلك قادرا، غير أنه لا يفعل، اذ كان في ذلك رفع للمحنة، وازالة البلوى .

أما القول بالوعيد - وهو الأصل الثالث - فهو ان الله لا يغفر لمرتكب الكبائر الا بالتوبة وأنه لصادق في وعده ووعيده، لا مبدل لكلماته. وأما القول بالمنزلة بين المنزلتين - وهو الاصل الرابع - فهو أن الفاسق المرتكب للكبائر ليس بمؤمن ولا كافر، بل يسمى فاسقا، على حسب ما ورد التوقيف بتسميته وأجمع أهل الصلاة على فسوقه .

قال المسعودي : وبهذا الباب سميت المعتزلة، وهو الاعتزال وهو الموصوف بالاسماء والأحكام مع ما تقدم من الوعيد في الفاسق من الخلود في النار.

وأما القول بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - وهو الأصل الخامس - فهو ان ما ذكر على سائر المؤمنين واجب، على حسب استطاعتهم في ذلك، بالسيف فما دونه، وان كان كالجهد، ولا فرق بين مجاهدة الكافر والفاسق .

فهذا ما اجتمعت عليه المعتزلة ، ومن اعتقد ما ذكرنا من هذه الأصول الخمسة كل معتزليا، فان اعتقد الأكثر او الأقل لم يستحق اسم الاعتزال، فلا يستحقه الا باعتقاد هذه الأصول الخمسة، وقد تنوزع فيما عدا ذلك من فروعهم .

المسعودي : مروج 234/3

قد قدمنا في الكتاب الأوسط ما ذكرته الراوندية - وهم شيعة ولد العباس ابن عبد المطلب، من أهل خراسان وغيرهم - (من) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وان احق الناس بالامامة بعده العباس بن عبد المطلب، لانه عمه ووراثه وعصيته، لقول الله عز وجل «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» وأن الناس اغتصبوه حقه، وظلموه امره، الى أن رده الله اليهم، وتبرؤا من ابي بكر وعمر رضي الله عنهما، واجازوا بيعة على بن ابي طالب رضي الله عنه باجازته لها، وذلك لقوله : يا ابن أخي، هلم الى (ان) ابايعك فلا تختلف عليك اثنان، ولقول داود بن علي على منبر الكوفة يوم بويح لابي العباس : يا أهل الكوفة، لم يقيم فيكم امام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على بن ابي طالب، وهذا القائم فيكم - يعني أبا العباس السفاح.

وقد صنف هؤلاء كتبا في هذا المعنى الذي ادعوه هي متداولة في ايدي اهلها ومنتحليها، منها كتاب صنفه عمرو بن بحر الجاحظ، وهو المترجم بكتاب «امامة ولد العباس» يحتج فيه لهذا المذهب، ويذكر فعل ابي بكر في فدك وغيرها، وقصته مع فاطمة رضي الله عنها، ومطالبتها بارتها من ابيها صلى الله عليه وسلم، واستشهادها ببعثها وابنيها وأم أيمن، وما جرى بينها وبين ابي بكر من المخاطبة، وما كثر بينهم من المنازعة، وما قالت، وما قيل لها عن ابيها عليه السلام، من انه قال: «نحن معاشر الانبياء نرث ولا نورث» وما احتجت به من قوله عز وجل (وورث سليمان داود) على أن النبوة لا تورث، فلم يبق الا التوارث، وغير ذلك من الخطاب. ولم يصنف الجاحظ هذا الكتاب، ولا استقصى فيه الحجاج للراوندية، وهم شيعة ولد العباس، لأنه لم يكن مذهبه، ولا كان يعتقدده، لكن فعل ذلك تماجنا وتطريا .

المسعودي : مروج 252/3

## 95 - الخرمية وقتل ابي مسلم

ولما نسى قتل ابي مسلم الى خراسان وغيرها من الجبال اضطربت الخرمية وهي الطائفة التي تدعى بالمسلمية القائلون بأبي مسلم وامامته، وقد تنازعوا في ذلك بعد وفاته : فمنهم من رأى انه لم يمت ولن يموت حتى يظهر فيملا الأرض عدلا. وفرقة قطعت بموته وقالت بامامة ابنته فاطمة، وهؤلاء يدعون الفاطمية، واكثر

الخرمية في هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - الكردكية واللودشاهية وهاتان الفرقتان اعظم الخرمية، ومنهم كان بابك الخرمي الذي خرج على المأمون والمعتمد بالبديين من ارض الران واذربيجان. وسنأتي على خبره وخبر مقتله في أخبار المعتمد فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله، وأكثر الخرمية ببلاد خراسان والري واصبهان واذربيجان وكرج ابي دلف والبرج الموضع المعروف بالرد والورسجان ثم ببلاد الصيوان والصيبر واريوجان من بلاد ماسيدان وغيرها من تلك الامصار، وأكثر هؤلاء في القرى والضياع، وسيكون لهم عند انفسهم شأن وظهور يراعونه وينتظرونه في المستقبل من الزمان، ويعرفون هؤلاء بخراسان وغيرها بالباطنية، وقد اتينا على مذاهبهم وذكر فرقهم في كتابنا («المقالات» في اصول الديانات» وان كان قد سبقنا الى ذلك مؤلفو الكتب. في المقالات» فاجتمعت الخرمية - حين علمت بقتل ابي مسلم - (بخراسان، فخرج فيهم رجل يقال له بسنفاد من نيسابور يطلب بدم ابي مسلم) فسار في عسكر عظيم من بلاد خراسان الى الري، فغلب عليها وعلى قومس وما يليها، وقبض على ما كان بالري من خزائن ابي مسلم، فكثرت جمع بسنفاد بمن حوله من أهل الجبال وطبرستان، ولما اتصل خبر مسيرهم بالمنصور سرح اليه جهور بن مرار العجلي في عشرة آلاف رجل، وتلاه بالعساكر، فالتقوا بين همدان. والري على طرف المفازة، فاقتتلوا قتالا شديدا، وصبر الفريقان جميعا. فقتل بسنفاد، وولى اصحابه فقتل منهم ستون الفا وسبى منهم سبايا وذراري كثيرة. وكان بين خروجه الى مقتله سبعون ليلة، وذلك في سنة ست وثلاثين ومائة بعد قتل ابي مسلم بأشهر.

المسعودي : مروج 305/3

## 96 - شهادة عن الشعوبية

ولم أر في هذه الشعوبية أرسخ عداوة، ولا أشد نصبا للعرب، من السفلة والחסوة، وأوباش النبط وابناء اكرة القرى. فأما اشراف العجم وذوو الأخطار منهم وأهل الديانة، فيعرفون ما لهم وما عليهم، ويرون الشرف نسبيا ثابتا.

وقال رجل منهم لرجل من العرب : ان الشرف نسب، والشريف من كل قوم نسيب الشريف من كل قوم. وانما لهجت السفلة منهم بدم العرب، لان منهم قوما



تحلوا بحلية الادب، فجالسوا الاشراف، وقوما اتسموا بميمس الكتابة، فقربوا من السلطان، فدخلتهم الانفة لأدابهم، والغضاضة لاقدارهم، من لؤم مغارسهم، وخبث عناصرهم، فمنهم من الحق نفسه باشراف العجم، واعتزى الى ملوكهم، ودخل في باب فسيح لاحجاب عليه، ونسب واسع لا مدافع عنه. ومنهم من أقام على خساسة ينافخ عن لؤمه، ويدعي الشرف للعجم كلها، ليكون من ذوي الشرف، ويظهر بغض العرب ينتقصها، ويستفرغ مجهوده في مشاتمها، واطهار مثالبها، وتحريف الكلم في مناقبها، وبلسانها نطق، وبهممها انف، وبأدابها تسلم عليها، فان هو عرف خيرا ستره، وان ظهر حقره، وان احتمل التأويلات صرفه الى اقبحها. وان سمع سوءا نشره، وان لم يسمعه نفر عنه، ولن لم يجده تخرصه، فهو كما قال القائل :

ان يعلموا الخير يخفوه وان علموا شرا اذيع وان لم يعلموا بهتوا

ومن ذا رحمك الله صفا فلم يكن له عيب، وخلص فلم يكن فيه شوب.

وقيل لبعض الحكام : هل من أحد ليس فيه عيب ؟ فقال : لا، لان الذي ليس

فيه عيب هو الذي لا يموت.

وعائب الناس يعيبيهم بفضل عيبه، وينتقصهم بحسب نقصه، ويذيع عوراتهم ليكونوا شركاءه في عوراته. ولا شيء أحب للفاسق من زلة العالم، ولا الى الخامل من عثرة الشريف. قال الشاعر :

أياخذ عيب الناس من عيب نفسه مراد لعمرى ان اردت قسريب

وقال اخر :

وأجراً من رأيت بظهر عيب على عيب الرجال ذوو العيوب

وقد كان زياد بن ابي سفيان حين كثر طعن الناس عليه وعلى معاوية في استحقاقه عمل كتابا في المثالب لولده وقال : من غيركم فقرعوه بمنقصته، ومن ندد عليكم فأبهره بمثابته، فان الشر بالشر يتقى، والحديد بالحديد يفلح

وكان ابو عبيدة معمر بن المثنى اغرى الناس بمشاتم الناس، والهجم بمثالب العرب، وحاله في نسبه وابيه الاقرب اليه حاك نكره ان نذكرها، فنكون كمن أمر بأمر. ولم ياتمر وزجر عن القبيح ولم يزدجر، وهي مشهورة، ولكن كرهنا أن تدون في الكتب وتخلد على الدهر، ولا سيما وهو رجل يحمل عنه العلم ويحتج بقوله في القرآن. ومن أتعب قلباً وانصب فكراً ممن أراد أن يجعل الحسنه سيئة، والمنقبة

مُتَلَبَّة، ويحتاج لاجراج الباطك في صورة الحف فيقصد من المناقب ، لمثل قوس حاجب، يضحك منها ويزرى بها .

ابن قتيبة : كتاب العرب

## 97 - المهدي والزنادقة

وكان المهدي قد جد في طلب الزنادقة وغلظ في أمرهم، فقدم عليه بجماعة منهم في سنة ست وستين ومائة، واحضر معهم وضاح الشروى، وعبد الله بن أبي عبيد الله، وكان اخذه بمكة ، فأدخل على المهدي فقال ازنديق أنت ؟ قال نعم .  
وممن يعتقد الزندقة قوم يرون ان جحد ما يدينون به محذور، وان التقية غير جائزة، وقد دل هذا الخبر على أن عبد الله بن أبي عبيد الله منهم .

فقال له المهدي اقرأ فقراً «تباركت وعالموك بعظم الخلق» فأشار الربيع على المهدي بمطالبة ابيه بقتله، فقال المهدي لابي عبيد الله، اضرب عنقه، فتنحى كأنه يريد ان يفعل ذلك فارتعد، فقال له العباس بن محمد يا أمير المؤمنين : شيخ كبير وله حرمة، وبكفيك غيره ما اردته منه. وابو عبيد الله يقول لابنه ما بهذا ادبتك ، ولقد علمت كتاب الله عز وجل !

فأمر المهدي عبد الله بن أبي العباس الطوسي وكان يخلف اياه على الحرس بقتله، فلما تنحى ليقتل صاح يا أمير المؤمنين التوبة، فتعافك عنه المهدي، فقال عافية بن يزيد القاضي بالتوبة يا امير المؤمنين .

فأقبل عليه المهدي وقال والله ما الله اردت بذلك ! انزعوا عمامته، وجأوا في عنقه، فما زال يدفع ويوجأ في عنقه حتى أخرج .

وأمضى عبد الله بن أبي العباس ما امر به من قتله فقتل، ودفن ولم يستقبل به القبلة .

وأحضر في جملة من احضر من الزنادقة ابن لابي ايوب سليمان بن ايوب المكي، فأقر بالزندقة وتاب، فقبل المهدي توبته وامر باطلاقه، وذلك في سنة ست وستين ومائة .

الجهشياري : كتاب الوزراء ص 113

## 98 - تأديب الأمراء

قال الأحمر النحوي : بعث الي الرشيد لتأديب ولده محمد الأمين، فلما دخلت قال : يا أحمر، ان أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة، وطاعتك عليه واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين، اقرئه القرآن، وعرفه الآثار، وروه الأشعار، وعلمه السنن، وبصره مواقع الكلام وبداه، وامنعه الضحك الا في اوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم اذا دخلوا اليه، ورفع مجلس القواد اذا حضروا مجلسه. ولا تمرن بك ساعة الا وانت مغتنم فيها فائدة تفيده اياها من غير ان تخرف به فتميت ذهنه، ولا تمنع في مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة، فان اباهما فعليك بالشدّة والغلظة.

المسعودي : مروج 3/362

## 99 - من عادات ائمة الفقه

قال مطرف : قال مالك : قلت لامي : اذهب فاكتب العلم، فقالت، تعال فالبس ثياب العلم، فألبستني ثيابا مشمرة ووضعت الطويلة على رأسي، وعممتني فوقها، ثم قالت : اذهب فاكتب الآن.

وقال رحمه الله : كانت امي تعمني وتقول لي : اذهب الي ربيعة فتعلم من ادبه قبل علمه.

قال ابن القاسم : افضى بمالك طلب العلم الي ان نقض سقف بيته فباع خشبه، ثم مالت عليه الدنيا بعد..

قال انس بن عياض : جالست ربيعة، ومالك يومئذ يجلس معنا، وما يعرف الا بمالك اخي التضر، ثم زال حرصه على طلب العلم حتى صرنا نقول : النضر اخو مالك. وكان مالك حين طلبه يتبع ظلال الشجر ليتفرغ لما يريد . فقالت اخته لاييه : هذا اخي لا يأوي مع الناس، قال : يا بانية، انه يحفظ حديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم.

قال مالك : كان لي أخ في سن ابن شهاب، فألقى ابي علينا يوما مسألة، فأصاب أخي وأخطأت ، فقال لي ابي : الهتك الحمام عن طلب العلم، فغضبت وانقطعت الي ابن هرمز سبع سنين، وفي رواية ثمانني سنين، لم اخلطه بغيره..

وقال ابن هرمز يوماً لجاريته : من بالباب ؟ فلم تر الا مالكا. فرجعت فقالت له : ما ثم الا ذلك الأشقر. فقال لها دعيه ، فذلك عالم الناس.

وكان مالك قد اتخذ تباناً محشواً للجلوس على باب ابن هرمز يتقي به برد حجر هناك، وقيل : بك برد صحن المسحد، وفيه كان يجلس ابن هرمز.

قال مالك : ان كان الرجل ليختلف للرجل ثلاثين سنة يتعلم منه، فظننا انه يريد نفسه مع ابن هرمز ، وكان ابن هرمز استحلفه ان لا يذكر اسمه في حديث.

عياض : ترتيب المدارك 130/1

## 100 - نموذج من ثقافة أئمة الفقه

قال البهلول بن راشد وغيره : ما رأيت انزع باية من كتاب الله من مالك بن انس، مع معرفته بالصحيح والسقيم، والمعمول به من الحديث والمتروك، وميزه للرجال، وصحة حفظه وكثرة نقده، الى ما يؤثر عنه من الكلام في غير ذلك من العلوم: كرسالته، الى ابن وهب في الرد على اهل القدر ، وكقوله : جالست ابن هرمز ثلاث عشرة سنة، ويروى ست عشرة في علم لم ابته لاحد من الناس.

قال : وكان من اعلم الناس بالرد على اهل الأهواء، وبما اختلف فيه الناس.

وقال المهدي : اخبرني بعض نقاد المعتزلة من القرويين قال : أتيت مالك بن انس فسألته عن مسألة من القدر بحضرة الناس، فأوماً الى أن اسكت، فلما خلا المجلس قال لي : سل الآن، وكره ان يجيبني بحضرة الناس، قال : فزعم المعتزلي انه لم تبق له مسألة من مسائلهم الا سأله عنها، واجابه فيها، واقام الحجة على بطلان مذهبهم، حتى نفذ ما عند المعتزلي وقام عنه.

وتأليفه في الأوقات والنجوم، وأشاراته الى ما أخذ الفقه واصوله التي اتخذها اهل الأصول من اصحابه معالم اهتموا بها، وقواعد بنوا عليها. وغيره ممن ذكرنا لم يجمع هذا الجمع، ولا وصل هذا الحد مع استقلالهم بالفقه، ووصفهم بالعلم، ولكن فوق كل ذي علم عليهم، مع الثقة التامة، والتقوى. وشدة التحري في الحديث بالفتيا.

وبهذا الوجه احتج الشافعي على محمد بن الحسن في ترجيح علم مالك على علم ابي حنيفة، حين تناظرا في ذلك، فقال له الشافعي، : الانصاف تريد ام المكابرة؟ قال : الانصاف.

قال الشافعي : ناشدتك الله ! من اعلم بكتاب الله وناسخه ومنسوخه ؟

قال محمد بن الحسن : اللهم صاحبكم .

قال الشافعي : فمن اعلم بأقوال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال

له : اللهم صاحبكم .

قال الشافعي : القياس لا يكون الا بهذه الاشياء . فعلى اي شيء تقيس ؟ ثم

قال : اللهم صاحبكم .

قال الشافعي : فلم يبق الا القياس .

قال محمد : صاحبنا اقيس .

الشافعي : ونحن ندعى لصاحبنا مالا تدعونه لصاحبكم .

وفي رواية : وصاحبنا عليه القياس، ولكن كان يتوقى ويتحرى، ويريد الناسي

بمن تقدمه .

فرحم الله الشافعي ومحمد بن الحسن، فلقد انصفا، والذي قاله الشافعي هو

حق اليقين : فان الاجتهاد والقياس والاستنباط انما يكون على الأصول، فمن كان

اعلم بالأصول كان استنباطه اصح، وقياسه احق .

عياض : المداك ٨١/١

## 101 - رسالة مالك الى الليث بن سعد

«من مالك بن انس الى الليث بن سعد، سلام عليك، فاني احمد الله اليك الذي لا اله الا هو. اما بعد عصمنا الله واياك بطاعته في السر والعلانية، وعافانا واياك من كل مكروه. اعلم رحمك الله انه بلغني انك تفتني الناس بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندنا، وببلدنا الذي نحن فيه، وانت في امامتك وفضلك، ومنزلتك من اهل بلدك، وحاجة من قبلهم اليك، واعتمادهم على ما جاءهم منك، حقيق بان تخاف على نفسك، وتتبع ما ترجو النجاة باتباعه : فان الله تعالى يقول في كتابه العزيز : «والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار» . الآية، وقال تعالى : «فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه» الآية : فانما الناس تبع لأهل المدينة، اليها كانت الهجرة، وبها نزل القرآن، وأحل الحلال وحرم الحرام : إذ

رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم، يحضرون الوحي والتنزيل، ويأمرهم فيطيعونه، ويسن لهم فيتبعونه، حتى توفاه الله واختر له ما عنده. صلوات الله عليه ورحمته وبركاته.

ثم قام من بعده اتبع الناس له من امته ممن ولى الأمر من بعده، فما نزل بهم مما علموا انفذوه، وما لم يكن عندهم فيه علم سألوا عنه ثم اخذوا بأقوى ما وجدوا في ذلك في اجتهادهم وحدائث عهدهم، وان خالفهم مخالف. أو قال امرا غيره اقوى منه وأولى، ترك قوله، وعمل بغيره.

ثم كان التابعون من بعدهم يسلكون ذلك السبيل. ويتبعون تلك السنن. فإذا كان الأمر بالمدينة ظاهرا معمولا به لم ار لاحد خلافة. للذي في ايديهم من تلك الوراثة التي لا يجوز لاحد انتحالها ولا ادعاؤها.

ولو ذهب اهل الأمصار يقولون : هذا العمل الذي ببلدنا، وهذا الذي مضى منا. لم يكونوا من ذلك على ثقة، ولم يكن لهم من ذلك الذي جاز لهم.

فانظر - رحمك الله - فيما كتبت اليك فيه لنفسك. واعلم اني ارجو ان لا يكون دعائي الى ما كتبت به اليك الا النصيحة لله تعالى وحده. والنظر لك والظن بك ، فانزل كتابي منك منزله، فانك ان فعلت تعلم اني لم ألك نصحا .

وفقنا الله واياك لطاعته وطاعة رسوله في كل امر وعلى كل حال. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وكتب يوم الأحد لتسع مضي من صفر، . اتينا بها على وجهها لسرد فوائدها. وهي صحيحة مروية.

عياض : المدارك 1/41

## 102 - المذاهب الفقهية

وكذلك يلزم هذا طالب العلم في بدايته في درس ما اصله الا علم من هؤلاء وفرعه، وحفظه ما الفه وجمعه. والاهتداء بنظره في ذلك والميل حيث مال معه. إذ لو ابتدأ الطالب في كل مسألة يطلب الوقوف على الحق منها بطريق الاجتهاد عسر عليه ذلك، اذ لا يتفق له الا بعد جمع خصاله، وتناهي كماله، واذا كان بهذه السبل استغنى عن تقليد ارباب المذاهب . وكان من المجتهدين بنفسه. فسيبيله

ان يقلد من يعرفه ان هذا هو الحق، حتى اذا ادرك من العلم ما قبيض له. وحصل منه ما قسم الله له، وافلح وكان فيه محل للنظر والاجتهاد، انتقل الى ذلك وادركه.

فاذا تقررت هذه المقدمة فنقول :

قد وقع اجماع المسلمين في اقطار الأرض على تقليد هذا النمط، واتباعهم، ودرس مذاهبهم دون من قبلهم، مع الاعتراف بفضل من قبلهم وسبقه ومزيد علمه. لكن للعكس التي ذكرنا، وكفاية ما نخلوه وانتقوه من ذلك كما قدمنا.

ثم اختلفت الآراء والهمم في تعيين المقلد منهم بحسب ما عتقدوا فيه انه هو الإ علم والأولى بالاتباع إما من اعتقاد اعتقده، أو انتشار ذكره وثناء سمعوه، أو من اتباع له اعتمده واتبعوه. أو من تقليد لأبائهم وأهل بلادهم نشأوا عليه وألفوه .

فكان المقلدون المقتدى بمذاهبهم، اصحاب الاتباع في سائر الاقطار والبقاع

قبل كثرة :

مالك بن أنس بالمدينة، وأبو حنيفة والثوري بالكوفة، والحسن البصري بالبصرة على تقدم منه، والاوزاعي بالشام، والشافعي بمصر، وأحمد بن حنبل بعده ببغداد وكان لابي ثور هناك أيضا أتباع .

ثم نشأ ببغداد ابو جعفر الطبري. وداود الاصبهاني. فألّف الكتب. واختارافي المذاهب على رأي اهل الحديث، واطرح داود منها القياس . وكان لك واحد منهما اتباع.

وسرت جميع هذه المذاهب في الآفاق. فغلب مذهب مالك على الحجاز والبصرة ومصر وما والاها من بلاد أفريقية والاندلس وصقلية والمغرب الأقصى. الى بلاد من اسلم من السودان الى وقتنا هذا. وظهر ببغداد ظهورا كبيرا، وضعف بها بعد اربعمائة سنة، وضعف بالبصرة بعد خمسمائة سنة، وغلب من بلاد خراسان على قزوين وابهرا، وظهر بنيسابور أولا. وكان بها وبغيرها له ائمة ومدرسون سنذكر منهم بعد في طبقاتهم من الهم الله اليه. وكان ببلاد فارس. وانتشر باليمن وكثير من بلاد الشام .

وغلب مذهب ابي حنيفة على الكوفة. والعراق وما وراء النهر. وكثير من بلاد خراسان الى وقتنا هذا. وظهر بأفريقية ظهورا كثيرا الى قريب من اربعمائة عام، فانقطع منها. ودخل منه شيء ما وراءها من المغرب قديما بجزيرة الاندلس . وبمدينة فاس.

وغلب مذهب الأوزاعي على الشام وعلى جزيرة الأندلس أولاً. إلى أن غلب عليها مذهب مالك بعد المائتين، فانقطع منها.

وأما مذهب الحسن والثوري فلم يكثر اتباعهما ولم يظل تقليديهما، وانقطع مذهبهما عن قريب.

وأما الشافعي فكثر اتباعه وظهر مذهبه ظهور مذهبي مالك وأبي حنيفة قبله. وكان أول ظهوره بمصر، وكثر أصحابه بها مع المالكية. ثم بالعراق وبغداد، وغلب عليها وعلى كثير من بلاد خراسان، والشام، واليمن، إلى وقتنا هذا. ودخل (ما) وراء النهر وبلاد فارس، ودخل شيء منه بلاد أفريقية والأندلس باخرة بعد الثلاثمائة.

وأما مذهب أحمد بن حنبل فظهر ببغداد، ثم انتشر بكثير من بلاد الشام وغيرها وضعف الآن.

وأما أصحاب الطبري وأبي ثور، فلم يكثروا ولا طالت مدتهم، وانقطع اتباع أبي ثور بعد ثلاثمائة، واتباع الطبري بعد أربعمائة.

وأما داود فكثر اتباعه، وانتشر ببغداد وبلاد فارس مذهبه، وقال به قوم قليل بأفريقية والأندلس، وضعف الآن.

فهؤلاء هم الذين وقع إجماع الناس على تقليدهم مع الاختلاف في أعيانهم. واتفاق العلماء على اتباعهم والاعتداء بمذاهبهم، ودرس كتبهم والتفقه على ما أخذهم، والبناء على قواعدهم، والتفريع على أصولهم، دون غيرهم ممن تقدمهم أو عاصروهم للعكس التي ذكرناها.

وصار الناس اليوم في أقطار الدنيا إلى خمسة مذاهب: مالكية، وحنفية، وشافعية، وحنبلية، وداودية، وهم المعروفون بالظاهرية.

فحق على طالب العلم، ومريد تعرف الصواب والحق، أن يعرف أولاهم بالتقليد، ليعتمد على مذهبه، ويسلك في التفقه سبيله.

عياض : المدارك 1/63

## 103 - موازنة بين المذاهب الفقهية

أما أبو حنيفة والشافعي فيسلم لهما حسن الاعتبار، وتدقيق النظر والقياس وجودة الفقه والإمامة فيه، لكن ليس لهما إمامة في الحديث ولا معرفة به ولا استقلال



بعلمه، ولا يدعيانه ولا يدعى لهما . وقد ضعفهما فيه اهل الصنعة. وهذا اهل الصحيح لم يخرجنا عنهما منه حرفا. ولا لهما في اكثر المصنفات ذكر. وان كان الشافعي متبعا للحديث ومفتشاع السنن. لكن بتقليد غيره. والاحتمال على رأى سواه. والاعتراف بالعجز عن معرفته. فقد كان يقول لابن مهدي وابن جنبل : انتما اعلم بالحديث مني. فما صح عندكما تعرفاني به لأخذ به. وهذه درجة تقصر عن درجة الاجتهاد العلية، وأين يجد المجتهد في كل حين اماما في الحديث. اذا لم يتبحر فيه. او في علم القرآن اذا لم يستقل به. يسأل هك لنازلته التي ينظر فيها اصل فيهما ام لا ؟ ولا سيبك الى انكار امامتها في الفقه جملة.

وللشافعي في تقريب الاصول. وتمهيد القواعد. وترتيب الأدلة والمآخذ وبسطه ذلك. ما لم يسبقه اليه من قبله وكان فيه عليه عيالا كل من جاء بعده. مع التفنن في علم لسان العرب. والقيام بالخبر والنسب. وكل ميسر لما خلق له.

كما ان احمد وداود من العارفين بعلم الحديث. ولا تنكر امامة احد منهما فيه. لكن لا تسلم لهما الامامة في الفقه. ولا جودة النظر في مأخذه. ولم يتكلما في نوازل كثيرة كلام غيرهما. وميلهما مع المفهوم من الحديث . لكن داود نهج اتباع الظاهر. ونفى القياس. فخالف السلف والخلف. وما مضى عليه عمل الصحابة فمن بعدهم. حتى قال بعض العلماء : ان مذهبه بدعة ظهرت بعد المائتين وحتى انكر عليه ذلك اسماعيل القاضي أشد انكارا. واذا لم يقل بالقياس، وهو أحد أركان الاجتهاد فيما يجتهد فعلام فيما لم ينص عليه، يعتمد، وليس تقصير من قصر منهم في فن بالذي يسقط رتبته عن الآخر، ولكل واحد منهم من الفضائل والمناقب ما حشيت به الصحف، ونقله السلف والخلف، لكن نقص ركن من أركان الاجتهاد يخل به على كل حال، والله ولي الارشاد .

عباس : ترتيب المدارك 1/85

## 104 - التحري في استعمال الحديث

قال ابن وهب :

قال مالك سمعت من ابن شهاب احاديث كثيرة ما حدثت بها قط، أو حدثت بها . قال الفروي : فقلت له: لم ؟ قال : ليس عليها العمل.

قال عتيق بن يعقوب :

قال لي مالك : اخذت من ابن شهاب عشرة قناديق . في بطونها وظهورها ، ان  
منها أشياء ما حدثت بها منذ اخذتها بالمدينة .

وقال رجل لمالك :

ان الثوري حدثنا عنك في كذا . فقال : اني لاحدث في كذا وكذا وكذا  
حديثا ما اظهرتها بالمدينة .

قال ابن مالك :

لما دفنا مالكا دخلنا منزله . فأخرجنا كتبه . فاذا هي سبع قناديق من حديث  
ابن شهاب . ظهورها وبطونها ملأى . وعنده قناديق . أو صناديق . من حديث اهل  
المدينة . فحمل الناس يقرأون . ويدعون . ويقولون : رحمك الله يا ابا عبد الله ! لقد  
جالسناك الدهر الطويل . فما رأيناك ذاكرت بشيء مما قرأناه .

وفي رواية عن ابنه ضد هذا ، وأنا ما وجدنا له الا كتابا واحدا فيه لابن شهاب  
احاديث قد خط على بعضها .

وعن اسحاق بن بابيين : وجدنا في تركة مالك صندوقين مقفلين فيها كتب ،  
فجعل ابي يقرأها ويكي . ويقول : رحمك الله . ان كنت تريد بعلمك الا وجه الله ،  
لقد جالسته الدهر ، فما سمعته يحدث بشيء مما قرأت .

وذكر عتيق بن يعقوب : أنه دخل منزل مالك بعد موته مع ابنه ، ففتح  
صناديق مملوءة كتباً ، فقرأها . فذكر نحوه . ثم فتح صندوقاً آخر فأخرج منه اثني عشر  
الف حديث للزهري . وفتح آخر فأخرج منه سبع قنادق ظهورها وبطونها من حديث  
اهل المدينة . فما رأيت فيها شيئاً مما ذكر به اصحابه في حياته .

عياض : المدارك 1/ 186

## 105 - محنة مالك

قال : وذكروا انه هاج بالمدينة هيج في ابتداء ايام ابي جعفر ، فبعث اليها  
ابوجعفر بن عمه جعفر بن سليمان بن العباس . ليسكن هيجها وقتنها . ويجدد بيعة  
اهلها فقدمها وهو يتوقد ناراً على اهل الخلاف لهم ، فأظهر الغلظة والشدة ، وسطا بكل  
من الحد في سلطانهم . وأشار الى المنازعة لهم . واخذ الناس بالبيعة ، وكان مالك بن

انس رحمه الله لم يزل صغيرا وكبيرا محسدا، وكذلك كل من عظمت نعمة الله عليه في علمه او عمله، او فهمه او ورعه. فكيف بمن جمع الله ذلك فيه. وتمند نشأ كذلك قد منحه الله تعالى العلم والعمل، والفهم واللب والنبك، ووصل له ذلك بالدين والفضل. عرف منه ذلك صغيرا . وظهر فيه كبيرا ، واستتب الرياسة ممن كان قد سبقه اليها. بظهور نعمة الله عليه، وسموها به على كل سام، فاستدعى ذلك منهم الحسد له. والجاهم ذلك الى البيغي عليه، فدرسوا الى جعفر بن سليمان من قال له : ان مالكا يفتي الناس بان ايمان البيعة لا تحل . ولا تلزمهم لمخالفتك، واستكراهك اياهم عليها، وزعموا انه يفتي بذلك اهل المدينة اجمعين، لحديث رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : «رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما اكرهوا عليه» فعظم ذلك على جعفر واشتد عليه وخاف ان ينحك عليه ما ابرم من بيعة اهل المدينة . وهم ان ييدر فيه بما عافاه الله منه. وأنعم على المسلمين ببقائه. فقيب له : لاتبدر فيه ببادرة، فانه من اكرم الناس على أمير المؤمنين. وأثرهم عنده ولا بأس عليك منه فلا تحدث شيئا الا بأمر أمير المؤمنين أو يستحق ذلك عندنا بأمر لا يخفى على أهل المدينة. قدس اليه جعفر بن سليمان بعض من لم يكن مالك يخشى أن يؤتني من قبله، ومن مأمنه يؤتني الحذر، فسأله عن الايمان في البيعة فافناه مالك بذلك طمأنينة اليه، وحسبة فيه. فلم يشعر مالك الا ورسول جعفر بن سليمان يأتيه، فأتوا به اليه منتهك الحرية، مزال الهيبة، فأمر به ف ضرب سبعين سوطاً : فلما سكن الهيج بالمدينة، وتمت له البيعة. بلغ بمالك ألم الضرب حتى اضعفه .

الامامة والسياسة 2/148



# **TEXTES ET DOCUMENTS**

## **2**



# **TEXTES ET DOCUMENTS**

## **2**

**L'empire musulman sous  
le Califat Abbasside  
Epoque des Grands Califes  
132-232h / 750-847**

Documents arabes  
(textes originaux ou traduits)  
Regroupés selon des thèmes historiques  
et présentés par :  
**Mohamed ZNIBER**  
*Professeur d'histoire à la faculté  
des lettres de Rabat*





Avec ce deuxième volume, nous abordons une étape importante dans l'histoire de l'Islam, celle de l'installation du pouvoir abbasside. Comme l'ont reconnu la plupart des historiens modernes, il ne s'agit pas d'un simple renversement dynastique, mais bel et bien d'une grande révolution aux dimensions politique, sociale, culturelle, religieuse et économique.

La prédominance arabe qui était la constante politique des Omeyyades a pris fin sous les abbassides. C'est la naissance d'une nouvelle société où tous les musulmans, quelle que soit leur origine ethnique, jouissent des mêmes droits. Les mawalis ne sont plus traités en classe inférieure. Les clivages sociaux prennent un autre caractère et une autre signification. C'est la notion de Umma musulmane, ou communauté qui prédomine sous le nouveau régime. Cette orientation va renforcer la situation de l'Islam religion toute nouvelle, et aura pour conséquence de l'enraciner davantage dans le vaste empire récemment conquis.

Cela, bien entendu, n'empêche ni les contestations ni les prolémiques, ni les révoltes, ni la naissance de mouvements séparatistes. Mais les événements de ce genre ne présentent aucune gravité pour l'Islam et pour son empire. Tantôt, ils sont l'expression d'une crise de croissance ; tantôt ils se réduisent à de simples querelles de famille. C'est l'époque où l'Islam commence à développer sa civilisation et sa culture et à marquer de son génie unificateur tous les pays et territoires conquis. Les mouvements séparatistes n'auront qu'une signification politique très réduite, car le sens de la Umma, de la communauté islamique représenté l'idée-force essentielle. Les Idrissides au Maroc, les Omeyyades en Espagne, malgré leur inimité avec les Abbassides, travailleront dans le même sens que ces derniers, c'est-à-dire qu'ils vont chercher à répandre l'Islam, à le défendre, à créer de nouveaux foyers de culture et de civilisation. Ainsi, s'il y a rupture au sommet, il y a unité à la base.

La révolution abbasside va donner à l'état musulman sa forme classique. Avec ses institutions, son administration, ses traditions, le Califat abbasside restera pendant de nombreux siècles, et jusqu'à une époque relativement

récente, le modèle pour tout pouvoir monarchique musulman, et s'il y a quelques variantes, elles ne portent que sur le détail.

Le deuxième volume de la série «Textes et Documents» que nous présentons aujourd'hui va essayer, dans la mesure du possible, de faire ressortir tous ces aspects historiques : Certes, pour certains chapitres, nous n'avons pas le choix de textes que nous aurions aimé avoir, parce que les sources sont rares ou indigentes mais je pense qu'il est possible de mettre l'essentiel en lumière par un choix raisonné de documents et de témoignages.

C'est ce que nous avons essayé de faire dans ce recueil consacré au premier siècle abbasside : Il nous a fallu mettre à profit la masse énorme de chroniques, de livres d'adab, d'encyclopédies biographiques, de recueils juridiques etc... pour y puiser les extraits qui présentent un intérêt pour le chercheur et pour l'étudiant qui restent pour nous les premiers à servir dans un tel travail. Bien entendu, je ne perds pas de vue que tout choix à quelque chose d'arbitraire et je reste à la disposition de mes maîtres et de mes collègues pour recueillir toute observation et toute suggestion de nature à rendre cette modeste contribution plus utile.

Enfin, je m'excuse auprès du lecteur arabisant au sujet de la transcription des noms propres arabes, pour laquelle je n'ai pu utiliser les signes conventionnels : J'ai pensé, en effet, rendre davantage service à ceux qui n'ont pas la pratique de ces signes et ils représentent le plus grand nombre.

## 1. — Orientation de la propagande abbasside.

Mohamed Ibn Ali ibn Abdallah ibn Abbas, en désignant les hommes chargés de repandre sa prédication, leur dit au moment du départ :

«Quant à Koufa et à son Sawad, il y a là les partisans de Ali Ibn Abi Talib. Basra reste attachée à Utmàn, préconise l'abstention en disant : Sois Abdullah l'assassiné et non Abdullah l'assassin. La Jazira est harawrite et rebelle, ses hommes sont des bédouins tels des barbares, des musulmans de mœurs chrétiennes : Les gens du Cham, quant à eux, ne connaissent que la famille d'abu Sufiyan et n'ont d'obeissance que pour les Beni Marwan, couvant à notre rencontre une haine enracinée et une colère énorme. Les gens de la Mecque et de Médine sont doncinés par (le souvenir) d'Abu Bekr et de Umar. Orientez-vous plutôt vers Khurassân. Là il y a le grand nombre, la bravoure manifeste, des âmes saines, des cœurs idemnes qui n'ont point été déchirés par les passions, ni séparés par les sectes, ni préoccupés par la religion, qui n'ont été touchés par aucune corruption dans le passé : Ils ne portent pas, aujourd'hui, les mêmes ambitions que les arabes, ne connaissent pas de rassemblement partisan autour d'un notable, ni d'alliance entre tribus, ni d'esprit de clan. Ils ne cessent d'être humiliés, souhaitant une fin (à leur souffrance) et plaçant leur espoir dans des renversements de dynastie : Ce sont des soldats bien bâtis qui impressionnent par leur taille, leur carrure, leurs épaules, leurs têtes, leur barbe, leurs moustaches, leur voix, leur langage rude qui sort de bouches menaçantes : Enfin, c'est comme si je prends augure de l'Orient, de la source de la lumière du monde et du phare de l'humanité».

Ibn Qutayba Uyun Al Akhbar I/804

## 2. — Abu Muslim apparaît au milieu de l'ogitation dans le Khurassan

Lorsque Zayd fut tué et que son entreprise aboutit à l'issue qu'on connaît, les chiïtes s'agitèrent dans le Khurassan : Leur causé rencontra de l'audience, et nombreux furent ceux qui se rallièrent à eux et qui inclinèrent de leur côté : Les chiïtes se mirent à rappeler aux gens les actes des Omeyyades le préjudice qu'ils causèrent à la famille du Prophète. Il n'y eut point de localité qui ne fut atteinte par cette propagande : Des

prédicateurs firent leur apparition : des visions surgirent dans les rêves : on lut en commun les livres contenant le récit des batailles.

Yahya ibn Zayd prit la fuite vers le Khurassan : Il se dirigea vers Balkh, où il se tint caché : Yusuf écrivit à son sujet à Hisham qui envoya des instructions à Nasr ibn Sayyar : Celui-ci expédia une armée à Balkh. Commandée par Hudba ibn Amir Al-Saâdi : Les soldats se mirent à la recherche de Yahya jusqu'à ce qu'ils mirent la main sur lui et le ramenèrent avec eux à Nasr qui l'emprisonna à Qohondus Merw.

Mis au courant des troubles au Khurassan et du grand nombre de gens qui s'y agitent Hicham écrivit à Yusuf ibn Omar : «Envoies-moi un homme qui connaît bien le Khurassan !» Il lui envoya Abd Al Karim ibn Sulayt ibn Atiyya al Hanafi : Il le questionna sur la situation au Khurassan, sur sa population, sur les hommes qui s'y trouvent et qui pourraient en prendre la charge de gouverneur. Il lui proposa un certain nombre de noms originaires de Qays et de Rabî'a. Toutes les fois qu'il déclinait de nom d'un homme de Rabî'a. Hicham disait :

Rabî'a n'est pas faite pour défendre les frontières !»

Lorsqu'il déclina le nom de Nasr ibn Sayyar Al-Laythi Hicham dit : «On dirait qu'il est victoire et marcheur !» Puis il dit : «Jeune homme, écris son acte de nomination.» Il écrivit l'acte et il lui donna l'ordre de le faire parvenir d'urgence à Yusuf ibn Omar : Avant cela, Nasr ibn Sayyar avait été désigné à la tête d'un canton du Khurassan : Il destitua Jaâfar ibn Hanzala et prit le gouvernement de la province.

Ayant mis la main sur les administrateurs de Khalid, Yusuf les emprisonna : Il y avait parmi eux, Issa ibn Mâqil Al Ijli, Abu Muslim, dont le nom était Ibrahim ibn Utman avant que Mohamed ibn Ali ne lui donnât celui de Abdu-I-Rahman, était au service de Issa ibn Maqil, Il les entendit parler du mouvement des Bani Hashim et comprit bien de quoi il s'agissait : Sulaymân ibn Kathir, Malik ibn Al Haytham Oahtaba ibn Shabîb se rendaient alors à la Mecque : Il rendirent visite en prison à Isa Ibn Mâqil et à Asîm ibn Yunus : Il remarquèrent qu'Abu Muslim venait les voir souvent et les entretenait de la cause : Ils le prirent avec eux et l'amènèrent à Muhamed ibn Ali. Celui-ci lui parla et dit : «Je crois, avec certitude, que ce jeune homme est l'ami (que nous cherchons), ou plutôt c'est lui, c'est lui. Acceptez ce qu'il dit, suivez son commandement, engagez-vous les uns les autres à être à ses côtés : il est, sans aucun doute, l'homme de la cause.

Certains connaissances de l'histoire de la dynastie disent qu'Abu Muslim, vue la date de sa naissance n'a pas connu Muhamed ibn Ali, mais qu'il a plutôt rencontré son fils Ibrahim ibn Muhamed ibn Ali.

Yaqubi : Histoire 2 /326

### 3. — Le premier Vizir de la dynastie Abbasside

Le premier personnage qui reçut le titre de vizir, sous la dynastie d'Abbas, fut Abou Salamah Hâfs, fils de Sulayman, surnomé Khallal, il était de la tribu de Hamdan, et mawla de la famille de Sabi. Le Khalife Aboul-Abbas (Saffah) ne pouvait pardonner à ce ministre d'avoir songé à détourner la couronne au profit d'une autre famille (celle des Alides). Abou Moslim s'exprimait ainsi dans une lettre où il engageait le Kalife à se défaire de son vizir: «Prince des Croyants, Dieu vous permet de répandre le sang de cet homme, puisqu'il a violé et parjuré son serment et hvangé de parti.» Mais Saffah lui répondit: «Je ne veux pas inaugurer mon règne par le meurtre d'un de mes partisans et surtout d'un homme tel qu'Abou Salamah qui, propogateur zélé de notre cause, a exposé sa vie, joué son existence et dépensé sa fortune pour servir son Imam et combattres ses ennemis: » Abou Djâfar, frère du Kalife et Dawoud ben Ali, son oncle, eurent des conférences avec lui. Abou Moslim leur avant écrit pour les prier de conseiller à Saffah cette exécution. Le Khalife leur fit la même réponse: «Je ne sacrifierai pas leur dit-il tout le bien qu'il nous a fait, les épreuves qu'il a supportées et tout un passé de dévouement pour une faute légée qu'il faut attribuer aux suggestions de Satan et à la fragilité humaine — Prince des Croyants, répliquèrent ces deux conseillers, il importe de vous tenir sur vos gardes: nous ne répondons pas de ce qu'il peut entreprendre contre vous. -- Et moi je répons de lui, s'écria Saffah, la nuit aussi bien que le jour, en secret et publiquement, seul et devant tout le monde» «Ces paroles transmises à Abou Moslim lui lui déplurent et l'impressionnèrent. Craignant de la part d'AbouSalamah une tentative criminelle contre sa personne il envoya quelques-uns de ses affidés avec la mission d'employer la ruse pour le délivrer du vizir. Le Khalife aimait la société d'AbouSalamah et l'associait aux causeries du soir: car ce ministre était homme d'esprit ingénieux, lettré, fort au courant de la politique et du gouvernement: Ce fut, dit-on, un soir, en sortant sans escorte de chez le Khalife alors dans sa ville d'Anbar, qu'il fut assait par les agents d'Abou Moslim et égorgé.

Mas'udi: Muruy p.134

(trad B: de Mevnard)

### 4. — Les premiers adversaires de la dynastie abbasside

Abu-l-Abbas dépêcha son frère Abu Jâfar à Wâsî : Hassan ibn Qahtaba assiégeait Yazid ibn Umar ibn Hubayra. Il lui donna l'ordre de poursuivre le combat contre lui. Il subit un siège de onze mois. A ses côtés se trouvait

un certain nombre de généraux de Marwan et de ses partisans, de ceux qui étaient avec Amir ibn Dubara, Nubata ibn Hanzala, tués par Qahtaba. Yazid avait pris ses dispositions pour soutenir un siège de deux ans. Il s'était approvisionné en vivres et en fourrage pour vingt mille combattants : ses soldats menèrent avec ardeur le combat. Il demanda *l'aman* et envoya des émissaires. Sa demande fut acceptée. Un acte *d'aman* fut rédigé en sa faveur avec les conditions qu'il avait formulées. Abu-l-Abbas y apposa son Sceau.

Ibn Hubayra sortit et se rendit auprès d'Abu Jâfar. Il fit acte d'allégeance puis s'en retourna chez lui : Chaque jour il enfourchait sa monture au milieu de mille cavaliers et de mille fantassins : L'un des intimes d'Abu Jâfar dit à ce dernier : «Dieu garde le Prince !» Quand Ibn Hubayra arrive, l'armée se sent intimidée : Il dit alors, à son chambellan : «Dis à Ibn Hubayra de réduire son cortège !» Il vint alors accompagné de cinq cent fantassins : Le chambellan lui dit : «On dirait que tu viens nous voir pour nous impressionner par ta puissance !» Il leur rendit visite avec une escorte de trente cavaliers et de trente fantassins. Abu Jâfar disait : «Je n'ai jamais vu homme plus noble, plus distingué qu'Ibn Hubayra. Il entraînait me voir et disait : «Comment vas-tu toi ? ou comment te portes-tu ? Quelles nouvelles reçois-tu de ton chef ? je l'entretenais et il s'écriait : «Bravo ! c'est très bien» il se reprend, ensuite, et dit : «Dieu garde le prince ! J'étais, encore, tout récemment gouverneur. J'ai pris l'habitude de dire ces mots quand quelqu'un m'entretenait.» Un jour, il lui dit : «Parle moi !» Il répondit : «Je vais te donner le conseil le plus sincère. L'engagement devant Dieu ne peut être trahi et le lien qu'il crée ne peut être dénomé. Votre pouvoir est encore nouveau, faites goûter aux gens sa douceur et évitez de leur faire sentir son amertume !»

Des lettres d'Ibn Hubayra furent interceptées. Elles étaient adressées à Mohamed ibn Abdallah ibn Hassan auquel Ibn Hubayra faisait savoir qu'il lui prêtait serment d'allégeance, qu'il disposait de fonds, d'équipement et d'armement, qu'il avait à sa disposition vingt mille combattants. Cette correspondance fut envoyée à Abu-l-Abbas. Celui-ci dit : «Il a trahi son serment, commis l'acte qui légitime que son sang soit versé :» Il écrivit, alors, à Abu Jâfar : «Il faut lui trancher la tête, car il a trahi et failli à ses engagements», ses lettres se succédèrent nombreuses à ce sujet. Abu Muslim écrivit de Khurassan exhortant à ce qu'il soit mis à mort. Il explique que le régime ne peut se consolider tant qu'il reste en vie et qu'il ne s'agit pas d'un homme qu'on peut récupérer — Abu Jâfar dit à Al Hassan ibn Qahtaba Al-Taï : «Le prince des Croyants a donné l'ordre d'exécuter cet homme, c'est à toi de t'en charger — Al Hassan dit : «Si je le tue, l'esprit de clan

attisera la haine entre sa tribu et la mienne : cela sèmera la discorde dans ton armée parmi les soldats qui sont de l'une ou de l'autre partie : Mais envoie lui plutôt un homme de Mudar pour le tuer». Il lui envoya, alors, Khuzayma ibn Khazim Al-Tamimi : Celui-ci se dirigea vers lui avec un détachement. Il le trouva assis au milieu de la cour du palais à Wasit : Dès qu'il les vit il dit : «Je jure par Dieu que le visage des hommes trahit la perfidie !» Quand ils furent près de lui, son fils Dawud alla se mettre en face d'eux. Un homme du groupe le fit tomber à terre d'un coup de sabre. Ils se retournèrent vers Yazid lui donnèrent des coups d'épée jusqu'à ce qu'il mourût : Ils poursuivirent, ensuite, ses généraux et ses partisans et les exterminèrent jusqu'au dernier.

Sarik ibn Saykh Al Mahri se révolta à Bukhara, en disant : «Nous n'avons pas prêté notre serment d'allégeance à la famille de Muhammed pour cela : pour verser le sang, pour agir contrairement au droit. Abu Muslim lui envoya Ziyad ibn Salih Al K huzai qui le combattit et le tua.

Abu Muhammed Al Sufyani se révolta de son côté, mettant en jeu tous ses moyens : Son nom est Yazid ibn Abdullah ibn Yazid ibn Muâwiya ibn Abi Sufyân : Muhammad ibn Maslama ibn Abd Al Malik se révolta aussi à Harrân et assiégea Musa ibn Kâb, gouverneur d'Abu Jâfar qui était chargé, alors, de l'administration de la Jazira. Il l'attaqua à la baliste, incendia ses portes : Ceci se passait en 133.

Abu Muhammad ibn Maslama apprit, ensuite la mort d'Abu Muhammad Al-Sufyani, celle d'Abu-l-Ward ibn Kawthar ibn Zufar : Il se retira alors, et son groupe se dispersa. Musa ibn Kab se lança à sa poursuite, tua nombre de ses partisans en se dirigeant vers de nombreuses villes de la Jazira.

## 5. — Dispersion des Alides dans les provinces

Les fils et les frères de Mahammed se rependirent en tous sens et propagèrent la cause de leur *Imam* : Parmi ces émigrants., son fils Ali se rendit en Egypte et y périt : un autre fils, Abd Allah, après avoir parcouru le Khoraçân, s'en éloigna pour échapper aux recherches et trouva la mort dans le Sind : Un troisième fils, Haçan, se réfugia dans le Yémen et y fut retenu prisonnier jusqu'à sa mort : Parmi ses frères, Mouça passa en Mésopotamie : Yahya vint a Rey et dans le Tabaristân : nous aurons occasion de parler de lui, au règne de Réchid : Un autre frère, Idris, se rendit dans le Magreb, où il trouva un grand nombre d'adhérants : devenu maître d'un Etat puissant dans ce pays, il mourut empoisonné par un agent

secret de Mansour. Son fils Idris Ben Idris monta sur le trône paternel, et la contrée où ils regnèrent reçut alors le nom de *Pays d'Idris, fils d'Idris*. On trouvera dans l'Histoire Moyenne le récit de ces événements : dans les pages où nous racontons le règne d'Obeïd Allah, le maître du Maghreb et le fondateur de la ville de *Mehdyah*, l'histoire d'Aboul-kacem, son fils et les circonstances qui les forcèrent à sortir de Selemyah (*Salamias*), ville du territoire d'Emèse, pour se rendre dans le Maghreb.

Cependant Ibrahim ben Abd Allah, frère de Mohammed, s'était emparé de Basrah, et il avait réuni un grand nombre de partisans parmi les populations de la Perse, de la Susiane, etc : Il sortit alors, à la tête d'une forte armée recrutée parmi les zeïdites et les sectaires que l'on connaît, aujourd'hui, à Bagdad, sous le nom de *Moutazélites* ; il avait encore d'autres adhérents, et parmi eux Yça, fils de Zeïd (fils d'Ali, fils de Haçan, fils d'Ali, fils d'Abou Taïb). Le Khalife Mansour leur opposa une armée commandée par Yça ben Mouça et par Saïd, fils de Salim, Ibrahim périt, les armes à la main, en un lieu nommé *Bakhamrà*, à seize parasanges de Koufah, dans la contrée de Taff. Cette localité est souvent citée dans les vers élégiaques composés en l'honneur d'Ibrahim : un des poètes qui en ont parlé est Dïbil, fils d'Ali le Khozâite, dans la *Kacideh* qui débute ainsi :

Là où le Koran s'enseignait, la pieuse récitation ne s'entend plus ; le temple où descendait la parole divine n'est plus qu'une solitude.

Dans cette même poésie se trouvent ces vers :

Dans tombes s'élèvent à Koufan (surnom de Koufah), d'autres à Taïbah (Médine), d'autres à Fekkh : qu'elles soient bénies !

Le Djouzedjân renferme d'autres sépultures, : une tombe s'élève à Bakhamrà, près d'El-Gourbat.

Masudi : Muruy 6/193  
(trad B de Meynard)

## 6. — Mentalité des soldats du Khurassan

Parmi les affaires sur lesquelles l'attention du Prince des Croyants - Dieu le garde - doit être attirée, vient celle de cette armée du Huràsân. Il s'agit de soldats qui n'ont jamais eu de pareils en période d'Islam et qui sont doués d'une qualité qui portera à la perfection leur vertu, s'il plaît à Dieu : Ils sont, en effet, connus chez tout le monde pour leur sens de la discipline, leur valeur, leur chasteté d'âme et de corps, leur refus de toute corruption, leur



humilité devant les chefs. C'est là un état d'esprit que nous ne connaissons chez nul autre qu'eux-mêmes. Là où un redressement s'impose chez eux, en ce qui concerne notamment leurs actes matériels, leurs opinions et leurs paroles, c'est dans le fait que dans le groupe se trouvent mêlés un homme à l'esprit téméraire et immodéré à un autre docile mais inquiet et plein de doutes. Celui qui fonde son prestige sur les gens en s'appuyant uniquement sur des hommes dont il n'est pas sûr d'avoir obtenu l'accord sur la même opinion, la même parole et la même conduite, ressemble à celui qui, monté sur un lion, effraye le spectateur, alors qu'il est effrayé davantage : Si le Prince des croyants écrivait une charte portée à la connaissance de tous claire, concise, embrassant tout ce qu'ils doivent faire ou éviter, allant le plus loin dans la persuasion, douée de toute outrance, que les chefs doivent connaître afin de s'y conformer dans la direction de toute la collectivité et de rappeler à tous ceux qui leur sont inférieurs parmi le commun des hommes, cela corrigerait leur état d'esprit, serait un argument contre les autres et une justification devant Dieu : C'est que la plupart de ceux qui parlent parmi les généraux du Prince des Croyants disent, en gros, dans ce qu'ils ordonnent où ce qu'ils racontent que les montagnes pourraient bouger si le Prince des Croyants leur en donnait l'ordre, que s'il commandait de tourner le dos à la Qibla, au moment de la prière, cela serait exécuté : Rares sont les opposants, les auditeurs qui écoutent un tel langage sans qu'ils éprouvent dans leur cœur de l'incertitude et du doute : Ce que disent les modérés parmi les musulmans soutient mieux la cause, renforce davantage le pouvoir, intimide plus l'opposant, donne meilleure satisfaction au sujet loyal, fonde mieux la justification des actes devant Dieu le Très-Haut.

Ibn Al-Muqaffa : Bisalat as-Sababa 119

### 7. — Politique d'Al Mahdi dans les Lieux Saints

Al Mahdi fut accompagné au cours de cette année par son fils Harum et un certain nombre de gens de sa famille : Parmi ses compagnons il y avait Yaqub ibn Dawud, qui figurait dans le rang qui lui était reconnu par le calife — Hassan ibn Ibrahim ibn Abdullah ibn Hassan, pour lequel Yaqub avait obtenu la reconnaissance de *l'amam* qu'il lui avait accordé auparavant, vint lui rendre visite dès son arrivée à la Mecque — Mahdi lui manifesta de la sympathie, le gratifia de dons et lui donna en *iqat* un domaine des *sawafi* du Hijaz.

Au cours de cette même année. Al Mahdi dépouilla la Kaaba de l'habillement qu'elle portait et la fit revêtir de tentures neuves. Les gardiens de la Kaaba, à ce que l'on rapporte, lui avait fait savoir, en effet, qu'ils craignaient que la Kaaba ne s'effondât sous le poids du nombre de tentures qu'elle portait. Il donna, alors, l'ordre d'enlever tous les habillement dont elle était couverte, de la dénuder complètement et d'oindre la chambre de *Khaluq*. On rapporte que lorsqu'on était parvenu à l'habillement offert par Hisham on s'est aperçu qu'il était en velours de soie épais et de grande qualité. Le reste des costumes antérieurs était en étoffe yéménite.

Au cours de cette année, Al Mahdi, à ce que l'on rapporte distribua une somme considérable d'argent parmi les gens de la Mecque, à la Mecque même : Il fit de même à Médine. On rapporte qu'en faisant le compte de l'argent distribué au cours de ce voyage, il s'aperçut qu'il comportait les trente millions de dirhams qu'il avait fait apporter avec lui trois cent mille dinars qui lui étaient parvenus d'Égypte, deux cent mille dinars du Yemen. La totalité de cet argent fut distribué. Il distribua également cent cinquante mille pièces d'étoffe. Il fit élargir la Mosquée du Prophète de Dieu. — Il ordonna de démolir la *maqsura* qui se trouvait dans la Mosquée du Prophète de Dieu. Elle fut démolie. Il voulut raccourcir le *minbar* du prophète de Dieu pour lui rendre sa taille originelle et supprimer tout ce que Muâwiya y avait ajouté. Selon le témoignage attribué à Malik ibn Anas, il demanda conseil à ce sujet, on lui dit que les clous avaient pénétré aussi bien le bois ajouté par Muawiyah que le bois originel qui était vêtuste. «Nous ne sommes pas du tout sûrs que les clous, en jouant dans le bois au cours de leur extraction, ne le cassent» Al Mahdi, abandonna son idée.

Au cours de son séjour à Médine, il ordonna d'enregistrer cinq cent hommes des Ansars, pour, qu'ils figurent avec lui, en Iraq, comme gardes et défenseurs : Il leur attribua des soldes, en plus de leur atâ. A leur arrivée à Bagdad, il les gratifia d'une qatia qui porte leur nom.

Tabari : Histoire 8 / 133

## 8. — Perplexité de Râsid au sujet de la succession au trône

Voici ce que raconte Asmâyi : «Me trouvant auprès de Rachid dans une de ses réunions du soir, je remarquai chez ce prince une agitation extraordinaire : tantôt il s'asseyait, tantôt il se couchait : il répandait des larmes et murmurait ces vers :

Confie le gouvernement des serviteurs de Dieu à un homme sur stable dans ses projets, sans faiblesse ni avarice :

Et dédaigne les propos de ces esprits mobiles qui ne comprennent pas ce que le peuple lui-même a compris.

En entendant ces paroles, je devinai que le prince méditait quelque projet important : Bientôt il ordonna à l'eunuque Mesrouf d'aller chercher Yahya : quelques instants après, Yahya était auprès de lui : «père de Fadl, lui dit Rachid, le Prophète est mort sans faire de testament : L'islam était alors dans toute la force de sa jeunesse, la foi venait de naître : l'union régnait parmi les Arabes auxquels Dieu avait accordé la sécurité après le péril, la gloire après l'abaissement : Mais ce peuple ne tarda pas à renier Abou Bekr, et tu sais ce qui arriva à cette époque. Abou Bekr ayant remis le pouvoir à Omar, la nation le reconnut et accepta son nouveau Khalife. Mais Omar confia le choix de son successeur à une commission délibérative, et tu n'ignores pas qu'à la suite des discordes civiles l'autorité sortit des mains qui devaient la posséder. Je veux, quant à moi, régler ma succession : je veux l'assurer à un homme dont j'approuve la conduite et dont j'estime les actes, à un homme qui j'en suis sûr gouvernera habilement, sans qu'on ait à redouter de sa part ni pusillanimité ni faiblesse, je veux parler d'Abd Allah (Mamoun)... Cependant les suffrages de la Famille de Hachim inclinent vers Mohammed, malgré l'assujettissement de celui-ci à ses passions, à ses caprices qui sont sa seule règle de conduite, malgré la facilité avec laquelle il prodigue sa fortune et associe les femmes, jusqu'au esclaves, à ses desseins :

Au contraire, Abd Allah ne mérite que des éloges, son jugement est solide et les affaires les plus importantes peuvent lui être confiées. Or, si je témoigne mes préférences pour lui, je déchaîne contre nous la famille de Hachim : si je fais de Mohammed mon unique héritier, je crains que ce choix ne jette le trouble dans l'Etat : Fais-moi connaître ta manière de voir dans cette affaire, donne-moi un conseil dont le mérite et l'efficacité seront reconnus de tous, car tu es, grâce à Dieu, un homme de bon conseil et d'une rare pénétration : — Prince des Croyants, répondit Yahya, toute faute est, excusable, toute erreur peut se réparer, exceptée celle qui concerne la succession au trône : car une erreur de ce genre est pleine de périls, une faute pareille est sans remède. Mais ce n'est ni le moment ni le lieu d'en délibérer :» Le Khalife compris que son conseiller voulait l'entretenir en particulier, et il m'ordonna de me tenir à l'écart : je me levai et allai m'asseoir dans un coin d'où je pouvais entendre ce qui se disait : Il entamèrent une longue discussion et leur délibération dura toute la nuit : ils ne se séparèrent qu'après avoir décidé que la couronne passerait à Abd

Allah après Mohammed :» — Oumm Djâfar (Zebeïdah) vint, un jour, chez Rachid et lui dit. «Vous êtes injuste envers votre fils Mohammed : vous lui donnez le gouvernement de l'Irak et lui refusez subsides et généraux, tandis que vous accordez tout cela à (son frère) Abd Allah : — Qui est-tu, lui répondit Réchid, pour discuter nos actes et juger nos agents ? J'ai donné à ton fils un gouvernement paisible, et à Abd Allah un pays en état de guerre : or le chef d'une province hostile a plus besoin de troupes que le chef d'un gouvernement pacifié : D'ailleurs c'est ton fils que je redoute pour Abd Allah, mais Abd Allah ne serait pas un danger pour ton fils, si celui-ci venait à être proclamé :»

En l'année 186, Réchid fit le plérinage avec ses deux héritiers présomptifs, Emin et Mamoun : il redigea les deux chartes (qui réglèrent les droits) des deux frères et les fit suspendre à la Kaabah. Ibrahim Nakhayi raconte que l'acte tomba par terre au moment où on le hissait sur les murs du temple : «Je me dis en moi-même, ajoute Ibrahim, de même que cet écrit est tombé avant d'être arboré, de même cette royauté s'évanouira avant d'arriver à son terme.»

Mas'udi : Muruj 6/323  
(trad B de Meynard)

## 9. — Les Ayyarun aux Côtés d'Amin

La lutte entre les troupes de Mamoun et les soldats nus et autre défenseurs d'Amin devenait de plus en plus acharnée : le Khalife déchu était tenu en échec dans son château nommé *Salih*, sur la rive occidentale : Après une grande bataille où périt beaucoup de monde dans les deux partis, un certain Huçein, que sa vie insouciant et débauchée avait fait surnommer *Khalî*, composa les vers suivants :

Amin Allah, espère en Dieu : il te donnera la patience et le succès.

Mets ton sort entre ses mains : Dieu le tout puissant te protégera.

Sa grâce nous accordera la victoire : nous écraserons l'ennemi, au lieu de fuir :

Elle donnera aux hérétiques, tes adversaires, un jour de honte et de défaite.

La coupe de la mort est un breuvage odieux et d'une saveur amère :

Nous l'avons bu et fait boire, mais la dernière coupe sera pour eux.

Telles sont les vicissitudes de la guerre : un jour, nous sommes vaincus, un autre jour vainqueurs.

La situation devenant chaque jour plus périlleuse pour Amin et son parti, la population de Bagdad se partagea en deux factions. Une mêlée générale eut lieu dans un quartier de la ville occidentale nommé *Dar errakik* : elle fut très-meurtrière : les grandes voies, les places, les rues et ruelles étaient jonchées de cadavres. Les combattants s'égorgeaient aux cris de *Vive Mamoun*, et de *Vive le détrôné*. Les ruines s'amoncelaient partout et le feu étendait ses ravages. Dans cette extrémité, c'est un bonheur inouï, une joie immense pour ceux, hommes et femmes, vieillards et enfants, qui pouvaient se sauver, avec les débris de leur fortune, dans le camp de Tahir : là du moins, leur existence et leurs biens n'étaient plus menacés. Un témoin de cette triste journée la rapelle dans les vers qui suivent :

C'est sur Bagdad que je pleure, après avoir perdu les douceurs d'une vie fortunée.

Nous avons échangé notre bonheur contre le chagrin, notre aisance contre la misère.

Le regard funeste de l'envie nous a atteints et nous a décimés sous les coups des machines de guerre.

Les uns sont jetés brutalement dans les flammes : ici une femme pleure l'un des siens qui a péri dans les flots :

Une autre appelle à grands cris sa famille, une autre son compagnon chéri.

Une jeune fille aux yeux noirs, gracieusement parée d'une tunique teinte en *khalouk* (cynoglosse).

'Appelle son frère : mais elle n'a plus de frère : il est tombé à côté de son ami.

Là une famille est bannie de ce monde : et ses biens sont mis en vente dans les bazars.

Un étrangers, venu de loin, git, cadavre sans tête, au milieu de la rue.

Le massacre s'étend partout et les partis ne peuvent plus se reconnaître.

Le fils ne défend plus son père : l'ami fuit loin de l'ami.

Tout ce que nous chérissions a disparu, et je pleure en songeant à *Dar errakik*.

Un général originaire du Khorasân vint trouver Tahir. A la vue de ces hommes qui se battaient nus et sans armes, il s'écria avec mépris : «Que

peuvent les stratagèmes de ces gens qui n'ont pas même d'armes contre nos troupes fortes, vaillantes, bien armées et équipées ?» Se voyant épié par un des *nus*, il arma son arc, pointa sa flèche et sortit des rangs. Son adversaire avait au bras un bouclier en nattes d'osier, et, sous l'aisselle, un arc rempli de pierres et de morceaux de briques. A mesure que le chef tirait, sa flèche venait se planter dans le bouclier ou à côté : le gueur la ramassait et la serrait dans un coin de son bouclier, qu'il avait, pour cette destination, disposé en forme de carquois. Il continua ainsi jusqu'à ce que son adversaire, ayant épuisé ses flèches, fondit sur lui le sabre à la main : Le gueur, tirant une pierre de son sac, l'atteignit juste à l'oeil : une autre pierre faillit le renverser à bas de son cheval. Le chef s'enfuit à toute bride en laissant tomber son casque : «Non, s'écriait-il en s'éloignant, ce ne sont pas des hommes, mais des démons !» Voici ce que dit à ce propos un témoin oculaire, Abou Yâkoub le Khozaïmite, partisan d'Amin et ennemi fanatique de Mamoun, dans une trop longue *kacideh* où il décrit les séditions et les combats dont Bagdad fut le théâtre.

Les marchés de Kerkh sont abandonnés : les vagabonds, les passants y courent au hasard.

La guerre a suscité, parmi la canaille, des lions sauvages, à la dent cruelle, etc.

Le passage suivant d'une poésie d'Ali l'aveugle confirme aussi notre récit

Nos guerres ont fait surgir des hommes qui ne sont ni de Kahtan ni même de Nizar :

Une troupe armée de cuirasses en laine, qui se précipite au combat comme des lions dévorants.

Une coiffure de *khouss* (feuilles de cocotier) leur tient lieu de casque : des nattes d'osier, de bouclier.

Ils ne savent ce que c'est fuir, à l'heure où les plus braves cherchent leur salut dans la fuite.

Un seul d'entre eux, nu et n'ayant pas même un caleçon, attaque une troupe de mille hommes.

Et ce héros s'écrie en frappant : «tiens voilà de la part du *guerrier vagabond* !»

Chaque jour la lutte devenait plus acharnée et la résistance des deux partis opiniâtre. Le Khalife détroné n'avait plus d'autres défenseurs, d'autres troupes que ces soldats nus, qui se distinguaient par leurs casques en feuilles de cocotier et leurs boucliers de nattes : Tahir pressait vivement le

siège : tous les quartiers de Bagdad tombaient l'un après l'autre en son pouvoir, et les habitants, à mesure qu'ils passaient sous sa domination, lui prêtaient main-forte contre l'ennemi : La portion de la ville qui ne s'était pas soumise souffrait surtout de dévastations. Il avait fait creuser des retranchements qui séparaient ses troupes de celle d'Amin, au milieu des maisons, des Khans et des hôtels. Autant son armée était vaillante et favorisée par le succès, autant celle d'Amin diminuait et s'affaiblissait : Tandis que les soldats de Tahir amoncelaient ruines sur ruines, ceux du roi déchu en étaient réduits à s'abriter sous des débris de planches, de toiles et d'autres matériaux de ce genre : c'est à ce fait que les vers suivants d'un *Mohammedi*, c'est-à-dire d'un des ennemis acharnés de Mamoun, font allusion :

Chaque jour s'ouvre devant nous une brèche que nous ne pouvons fermer : l'ennemi avance vers son but, et nos forces diminuent :

Quand une maison s'écroule sous ses coups, nous ramassons les débris de sa toiture et nous attendons l'heure de réunir d'autres décombres semblables.

Ils lèvent le gibier au bruit de leurs tambours, et, quand une proie passe devant eux, ils la frappent.

Ils ont ravagé notre pays du levant au couchant, et nous ne savons plus où aller :

S'ils sont présents, ils racontent ce qu'ils ont vu : si aucun désastre n'a lieu devant eux, ils en inventent.

On voit cependant un brave guerrier, célèbre en toute rencontre, se coucher comme un chien à l'aspect des *soldats nus*.

Nos lecteurs (du Koran) eux-mêmes ont la permission de combattre, et tous ceux qui ont péri avaient le droit (de défendre leur khalife).

Tahir, irrité de la constance des partisans du *détroné* en face de la mort malgré les ruines, l'incendie et le carnage : causés par les machines, leur coupa les vivres du côté de Basrah, de Wacit et des autres voies d'approvisionnement. Alors, tandis que dans tel quartier de Bagdad habité par les *Mamouni*, le pain se payait un dirhem les vingt *ritles*, dans tel autre quartier au pouvoir des Mohammedi (ou partisans d'Amin), un seul *ritle* de pain coûtait un dirhem : Le peuple accablé de misère et en proie aux horreurs de la famine, désespérait de son salut. La joie régnait dans le camp de Tahir : le découragement dans celui de Mohammed le détroné : On en trouve la preuve dans ces vers d'Ali l'aveugle :

Les habitants ruinés et pourchassés s'abordent avec mille récits différents.

O toi qui veux connaître leur situation, regarde et tu n'auras plus besoin d'interroger.

Jadis leur *tekbir* (Te Deum) s'adressait au Miséricordieux, aujourd'hui c'est pour eux un cri de guerre.

Masudi : Muruj 6/459  
(trad B de Meynard)

### 10. — Engagement d'Al Mamun

Lorsque Al Mamun prit la décision de résider dans le Huràsân, Al Fadl ibn Sahl lui dit : «Des chefs comme Abdullah ibn Malik, Yahya ibn Mu'ad et d'autres sont beaucoup plus utiles à ta cause que moi-même, parce qu'ils jouissent de la notociété et de l'ancienneté dans l'exercice, du commandement et qu'ils sont compétents dans la conduite de la guerre. Laisse moi ton serviteur jusqu'à ce qu'ils t'accordent leur affection et donne leur l'apparence du pouvoir.» Il lui répondit : «Agis comme tu viens de dire».

Al Fadl ibn Sahl Alla les trouver chez eux, leur rappela l'acte d'allégeance et leur devoir d'y rester fidèle. Il rapporte : «C'était, comme si dans un plat je leur servais un cadavre dont la consommation est interdite par la loi sacrée ! Les uns refusent : les autres disent : «Qui peut s'entremettre entre le Prince des Croyants et son frère ? ! :»

Àyant appris cela, Al Mamun lui dit : «Assume toi-même la tâche.» Al Fadl lui dit : «Tu as lu le coran et tu connais les préceptes de la religion : à mon avis, il faut réunir les docteurs de la loi les exhorter à connaître la vérité, à y conformer leur action, à mettre en pratique la *sunna* : il faut que tu sièges sur le tapis de feutre, que tu examines continuellement les affaires des *mazalim*, que tu octoires les honneurs aux chefs de l'armée, aux rois, aux fils des rois». Ce qu'il fit

Il disait à l'homme de Tamim : «nous te mettrons à la place de Musà ibn Kàb» ; au Yéminite : «Nous t'accordons la place de *Qahtaba* et de *Màlik ibn Al Haytam*» : Il réduisit d'un quart l'impôt foncier au Hurasan, et les autres de dire «c'est notre neveu et le cousin du Prophète»

Lorsque Rafi ibn Al-Layt vit la conduite d'Al Mamoun, il se soumit à lui en l'an cent quatre vingt quatorze. Ayant obtenu son pardon, il se rendit auprès de lui, reçut de lui les honneurs et fit partie de son entourage



Lorsque Al Fadl ibn Sahl s'introduisit dans l'intimité d'Al Mamoun, qu'il se rendit compte de son mérite et que les astres lui prédirent son accession future au Califat, il lui demanda de lui écrire une déclaration de sa propre main. Il écrivit, alors, le texte dont voici copie :

«Si Dieu me confie la charge de veiller sur les affaires des croyants et m'inverstit du Califat sur ses créatures, je m'engage envers lui à faire respecter son Livre et la sunna de son Prophète Mohamed, à ne point Verser de Sang de propos délibéré, en dehors des cas où cela est permis par sa loi et ordonné par ses commandements, à n'obtenir de personne argent ni bien nteuble, par voie de contrainte ou par ruse interdite aux musulmans, à ne suivre dans l'exercice de la justice ni ma passion, ni ma colère, à moins que cela ne soit au service de Dieu. A tout cela je m'engage par un serment ferme, qui me fait obligation d'y rester fidèle, désirant être davantage comblé par Dieu et *craignant* qu'il ne me demande de lui en rendre compte, car le Très-Haut a dit «Tenez votre engagement, il vous en sera demandé compte.»

Si je venais à changer de conduite ou à trahir cet engagement, je mériterais d'être maudit et chatié. Je demande à Dieu de me préserver de sa colère, le prie de m'aider à lui obéir, à me faire éviter toute déviation de sa voie, *pour mon bien et pour celui de la communauté musulmane*, à me faciliter tout ce qu'il aime et qui le satisfait dans mes actes. Car il est le proche, celui qui exauce les prières, le tout puissant dans ses volontés.

«Ceci a été écrit de ma propre main.»

Jahs iyari : p 225

## 11. — Révoltes Alides

En 199, Abou'l-Seraya (fils de Mansour), le Cheïbanite, se révolta en Irak, y forma un parti puissant et se réunit à Mohammed (fils d'Ibrahim, fils d'Ismâïl, fils d'Ibrahim, fils d'El-Haçan, fils d'El-Haçan fils d'Ali, fils D'Abou Talib) surnommé *Ibn Tabataba* : A Médine éclata la révolte de Mohammed (fils de Suleïman, fils de Daoud, fils d'El-Haçan, fils d'El-Haçan, fils d'Ali). A Basrah, Ali (fils de Mohammed, fils de Djâfar, fils de Mohammed, fils d'Ali fils de Mohammed, fils d'Ali) et Zeïd (fils de Mouça, fils de Djâfar, fils de Mohammed, fils d'Ali, fils d'El-Huceïn, fils d'Ali), s'insurgèrent et se rendirent maître de cette ville. Après la mort d'Ibn Tabataba, qui eut lieu en cette même année, Abou'l-Seraya, qui

s'était fait le promoteur de sa cause, proclama à sa place Mohammed (fils de Mohammed fils de Yahia, fils de Zeïd, fils d'Ali, fils d'El-Huceïn, fils d'Ali), enfin dans la même année 199, le Yémen fut soulevé par Ibrahim «fils de Mouça fils de Djâfar, fils de Mohammed (fils de d'Ali, fils d'El-Haçan, fils d'Ali)». En 200 de l'hégire, sous le règne de Mamoun, la Mècque et le territoire du Hézaz, s'insurgèrent sous les ordres de Mohammed (fils de Djâfar fils de Mohammed, fils d'Ali, fils d'El-Huceïn fils d'Ali), qui se proclama *imam* : Les Sebtieh, qui sont une ramification des Chites, embrassèrent sa cause et reconnurent son titre d'imam : mais ils se séparèrent en plusieurs partis, les uns tenant à leurs croyances avec un zèle exagéré, les autres, plus modérés, suivant la doctrine des Imamites. C'est ce que nous avons expliqué dans nos *Discours sur les principes des religions*, et dans nos *Annales historiques* ouvrage qui traite des peuples anciens, des races éteintes et des royaumes qui ont disparu : voir la trentième section de ce livre consacré à l'histoire des Abbassides et des manifestations des Alides sous leur règne. On prétend que ce même Mohammed, fils de Djâfar, commença au début de sa manifestation, par embrasser la cause de Mohammed (fils d'Ibrahim) Ibn Tabataba, que soutenait Abou'l-Seraya : après la mort d'Ibn Tabataba, Mohammed se porta prétendant et prit le titre de *Prince des Croyants*. Aucun des descendant du prophète qui se levèrent pour revendication du droit, avant ou après lui, ne porta ce titre, excepté le sus-dit Mohammed, fils de Djâfar : sa beauté, le charme de sa personne et ses qualités accomplies lui valurent le surnom de *dibadjeh* (brocart). Les événements qui se passèrent alors à la Mècque et dans le pays environnant le conduisirent chez Mamoun, qui se trouvait à Merw, dans le Khorâçan : ce prince lui accorda l'amnistie et l'emmena avec lui. Quand ils arrivèrent à Djordjân, Mohammed mourut et fut enterré dans cette ville. Nous avons donné les détails de sa mort, son histoire et celle de plusieurs autres Alides avec le récit de leur mort en différentes contrées, dans notre livre intitulé *Jardins des intelligences ou Histoire de la famille d'Abou Talib*.

Une autre manifestation eut lieu à Médine, sous le règne de Mamoun celle d'El-Huceïn (fils d'El-Haçan, fils d'Ali, fils d'Ali, fils d'El-Hueïn, fils d'Ali), connu sous le nom d'*Ibn el-Aftas*. On croit qu'il travailla d'abord à la cause d'Ibn Tabataba, mais après la mort de ce dernier, il fit valoir ses propres droits de son titre d'*imam*. Il surprit la Mècque et se présenta devant les pèlerins qui étaient à Mina sous la conduite de Daoud (fils d'Yça., fils de Mouça) le Hachémite ; Daoud ayant pris la fuite les pèlerins se dirigèrent vers Arafah et s'arrêtèrent à Mouzdelifah, n'ayant plus de chef issu de la maison d'Abbas, Ibn el-Aftas arriva au *Mawkaf* (station d'Arafah) pendant la nuit, et ensuite à Mouzdelifah. Comme les pèlerins

n'avaient plus d'imam, il célébra la prière avec eux, se rendit ensuite à Mina, y accomplit la cérémonie du sacrifice, puis il entra à la Mecque et dépouilla la kaabah de toutes ses tentures, à l'exception des voiles blancs de fabrication égyptienne.

En l'Année 200 de l'hégire, Hammad surnommé *Kund-gouch* (l'oreille duré) s'empara d'Abou'l-Seraya le Hachémite et l'envoya à Haçan, fils de Sehl, qui le mit à mort et le fit pendre au gibet, sur le pont de Bagdad : nous avons raconté dans les *Annales historiques* les faits concernant Abou'l-Seraya, sa révolte, ses guerres, comment il tua Abdous (fils de Mohammed, fils d'Abou Khaled) avec plusieurs généraux d'origine persane, et comment il anéantit leur armée.

Masudi : Muruj 7/55  
(trad B de Meynard)

## 12.— Al Mamoun désigne un Alide comme successeur

En la même année, Mamoun députa Ridja, fils d'Abou Dahhak et l'eunuque Yacir auprès d'Ali (fils de Mouça, fils de Djâfar, fils de Mohammed, fils d'Ali, fils d'El-Huceïn, fils d'Ali), surnommé Rida, pour le conduire auprès de lui : ils escortèrent Rida en lui témoignant le plus grand respect.

Mamoun ordonna, à la même époque, de faire le recensement des descendants d'Abbas, hommes et femmes, enfants et vieillards : leur nombre s'éleva à trente-trois mille âmes. Rida (Abou'l-Haçan Ali, fils de Mouça) rejoignit Mamoun dans la ville de Merw, où ce prince lui fit meilleur accueil, ayant réuni les chefs principaux, il leur déclara qu'après avoir passé en revue les descendants d'Abbas fils d'Abd Mottalib et ceux d'Ali, fils d'Abou Talib, il n'avait pas trouvé parmi ses contemporains un homme plus distingué et plus digne du pouvoir que Ali (fils de Mouça) Rida : en conséquence il le fit reconnaître comme son héritier et fit graver son nom sur la monnaie d'or et d'argent. Il donna sa propre fille Oumm et-Fadl à Mohammed, fils de Rida : il interdit le noir sur les vêtements et les drapeaux et le remplaça par la couleur verte, là et partout ailleurs. Quand ces nouvelles parvinrent en Irak, les descendants d'Abbas en furent vivement émus, parce qu'ils se virent ainsi exclus du pouvoir. Le pèlerinage fut conduit, cette année là, d'ordre de Mamoun, par Ibrahim, fils de Mouça, fils de Djâfar), frère de Rida. Tout ce qu'il y avait d'Abbassides à Bagdad.

d'accord avec leurs affranchis et leurs créatures, prononcèrent la déchéance de Mamoun et prêtèrent serment à Ibrahim, fils de Mehdi surnommé *Ibn Chiklah*, qu'ils élurent Khalife le jeudi 5 de moharrem 202 ou, selon d'autres, 203 de l'hégire.

En 202, Duo'l-Riaseteïn Fadl, fils de Sehl, fut surpris et assassiné dans son bain, à Serakhs ville du Khoracân., et dans l'hôtel même de Mamoun pendant que ce prince se rendait en Irak. Mamoun parut très affecté de cet évènement : il fit périr les meurtriers, puis il continua sa route. Ali Rida, fils de Mouça, mourut à Tous, d'une indigestion de raisin : on prétend que ce fruit était empoisonné (Safar 203) ; Mamoun récita la prière des funérailles. Rida mourut âgé de cinquante-trois ans, ou, d'après une autre version, de quarante-neuf ans et six mois ; il était né à Médine en 153 de l'hégire. Mamoun lui avait donné en mariage sa fille Oumm Habib.

Masudi : Murui 7/59  
(trad B de Meynard)

### 13. — Rentrée d'Al Mamun à Bagdad

Un certain nombre de chroniqueurs, parmi lesquels Ishaq ibn Suleyman Al Hachimi, Abou Hassan Al Zyadi, et Ibn Chebbanat Al Marwazi se référant à des livres d'histoire, rapportent unanimement que l'entrée d'Al Mamoun à Bagdad, lors de son retour du Khurassan eut lieu le samedi au lever du jour, la quatorzième nuit restant de Safar en l'an 204. Sa tenue ainsi que celle de toute sa suite, leurs capes, leurs culottes, leurs vaisseaux, leurs drapeaux étaient de couleur Verte.

Ils rapportent, encore : «A son arrivée, il s'installa à Rusafa. Avant cela, il avait fait une halte, le samedi à Nahrawan où il séjourna pendant huit jours, recevant les gens de sa famille, les notables de Bagdad qui étaient venus lui présenter leurs hommages. Le samedi d'après, il fit son entrée à Bagdad. Il avait écrit à Tahir Ibn Al Hoseyn, qui se trouvait à Raqqa, de le rejoindre à Nahrawan. Tahir vint et fut reçu en audience Al Mamoun lui donna l'ordre d'installer son quartier, lui et ses troupes, à khayzuraniah. Puis il déménagea à son palais sur les rives du Tigre. Il donna l'ordre à Hamid; Ibn Abd Al Hamid, à Ali Ibn Hicham et à toutes leurs troupes de s'installer dans son propre camp».

Ils rapportent unanimement ceci : «Chaque jour, ils se rendaient auprès d'Al Mamoun pour lui présenter leurs hommages, dans une tenue de

couleur verte. Personne n'entrait auprès de lui que vêtu de vert. Les gens de Bagdad se vêtirent, également de vert. Il déchiraient tout ce qu'ils voyaient de noir porté par quelqu'un, exceptés les calottes. L'un après l'autre s'en coiffait avec crainte et hésitation. S'il s'agissait d'une cape ou d'un drapeau, nul n'osait s'en vêtir ou le porter. Cette situation dura, ainsi pendant huit jours. Les Hachémites de la descendance d'Abbas, intervinrent, spécialement, sur cette question et lui dirent : « Ô Prince des Croyants, tu as abandonné la tenue des gens de ta famille, de leur dynastie pour adopter le vert ! »

Ils rapportent aussi : « Les chefs des troupes Khurassaniennes lui écrivirent, également, à ce sujet. A la différence de tout le monde, Tahar ibn Al Husayn, lors de son arrivée, parla de cette affaire. Al Mamoun lui manifesta son acquiescement, sans se décider encore. Lorsqu'il constata leur discipline dans l'adoption du vert, tout en le haïssant, il siégea le samedi dans une tenue verte. Lorsque tout le monde fut présent autour de lui, il se fit apporter une tenue noire dont il se vêtit, fit mander une robe d'honneur noire dont il couvrit Tahir ibn Al Husayn, affrit à nombre de ses généraux des capes et des calottes de la même couleur. Quand ils sortirent de chez lui tout habillés de noir, les autres officiers délaissèrent le vert et se vêtirent comme eux. »

Ibn Tahir : Le livre de Bagdad p 9

#### 14. — La bataille d'Ammouriyah

Dans cette même année 223, le roi grec Théophile, fils de Michel, se mettant à la tête de son armée, à laquelle se joignirent les rois des Bordjân, des Bulgares, des Slaves et d'autres nations voisines, vint assiéger la ville de Zibatra (Sozopétra), sur les frontières des Khazares, la prit d'assaut tua la population ou la réduisit en esclavages, et attaqua ensuite la ville de Malatyah (Melitène). La terreur se répandit partout, les mosquées et les maisons retentirent de cris de détresse. C'est alors qu'Ibrahim, fils de Mehdi, se présentant devant le Khalife Moutaçem, lui récita une longue poésie, dans laquelle il décrivait ces désastres, et l'appelait au secours de ses sujets et à la guerre sainte. En voici un passage :

Ô Dieu jaloux, tu as vu cela, venge donc ces femmes et punis les forfaits dont elles sont victimes.

Il se peut que les hommes aient trouvé dans la mort le châtiment de leurs fautes, mais que dire de leurs pauvres enfants, qui périssent égorgés ?

Ibrahim est le premier qui ait employé, en poésie, l'expression *ô Dieu jaloux*. Moutaçem se mit aussitôt en campagne et partit vêtu d'une *dourraah* en laine blanche et coiffé du turban militaire : il vint camper sur la rive occidentale du Tigre, le lundi, 2 du mois djemada premier, 223 de l'hégire. Les enseignes furent déployées sur le pont (de Bagdad), et la levée en masse, avec ordre de rejoindre le K halife, fut proclamée dans les grandes villes. De tous les points de l'empire musulman accourent les troupes régulières et les volontaires. L'avant garde fut donnée à Achinas le truc suivi de Mohammed fils d'Ibrahim : l'aile droite à Itakh le truc l'aile gauche, à Djâfar (fils de Diar) K hayyat : l'arrière-garde, à Bogo l'aine, suivi de Dinar, fils d'Abd Allah, et le centre à Odjaï. Le K halife, passant par la frontière syrienne, entra par la passe de Selamah : Afchîn, par la passe d'El-Hadét et le reste de l'armée, par les autres passages. Le chiffre de cette armée était immense, et il n'a pu être évalué avec certitude : les opinions varient en plus ou en moins : le calcul le plus élevé la porte à cinq cent mille hommes, le calcul le plus faible à deux cent mille. Le roi de Byzance attaqua Afchîn, mais il fut repoussé et mis en fuite : il perdit la plupart de ses patrices et ses principaux officiers et ne dut la vie qu'à la protection d'un néo-chrétien, nommé Nocaïr aidé de quelques-un de ses compagnons. D'ailleurs Afchîn négligea l'occasion qui s'offrit à lui, ce jour-là, de prendre son ennemi fugitif : «C'est un roi, dit-il, et les rois se doivent sauvegarder mutuellement». Moutaçem s'empara de plusieurs places fortes, puis il assiégea Ammourayh (Amorium), dont Dieu lui ouvrit les portes. Un patrice nommé Lawi (Léon) vint lui-même lui livrer cette place : Batis (Aetius), patrice qui commandait en chef, fut fait prisonnier et trente mille hommes furent égorgés. Moutaçem livra la ville au pillage et à l'incendie pendant les quatre jours qu'il y demeura : il voulut ensuite marcher sur Constantinople, en occuper le canal (Dardanelles) et aviser aux moyens de prendre cette capitale par terre et par mer : mais une nouvelle menaçante le le força de renoncer à ce projet : Abbas, fils de Mamoun, venait d'être salué K halife par un certain parti, et il entretenait une correspondance avec les Grecs. Moutaçem se hâta de revenir sur ses pas et fit emprisonner Abbas et ses partisans. Le fils de Mamoun mourut pendant cette même année.



# TEXTES ET DOCUMENTS

## 2

L'empire musulman sous  
le Califat Abbasside  
Epoque des Grands Califes  
132-232h / 750-847

Documents arabes  
(textes originaux ou traduits)  
Regroupés selon des thèmes historiques  
et présentés par :

**Mohamed ZNIBER**

*Professeur d'histoire à la faculté  
des lettres de Rabat*

الشمس : 25 درهما

دار النشر المغربية  
التأليف والنشر